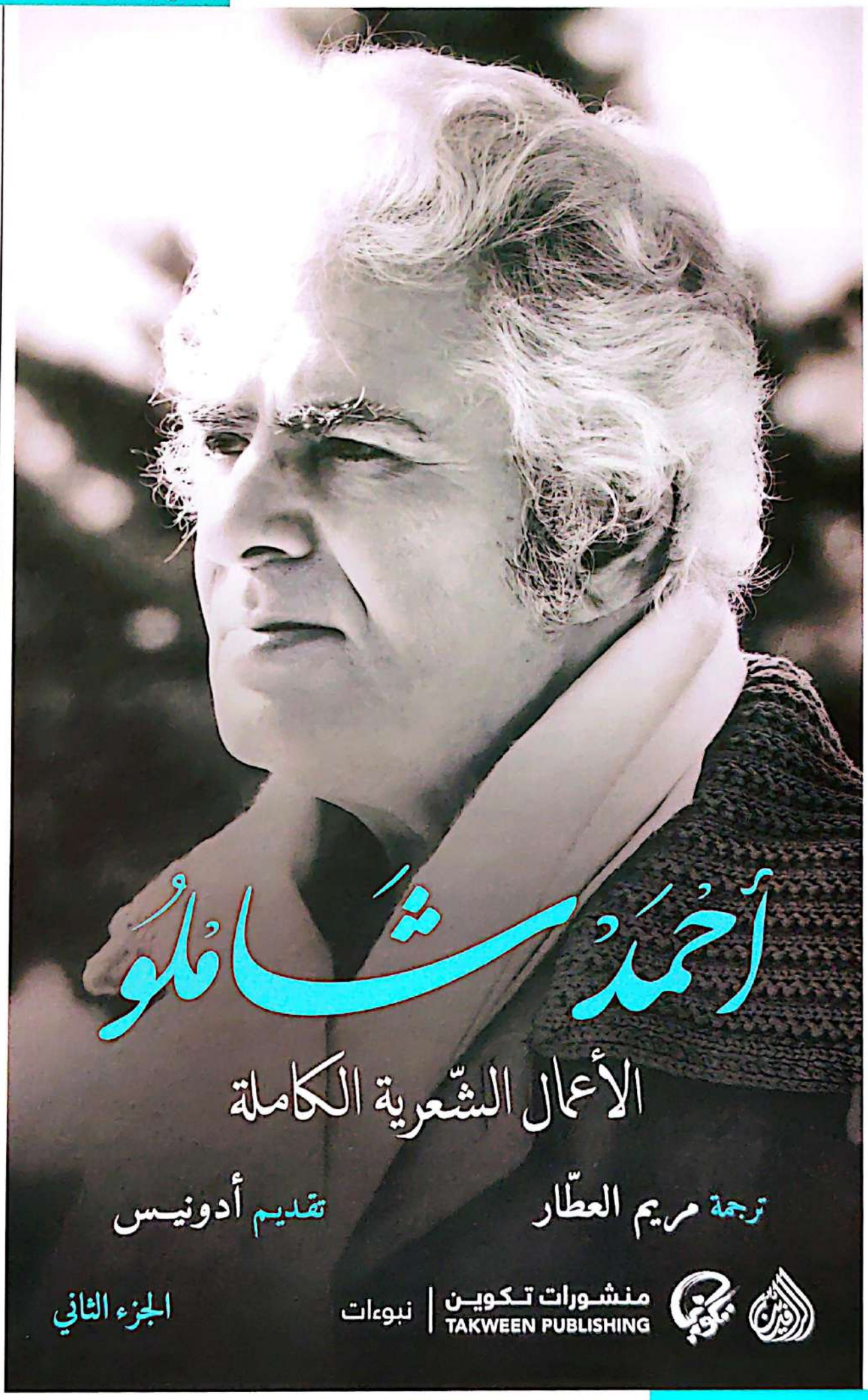

أحمد شاملو

الأعمال الشّعرية الكاملة

ترجمة مريم العطّار

تقديم أدونيس

منشورات تكوين | نبوءات
TAKWEEN PUBLISHING

الجزء الثاني

أحمد شاملو

الأعمال الشّعرية الكاملة

أحمد شاملو

الأعْمالُ الشـّعريَّةُ الكامِلةُ

ترجمة: مريم العطَّار

تقديم: أدونيس

Complete Poet Works For Ahmad Shamlu

By Ahmad Shamlu

translated by Mariam Al-Attar

الطبعة الأولى: نوفمبر ـ تشرين الثاني، 2022 (1000 نسخة)

Copyrights@Dar Al-Rafidain&Takween2022

All Rights Reserved /جميع حقوق الطبع محفوظة (C)

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليَّةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين وتكوين أن تستمرًا برفد جميع القراء بالكتب.

All rights reserved © Sirous Shamlou 2022

Originally published under the title **مجموعة اشعار أحمد شاملو** by Negah Publishing House.

This book is licensed by **Sapens Literary Agency** on behalf of **Sirous Shamlou**.

This book may not be copied, reproduced, transmitted, broadcast, or stored in an information retrieval system in any manner and form, such as by photography, printing, recording, taping or in another comparable manner, in part or in its entirety, without the written approval of the Proprietor, translator, and publisher.

Kuwait City, 2022

ملشورات تـكويـن
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

takween.publishing@gmail.com
takweenkw
takween_publishing
TakweenPH
www.takweenkw.com

بغداد ــ العراق

شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 9647714440520+

9647811005860+

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين
daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 64 - 2

أحمد شاملو

الأعمال الشّعرية الكاملة

الجزء الثاني

ترجمة

مريم العطّار

تقديم

أدونيس

منشورات تكوين | نبوءات
TAKWEEN PUBLISHING

الفهرس

عَنْقَاءُ فِي المَطَرِ 1966 ـ 1967 13
الرِّحلةُ 15
ثلاثةُ أناشيدَ للشَّمسِ 21
نَهْرٌ 29
موتُ «النَّاصريِّ» 30
النَّقْشُ 33
المَرثيَّةُ 34
يَا لَهُ مِنْ طريقٍ بعيدٍ 37
الأسْبابُ 38
المجلَّةُ الصَّغيرةُ 39
مَنظرٌ آخرُ 48
Postumus 51
خَريفٌ 60
مَراثي التُّراب 1969 ـ 1970 63
الشِّعرُ انعتاقٌ 65
قصيدة 23 67
مَرثيةٌ 76
لَيْلِيَّة 26 78
بعينين 80
في نهايةِ المَساءِ 86
«هاملت» 88

حَسرةٌ 93
التَّجسيدُ 104
الحِكايةُ 106
في العَتَبةِ 108
الازدهارُ في الضَّبابِ 1970 ـ 1971 113
رسالةٌ 115
ليسَ لسِجني جدارٌ 121
العُقوبةُ 123
صَبُوحٌ 127
النَّاجيانِ 129
فصلٌ آخرُ 131
نشيدٌ لرجُلٍ مُضيءٍ، ذهبَ إلى الظِّلِّ 133
الآباءُ والأبناءُ 136
إبراهيمُ في النَّارِ 1973 ـ 1974 139
لَيْلِيَّة 27 141
لَيْلِيَّة 28 142
لَيْلِيَّة 29 144
لَيْلِيَّة 30 145
لَيْلِيَّة 31 146
إشَارةٌ 148
القِيامُ 149
في المَيدانِ 151
الصَّيفُ 152
الضَّمادُ 153
نشيدُ: إبراهيمُ في النَّارِ 155
في الغُربةِ 159
أغنيةُ العَتمةِ 162

الرَّصاصةُ الأخيرةُ كما يزعمونَ 164
البُرودةُ في الذَّاتِ 166
مَوتٌ كهذا 168
مَحاق 170
مَزْجٌ 172
إشَارةٌ 173
فرصةٌ 176
ولادةٌ لمَنْ ماتَ على التُّرابِ بحُبٍّ 177
خَنجرٌ على طَبقٍ 1974 ـ 1977 181
مَأدَبةٌ 183
لَيْلِيَّة 32 196
في اللَّيل 198
قلتِ: الرِّيحُ مَيِّتةٌ 200
الفِراقُ 203
لَيْلِيَّة 33 205
لُغةٌ أُخرى 206
ما زلتُ أفكرُ بذلكَ الغُرابِ 208
خطابُ الدَّفنِ 210
شَقٌّ 212
«سميرمي» 214
الفجرُ 216
الأغنيةُ الزَّرقاءُ 218
مَرْأَى 221
المَطرُ 223
لَيْلِيَّة 34 225
أغنيةُ الأمنيةِ الكبيرةِ 227
القَفْزُ 229

أغانٍ صَغيرةٌ للغُربةِ 1975 ـ 1980 231
أولادُ الأعماقِ 233
فزّاعةُ الحُقُولِ 236
الهِجرانُ 1 238
الهِجرانُ 2 240
الهِجرانُ 3 242
الهِجرانُ 4 243
الهِجرانُ 5 245
الهِجرانُ 6 246
أغنيةٌ صَغيرةٌ 248
نِهايةُ اللُّعبةِ 249
الصَّباحُ 251
في الزِّقاقِ المَسدودِ 253
غَراميَّةٌ 255
أُغنيةُ الرِّفاقِ 257
خطابٌ سَهلٌ في الأملِ 259
لَيْليَّة 35 263
القِيامةُ 265
في اللَّحظةِ 267
غَراميَّةٌ 268
لَيْليَّةٌ 36 271
مَدائحُ بلا صلة 1992 273
جَريدةٌ ثَوريَّةٌ 275
عندما جاءَ دورُ الملاَّحينَ 276
بحثتُ في الكُتُبِ 277
لا يزالُ ناعسًا 278
أنا أيضًا متواطئٌ مع الجَميعِ 280

خِطابٌ 281
مَن خلقَ العالَمَ 296
لا أستطيعُ ألاَّ أكونَ جَميلاً 299
لَمْ أكنْ أريدُ 301
في الصِّراعِ مَع الانطفاءِ 302
التَّفكيرُ 311
في الفَجر على نِداءِ الكدحِ والجُّنونِ 312
مُحاربُ اليوم... 313
كُنتَ أنتَ السَّببَ... 316
يدٌ لا تَصلُ ليدٍ أُخرى 317
نفسُهُ دائمًا 318
جَزَّارٌ يَبكي... 320
ثُمَّ تحدَّثتِ الأرضُ... 321
لَيْلِيَّةٌ 37 325
هذا الصوت 327
لا تَفْتَرِ كذِبًا 329
لَمْ يُغنِّي حُزْني 330
معَ «برونيفسكي» الشَّاعرِ البُولنديِّ 334
الكرَاهيةُ الآنَ... 336
الفَجرُ 337
صَحراءُ 338
أينَ كانَ ذلكَ العالَمُ؟ 340
طائرُ «الواق» 343
أُغنيةُ الدَّمع والشَّمس 344
أكثرُ الكلماتِ التي اَستُنزِفَتْ هيَ «المَحبَّةُ» 345
فقطْ، ولَو لِلحْظة 346
الرَّجُلُ المَصلُوبُ 348

رُوحٌ مَلأى بالجُروحِ 356
ليلةُ الضِّفدَعِ 357
تُرجمانُ الفَجيعةِ 359
في زُقاقِ المُصَالَحَةِ 362
نَشيدُ القَحْطِ القَديم 364
أُغنيةٌ حَزينةٌ لثلاثِ مَلاحِمَ 366
لَيْلِيَّةٌ 38 368
أُحبُّكِ دُونَ... 370
نشيدُ المغتربين 372
نيلسون مَانديلا 374
مادَّةٌ في مَوقعيْن 376
مِنْ أينَ يُشرقُ هَذا التَّوهُجُ؟ 381
حَوَّاءُ أُخْرى 383
لَيتني كنتُ ماءً! 385
لا تعدِّي القِطعَ واحدةً تلوَ أُخرى! 388
قُربَ أثرٍ مستمرٍّ 390
عيونُ الجِّدارِ 391
صهيلٌ وضربُ حَوافرَ... 393
خَريفُ «سان خُوسيهْ» 394
في العَتبةِ 1985 ـ 1997 397
الحِكايةُ 399
الياسمينُ البرِّيُّ 401
ظلامُ العَمى التَّامِّ 403
حيِّزٌ أسودُ في اللاَّمكانِ 404
التَفَتْ حولَ نفسِها 405
الطَّبيعةُ السَّاكنةُ 406

في العَتَبَةِ 407
ملخَّصُ الأحوالِ 413
في ذلك اليوم في هذا الوادي 414
ذِكرى 416
على أيِّ جُثَّةٍ تَبكي؟ 417
نحنُ أيْضًا 419
غرَّدَ الكناريُّ 421
لَمْ يكُنْ عادِلاً ولا جَميلاً... 423
وجهُكَ الآخرُ 424
أنْ تكونَ طِفلاً 425
أغنيةٌ 427
رحلةُ الشُّهودِ 429
قَفَصٌ هذا القَفَصُ 435
مِنْ شِدَّةِ الغَضبِ 437
قُبلةٌ 438
مُتسوِّلُو الصَّحراءِ 440
النَّمِرُ 441
أشكالُ الشِّتاءِ 443
شَكلُ المَطرِ 445
الميلادُ 447
حكايةُ رجُلٍ بلا شَفتيْنِ 448
حكايةُ قلَقِ «ماهانَ» 1972 ـ 1999 459
طِوالَ النَّهارِ 461
«نَوْرُوزُ» شِتاءً 462
عَرفوا أنَّ الأسْنانَ مِنْ أجلِ... 465
مِنِّي لِذاتي 466

صُلْحٌ 471
هزيمُ الرَّعدِ الخامِ والهزيلِ 474
نساءٌ ورجالٌ يحترَقونَ 476
نحنُ، كُنَّا نَصرُخُ 477
The Day After 478
النَّشيدُ السَّادسُ 479
السَّاهِرُونَ 481
لَيْلِيَّةٌ 39 483
مِنْ الشَّرقِ إلى شَرقِ الفَرَحِ 484
قلقةٌ على تلكَ العينيْن 485
«بامدادُ» لَقبُ الفَجرِ الدَّمويِّ 486
مثل بئرِ «شُغادَ» 488
كفَوَرَانَ نارِ ثَملة 489
رأيتُ العالَمَ أوَّلَ مرَّةٍ 490
منذُ أوَّلِ قَيءٍ للرَّضيعِ 492
ملتو وبلا نهايةٍ 495
ملحق الصور 497

عَنْقَاءُ فِي المَطَرِ

1966 ـ 1967

الرِّحلةُ

إلى سيدة الصبر والتضحية آنوش سركيسيان كَتز

أيُّها الرَّبُّ
أين مَسْجدي
يا رُبَّاني؟

في أيِّ جزيرةٍ يكونُ السَّدُّ هناك آمنًا
وطريقهُ
يمكنُ أنْ يعبرَ مِنْ البحارِ السَّبعةِ الخَطرةِ؟
عَبرنا مِنْ ضِيقِ الطُّرقِ المتَعرِّجةِ
ـ مع أوَّلِ عَشاءِ سفرٍ ـ
حقلاً زجاجيًّا أخضرَ
وعندما انحسرَ اللَّيلُ
ـ الذي بَدا مكانهُ أفضلَ في مَضيقِ الصُّخورِ ـ

وصلنا إلى بحرٍ ميتٍ

بسماءٍ فضيةٍ قصيرةٍ

تحوِّلُ الموجَ والرِّيحَ

إلى صمتٍ أبديٍّ،

وكانَ الطَّقسُ المُشمسُ الرَّطبُ

يضيعُ بينَ اتساعهِ المتردِّدِ

والشَّكِّ في الطُّلوعِ والأفولِ

نحنُ بالكاد كانَ بإمكاننا التَّنفسُ في الهواءِ الملوَّثِ بالطَّاعونِ

كنَّا نتعرَّقُ

في محاولةٍ يائسةٍ

كنَّا نُجرفُ

على مَساحةٍ واسعةٍ مِنْ البحرِ الميِّتِ المُنطفئِ

كانَ مليئًا بالجُثثِ

التي لا تزالُ أعيُنها مفتوحةً

مِنْ هولِ العَاصفةِ الكبيرةِ

وكانَ نارُ غَضبِها يصوِّبُ الرِّماحَ

على أعيُنِ الكائناتِ الحيَّةِ.

مضائقُ

وبحارٌ

مضائقُ

وبحارٌ أُخرى...

ثمَّ بلغنا بحرًا هائجًا

مع دواماتٍ مهولةٍ

وصخورٍ بركانية

وأمواجٍ هائجةٍ

« ـ حَشدٌ مِنْ الغُيومِ.

لولا الحبُّ

لنْ يحتملَ إنسانٌ رحلةً كهذه!»

هكذا قلتِ

بشَفتيْنِ تبدوانِ في كلِّ مرَّةٍ تُكرِّرانِ اسمَ زهرةٍ

ومنذُ تلكَ اللَّحظةِ التي أوقفْنا فِيها الرِّحلةَ

كانتْ شَفتاكِ والكلماتُ

التي تكرِّرُ الرَّبيعَ والبُستانَ

وكلامُكِ اسْتقرَّوا في روحي

بدأتُ بإعادةِ كلماتِكِ

حرفًا فحرفًا

كلماتٌ كانتْ تفوحُ بِعطرِ فَمكِ

وفي ذلك الجَّحيمِ

ـ عندما كانتِ المياهُ الآسنةُ

تتبخَّرُ على الصَّخورِ البركانية ـ

تذوقتُ رطوبةَ فَمكِ مِنْ كلِّ حَرفٍ منكِ

وأنتِ بمهارةٍ كنتِ تُرشدينَ السَّفينةَ

على البَحرِ الضَّبابيِّ

بِثقلِها السَّيالِ

مع ضجيجِ صَواريها العاليةِ

ـ التي كانتْ تتحرَّكُ نحو الأسفلِ مع حركةِ الشِّراعِ ـ

وفي المُضيِ بينَ الجُّدرانِ المجوَّفةِ المُلتويةِ

كانتْ تبدو كالكابوسِ في حمَّى ثقيلةٍ

لكنْ

عندما انتهى النَّهارُ الغائمُ

وجلسَ في اللَّونِ الأصفرِ

مِنْ خلفِ مَضيقٍ صَغيرٍ،

ذهبنا إلى بحرٍ آخرَ

قلتِ بنقاءٍ

إنَّ القرويينَ

بكوا غربَتهم في إناءِ المَرجانِ وأنا بكيتُ حزنَهم

وأنتِ بكيتِ حُزني

ومَسجدي

في جزيرةٍ بهذا البَحرِ

ولكنْ أيُّ جزيرةٍ، أيُّ جزيرةٍ

يا «نوحُ» يا رُبَّاني!؟

هل تبحثُ عَن تلك الجزيرةِ مِنْ فوقِ السَّفينةِ

كالحمامةِ التي تطيرُ؟

أو بطريقةٍ أُخرى؟ أو بطريقٍ آخر؟

ـ في هذا البحرِ كلُّ شيءٍ صادقٌ،

مِنْ الماءِ حتَّى القَمرِ

وفضةُ الأسماكِ في المياهِ

هي سمكةٌ أُخرى في سماءٍ معكوسةٍ ـ

في المساحةِ الواسعةِ للعُزلةِ الأبديةِ

في جزيرةٍ بِكرٍ

هناك هبطنا

قُلتِ:

«هذه الرِّحلةُ انتهتْ بهدفٍ:

رحلةٌ شاقَّةٌ ونهايةٌ سَعيدةٌ!»

وأنا، وضعتُ جَبهتي على التَّرابِ

سَاجدًا

يا ربِّي،

يا رُبَّاني!

أين مَسجدي؟

في أيِّ بحرٍ

في أيِّ جَزيرةٍ؟ -

هل هناكَ

حيثُ سَجدتُ بِشمالةٍ

لمذهبٍ قديمٍ

كالمُومياءِ مِنْ القِرونِ الماضيةِ

استعدتُ روحي بقراءةِ الوِردِ

أين مَسجدي؟

بيديْكِ العاشقتيْنِ

هناك...

قومي ببناءٍ ضريحٍ لي!

ثلاثةُ أناشيدَ للشَّمسِ

1

ليلاً
اللَّيلُ اعترافٌ طويلٌ، اعترافٌ طويلٌ
صرخةٌ لأجلِ الحُريةِ، اللَّيلُ صرخةٌ لأجلِ الحريةِ
وصرخةٌ لأجلِ السَّجنِ

اللَّيلُ
اعترافٌ طَويلٌ

لو كانتْ تلك أوَّلَ ليلةٍ في السِّجن
أو آخرَها
ـ حتَّى تصرخَ باسمِ الشَّمسِ غدًا
في مُفترقاتِ الطُّرقِ
أو تَنساها في حَلقةِ المَشنقةِ ـ

إنَّهُ صرخةٌ طويلةٌ، اللَّيلُ صرخةٌ طويلةٌ
إنَّهُ صَرخةٌ مِنْ اليأسِ، صَرخةٌ مِنْ الأملِ
صَرخةٌ لأجلِ الحُريةِ، اللَّيلُ صَرخةٌ مِنْ أجلِ السِّجنِ

اللَّيلُ
صَرخةٌ طويلةٌ

2

الأربعُونَ

عثرتُ على المَفهومِ المُطلقِ
قدمٌ بقدمٍ مَع شَمسٍ لَمْ تُستَهلكْ
أجرعُ كأسَ أيَّامي
مثلَ طاسةِ المَجذومينَ الخشبيَّةِ
عثرتُ على المَفهومِ المُطلقِ
أسعى لأعثرَ على المَفهومِ المُطلقِ

وصلتُ إلى كأسِ الأربعين وتجاوزتها
أساطيرُ تيهكَ
أيُّها القلبُ الضَّالُّ
تقتربُ مِنْ نهايتِها

عبثًا الموتُ
يهدِّدُ
بعينيهِ المفترستيْنِ:
لَمْ نُشهدْ على حقيقةِ السَّاعاتِ
إلاَّ بسِمَةِ الآلامِ

التي أصبحتْ مِنْ نَصيبِنا
بسبب علاقاتِ البَشرِ الملوَّنةِ
أخذنا نَصيبَنا كذكرى مَحفورةٍ
بخَنجرٍ مَسمومٍ
على جذع الشَّجرةِ

مَع ذلك لا تنسَ
بأنَّنا
ـ أنا وأنتَ ـ
راعينا الإنسانَ
(أكانَ حقًّا تحفةَ اللهِ الرَّائعةِ
أمْ لَمْ يكنْ)،
لكنَّنا راعيْنا الحُبَّ
في المَطرِ وفي اللَّيلِ
تحتَ آذانِنا
في مسافةٍ قَصيرةٍ على أسِرَّةِ عِفَّتِنا
كُنَّ العاهراتُ
يُعلنَّ عَن حضورهنَّ

وتصفرُّ الأغاني القديمةُ
(أمامَ أيِّ حَدثٍ
رأيتِ الإنسانَ
يتعرَّقُ جبينُهُ حياءً؟)

عندما يمكنُ شراءَ أجملِ الأجسادِ بدراهمٍ معدنيةٍ

أنا
هيهاتَ أنْ أحتاجَ الشُّعورَ
دون كيمياءِ الحُبِّ

أخبِّئُ قلبي في مجرىً قديمٍ
في غُرفةٍ بلا نافِذةٍ
في زُقاقٍ بلا قَمرٍ
أنحني
وأبكي
بدلاً عَن كلِّ الخائبينَ

آهٍ

لقد

هُلِكتُ!

مَع ذلك أيُّها القلبُ الضَّالُّ!

لا تنسَ

بأَنَّنا

ـ أنا وأنتَ ـ

راعينا الحُبَّ

لا تنسَ

بأَنَّنا

ـ أنا وأنتَ ـ

راعينا الإنسانَ

أكانَ حقًّا تحفةَ اللهِ الرَّائعةِ

أمْ لَمْ يكنْ!

3

كضالٍّ مُسرعٍ
تحرَّكَ على الأرضِ
فتَنفَّستِ الأرضُ المُتعبةُ الصُّعداءَ

اليَنابيعُ المُضيئةُ
أضاءَتِ الجِّبالَ
وعطشُ السَّوادِ انطفأَ بِهدوءٍ
وكلُّ تلكَ الأشياءِ
كانتْ تجرِّبُ الموتَ
في أعماقِ النَّومِ
بسُرعةٍ وخفَّةٍ
اختبروا الحياةَ
لذا، فجأةً، بدأ الجَميعُ معًا
وطلعتِ الشَّمسُ
والأمواتُ
عادوا لرائحةِ الحَياةِ
وأصبحوا مكتفينَ مِنْ حاجاتِهم

استيقظتِ المدينةُ بذُعرٍ مِنْ نومِها
واستأنفتْ سَعيها في نَهمِ التَّخزينِ
التَّخزينُ
يزدادُ، ويزدادُ
أجلْ!
اليدُ الفارغةُ
يمكنُ لها أنْ تلطمَ على الرَّأسِ، فقط

والشَّمسُ للحظةٍ ملتهبةٌ
مغرورةٌ وهاربةٌ
إنَّها لحظةُ تكرارِ الاشْتعالِ
منذُ الأزلِ
منذُ أيّ لحظةٍ تظنُّ
منذُ وطأتْ قدماكَ التَّرابَ

على شَاطئِ الخُلُودِ
كانَ هذا الطَّماعُ في هروبٍ مُستمرٍّ.

نَهْرٌ

أنْ تمنحَ نفسَكَ لمجرى القَدَرِ
وتخبِرَ بإكراهٍ كلَّ حصاةٍ
سِرًّا

ما أجملَ هَمسَ النَّهرِ!

أنْ تتنازلَ عنْ حدَّةِ كبريائكَ
ومِنْ قلبِ العُزلةِ النَّقيَّةِ العاليةِ
تنحدرُ صارخًا خشيةَ السُّقُوطِ

ما أعظمَ زئيرَ الشَّلالاتِ!
والاستمرارَ في الجلوسِ بينَ الأخاديدِ
في الأسفلِ
ومجادلةَ كلِّ صَخرةٍ!

يالهُ مِنْ معتركٍ، النَّهرُ، يالهُ مِنْ معتركٍ!

موتُ «النَّاصريِّ» [1]

بنسقٍ موحَّدٍ
موحَّدٍ
يجرُّ عقبَ حملِهِ الخَشبيِّ
على ظهرِهِ
ويرسمُ
خطًّا ثقيلاً ومرتعشًا على الأرض

«ـ ضعوا على رأسِهِ إكليلاً مِنْ الشَّوكِ!»

ونغمةُ الحَملِ الطَّويلةِ تستمرُّ
في هذيانِ ألمِهِ
بنسقٍ موحَّدٍ

(1) النَّاصري: المسيحُ بن مريمَ، عيسى، يسوع، الشَّخصيةُ المركزيَّةُ في الدِّيانةِ المَسيحيَّةِ. واللقبُ نسبةً إلى المدينةِ التي نشأ فيها: النَّاصرة ـ شمال فلسطين. [المترجمة]

يرسمُ حَبلاً ناريًّا

على الأرضِ

«ـ أسرعْ يا ناصريُّ، أسرعْ!»

مِنْ الرَّحمةِ التي وجدَها في روحِهِ

شَعرَ بخفَّةٍ

وكبجعةٍ مغرورةٍ

نظرَ في نقائهِ

«ـ اجلدوهُ بالسَّوطِ!»

حبلُ الجَّلدِ

هوى،

والحبلُ الأحمرُ الطَّويلُ

على مدى طولهِ

عبرَ مِنْ عقدةٍ كبيرةٍ

«ـ أسرعْ يا ناصريُّ، أسرعْ!»

من بينِ الحشودِ المتفرِّجينَ

يسلكُ «لعازرُ»[1] طريقَهُ

عاقدًا يديْهِ خلفَ ظهرِهِ

روحهُ تحرَّرتْ مِنْ ثقلِ عذابِ دَينِ مَنْ أنقذَ حياتَهُ:

« ـ ما كانَ يريدُ ذلك، وإلاَّ كانَ باستطاعتِهِ»

سماءٌ قصيرةٌ

بثقلٍ

نزلتْ على نغمةٍ كانتْ على وشكِ

انطفاءِ الرَّحمِ

المُعَزُّونَ

سقطوا على الأرضِ

والشَّمسُ والقَمرُ

جاءَا معًا

(1) لعازر: وفقًا للكتاب المقدس، فالقدِّيس لعازرُ كان من (بيت عبرة)، وكان أخًا لشقيقتين هما «مريم» و«مرثا»، كان هؤلاء الإخوة الثلاثة أصدقاء يسوعَ وتلاميذ له، وكان «يسوعُ» يحبهم، مرض «العازرُ» ومات. وبعد أربعة أيام جاء «المسيحُ» لمساعدتهما، فذَّهب إلى قبر «العازرَ» وأحياهُ من الموتِ. [المترجمة]

النَّقْشُ

النَّافذةُ:
حَسرةٌ
نظرةٌ
وتنهيدةٌ
«الهيروغليفية»[1] نظرةٌ أُخرى
في الانتظارِ
وتنهيدةٌ أُخرى لا إراديةٌ
بعد التَّأوهِ
وعينٌ ـ مشدودةٌ، بالحَسرةِ ـ
على تشييعِ تابوتِ مَسكينٍ
أمامَ عجوزِ «كوماي»[2]
النّافذةُ: حسرةٌ ونظرةٌ وتنهيدةٌ.

---

(1) الهيروغليفية: مصطلح إغريقيٌّ معناهُ النَّقشُ المقدَّسُ، أطلقهُ الآثاريونَ الغربيُّونَ على الكتابة المصريَّة المحفورةِ في قبور ومعابد المصريِّينَ القدماءِ. [المترجمة]

(2) العرَّافةُ كوماي: The Sibyl of Cumae وفقًا للأسطورة الإغريقية، فإنَّ الإله «أبولو» لعنَها بمنحِها الخلودَ لتتقدَّم في السن ولا تموتُ. [المترجمة]

المَرثيَّةُ

قالوا:

« ـ لا نريدُ

لا نريدُ

أنْ نموتَ!»

قالوا:

« ـ أعداءٌ

أعداءٌ

أنتم أعداءُ الشَّعبِ!»

كم ببساطةٍ

كم ببساطةٍ قالوا هذا

وكم ببساطةٍ

قُتِلوا!

وموتُهم كانَ مهينًا ورخيصًا

والسَّعيُ لأجلِ الحياةِ بعدَهم

يبدو عملاً أحمقَ

وأكثرَ إيلامًا:

رحلةٌ صعبةٌ ومريرةٌ

في ممرَّاتٍ منحنيةٍ

وملتويةٍ

لأجلِ اللاَّشيء!

لم يطلبوا

الموتَ

وقبلَ الموتِ

ما أرادوا أنْ يكونوا

عبئًا فوقَ حملِ العبيدِ

بلا حيلةٍ

قالوا:

«لا نريدُ، لا نريدُ أنْ نموتَ!»

وبدتْ هذه الجملةُ تعويذةً

في ذهنِ خيولٍ

انحدرتْ فجأةً إلى أسفلِ الوديانِ

حيثُ الرِّجالُ يقفونَ!

برماحِهم المرفوعةِ

فلما نَظروا إلى أنفسهم

مرَّةً أُخرى

لَمْ يجدوا في أكُفِّهمْ

سِوى الرِّيحِ.

سِوى الرِّيحِ ودمائهم

لأنَّهم

لَمْ يرغبوا

لَمْ يرغبوا

أنْ يموتوا!

يالهُ مِنْ طريقٍ بعيدٍ

يالهُ مِنْ طريقٍ بعيدٍ!

يالهُ مِنْ طريقٍ بعيدٍ لانهائيٍّ!

يالها مِنْ ساقٍ عرجاءَ!

النَّفسُ تنازعُ التَّعبَ

وأنا أنازعُها،

القدمُ مع الحَجرِ

يالهُ مِنْ طريقٍ بعيدٍ!

يالها مِنْ ساقٍ عرجاءَ!

الأسْبابُ

ليتَ ما يسلبُ روحي
يكونُ خَنجرًا
أو رصاصةً
ليتهُ لَمْ يكنْ سُمًّا
سُمُّ الحقدِ أو الحَسدِ
أو سمُّ الكراهيَّةِ
ليتهُ لَمْ يكنْ ألمًا،
ألمُ لدغةِ العَقربِ
حيثُ لديكَ الرَّدُ
ولا تملكُ لسانًا لتردَّ
وبلا حيلةٍ تظنُّ
لدغةَ العقربِ
ليسَ لها ترياقُ
ليتَ ما يسلبُ روحي
يكونُ خَنجرًا
أو رصاصةً!

المجلَّةُ الصَّغيرةُ

1

إلى عباس جوانمرد

آهٍ، أنتَ تعرفُ
تعرفُ أنَّني
أرغبُ بإعادةِ الكثيرِ مِنْ الأحاديثِ

عندما يستعيدُ الأطفالُ لُعبةَ الحياةِ الرَّثةِ، بالعملاتِ المعدنيةِ القَديمةِ، خلفَ جدارِ البُستانِ...
تعرفُ
أنتَ تعرفُ أنَّني
أرغبُ بإعادةِ أيِّ حديثٍ
عن أيِّ وَجعٍ.

2

في أيامِ المَجلَّةِ الصَّغيرةِ،
سِجلِّ العُبوديةِ،
وغلافِها الذَّهبيِّ

ياللحسرةِ!
كم يجعلُ الفقرُ الفضيلةَ ـ بسهولةٍ ـ تَحتضرُ
عندما لا مفرَّ لَكَ
مِنْ الوجودِ والبقاءِ

البقاءُ
ـ أجلْ! ـ
وفي المساءِ
تودِّعُ
حزنَكَ
إلى بئرٍ متروكةٍ
وتطلقُ
صرخةَ وجعِكَ

في هديرِ العاصفةِ
وبُكاءِ روحكَ المضطربةِ
تمزجُها بصخبِ المَطرِ

البقاءُ
أجلْ
والجلوسُ للمُشاهدةِ...
مشاهدةُ الكذبِ
كيف يتملَّكُ العمرَ
في مدينةٍ لا تُخفي النِّفاقَ
وصدقُ النَّاسِ فيها
فقط في هذا النِّفاقِ!

3

عندما اللُّوطيُّ والجَزَّارُ يضعانِ الخناجرَ على عنقيْ بعضهما لتقسيمِ الذَّبيحةِ
كنتُ أحملُ جِثَّتي
متعَبًا ويائسًا
أبحثُ لها عَن مقبرةٍ

سِجلِّي
«سجلُّ العُبوديةِ»
كان:
أيامَ المجلَّةِ الصَّغيرةِ
بِغلافِها الذَّهبيِّ!

هيهاتَ!
أنَّ يعني الفقرُ بقاءكَ في المحظورِ
مِنْ قدراتِكَ
على هيئةِ سجينٍ،
ولو كانَ العكسُ
لكتبتَ عَن النُّجومِ

عن أحاديثِ الفَرحِ

والعبورِ مِنْ المَجرَّاتِ

والابتسامةِ التي يخرجُ الشَّرَّرُ مِنها

معَ كلِّ مطلعِ شَمسٍ.

4

لقد وصلَ
صبحُ الخَريفِ
برائحةِ الجُّوعِ
في المعابرِ
والمجلَّةُ الصَّغيرةُ
بينَ الأيادي
بِغلافِها الذَّهبيِّ

اللُّوطيُّ والجَزَّارُ
يتشاجرانِ على كفَّارةِ[1] المَوتى
وأنا
مِنْ فرطِ اشمئزازي من نفسي
لا يمكنُني النَّظرُ في المِرآةِ:
كنتُ أشعرُ أنَّ كلَّ دينارٍ

(1) الكفَّارةُ هي ما يقوم به الشَّخصُ تكفيرًا عن ذنبٍ قامَ به، بالصَّوم أو الصَّدقةِ أو القضاءِ، وقيمتها تختلف بحسب المخالفة الشرعية التي حدثت. وفي هذا النصِّ يشيرُ الشَّاعرُ إلى الطَّمعِ بالأموالِ التي يكفِّر النَّاس بها عن أمواتهم. [المترجمة]

ليسَ أجرًا شريفًا،

إنَّما رشوةً

ولقمةً لا تعبرُ مِنْ البلعومِ

حتّى أصرخَ

مِنْ العذابِ الذي أقاسيه

مِنْ الألمِ الذي أتجرَّعهُ

5

بقاءٌ لا مفرَّ منهُ

لا مناصَّ

من الجلوسِ لمشاهدةِ

تغيُّرِ أكبرِ الأكاذيبِ

بلقيماتٍ صغيرةٍ

وطبقِ الفَمِ ـ أجلْ ـ

عندَما الصَّمتُ

هو علامةُ القبولِ والرِّضا

يالليحَسرةِ!

كم يجعلُ الفقرُ الفضيلةَ ـ بسهولةٍ ـ تَحتضرُ

عندما لا مفرَّ لَكَ

مِنْ الوجودِ والبقاءِ

والرِّضا والقبولِ

6

عندما يستعيدُ الأطفالُ لُعبةَ الحياةِ الرَّثةِ،

بالعملاتِ المعدنيةِ القَديمةِ،

خلفَ جدارِ البُستانِ...

آهٍ، أنتَ تعرفُ

تعرفُ أنَّني

أرغبُ بإعادةِ الكثيرِ مِنْ الأحاديثِ!

مَنظرٌ آخرُ

إذا أتيتِ بالمفتاحِ
مِنْ الحَديدِ المُذابِ
سأصنعُ بيديَّ قفلاً

إذا فتحتِ البابَ
سأبني جدارًا
مِنْ الأحجارِ

أجلْ!
القلبُ
في هذهِ الصَّحراءِ
يطلبُ منظرًا آخرَ
بحَسمٍ وحِدَّةٍ
أنتِ تلك الإجابةُ المَجيدةُ

عندما يغيبُ جميعُ
هؤلاء
ليسوا سوى
إجابةٍ فارغةٍ
حدَّ الغباءِ
كالرِّيحِ
عندما تحرِّكُ الأغصانَ والأوراقَ

يجبُ أنْ يأخذوا مِنْ ألوانِكِ
ظِلالَهم
لو كانوا يطلبونَ الحقيقةَ فعلاً

وكالرِّيحِ
التي هي وحدُها
تحرِّكُ الأغصانَ والأوراقَ،

والحُبُّ
ـ حبُّكِ كتقلُّصِ الأمعاءِ ـ

أجلْ!

القلبُ

في هذه الصَّحراءِ

يطلبُ منظرًا آخرَ.

Postumus[1]

1

الحجارةُ
لأجلِ الخندقِ،
الحديدُ
لأجلِ السيفِ،
الحبرُ
لأجلِ الحُبِّ

أنا في بحثٍ دائمٍ
داخلَ نفسي
أحاولُ بِجهدٍ

(1) وردتْ هكذا في النصِّ الفارسي، والمقصود «بوستوموس» القائد العسكري الروماني المعروف. [المترجمة]

أسعى
وأحفرُ

بقسوةٍ
أحفرُ بئرًا
أنقِّبُ
وأحفرُ

في نَغمتي
جرسٌ عديمُ الفائدةِ
أكثرُ عدمًا
من نوباتِ تشنُّجِ الاحتضارِ:
تلك الصَّرخةُ مِنْ حياةٍ بلا مأوى
مِنْ ذُروةِ ألمِ اليأسِ
تزحفُ بشَهوةٍ ملتهبةٍ إلى سريرهِ
عندَ الموتِ
عاريةً تمامًا

تبحثُ عَن نصفِها الذي لا يتجزَّأ

ـ الجسدُ ـ

كالعاهرةِ

بتفويضٍ غيرِ مشروطٍ

تتقبَّلُ نطفتَها المسمومةَ

في نَغمتي

جرسٌ عديمُ الفائدةِ

أكثرُ عدمًا مِنْ تشنُّجِ الاحتضارِ

تحاولُ دفعَ الموتِ

بتسارعٍ مجنونٍ

تريدُ أنْ تستهلكَ ما تبقَّى مِنْ الحياةِ

حتَّى يأتي الموتُ بالكاملِ

إذِنْ جرسُ نَغمتي العالي

ينتظرُ الصَّمتَ التَّامَّ...

الخندقُ لأجلِ الاستسلامِ

الحديدُ لأجلِ المُصالحةِ

الحبرُ

لأجلِ الموتِ!

2

لقد التجأتُ مِنْ المخاوفِ
إلى مدينةٍ كانتْ خاليةً تمامًا مِنْ الشَّفَقَةِ
وخَلفَ كلِّ جدارٍ
ثمَّةَ حِقدٌ ظامئٌ
يَرتقبُ صَوتَ أقدامِ العَابرِ،
وكان تجريدُ كلِّ خَنجرٍ
يطلبُ صدرًا كغمدٍ له،
وفي كلِّ قلبٍ طيِّبٍ
لوعةٌ داميةٌ، وحَسرةٌ
لَمْ أجدْ ملجأً لخَوفي
لَمْ أجدْ مِحرابًا
يحرسُني
مِنْ أملي وابتسامِتهِ السَّاخرةِ.

نَصيبي مِنْ اللهِ، كنتُ قد استهلكتُهُ منذ زمنٍ طويلٍ. لذاصنعتُ مِنْ جَسدي سلَّمًا للصُّعودِ، وبكرمٍ بدأتُ استهلكُ نَفسي، حتَّى الهبوطِ بتلكَ القمَّةِ الحادَّةِ. كنتُ قد تخلَّصتُ مِنْ نَفسي تمامًا، وانفصلتُ عَنها حتَّى

الرَّمقِ الأخيرِ؛ لذا تسلَّقتُ مَع متاعي، كنتُ أثورُ وأنطفئُ، لا قدرةَ لي على الحِملِ بطريقٍ صعبٍ للغايةِ، كتفايَ مجروحتانِ وقدمايَ يأكلهما الجُّدَرِيُّ وصولاً إلى العظمِ، كما لو أنَّ الرُّوحَ وصلتْ إلى مِنزلها، لَمْ يبقَ شيءٌ مِنْ جَسدي، كانَ عليَّ تَركي كالجُثمانِ على مصطبةِ المغتسلِ لأكونَ هناك على القّمةِ بلا أيِّ حجابٍ حقيرٍ يحجبُ الرُّوحَ.

الجَسدُ تعبَ وتحرَّرَ،

والسُّلَّمُ كانَ صعودًا بلا عودةٍ

الرُّوحُ ابتهجتْ مِنْ شوقِ انفصالٍ كهذا

لذلك جلستُ أشاهدُ

بعيدًا عَنْ صخبِ الرَّغبةِ والحاجةِ

ونظرتُ في نقاءِ عُزلتي التي كانتْ تبدو كالغابةِ بعدَ المَطرِ

في فرحِ الابتعادِ عَن المَدينةِ وحاجةِ الجَّسدِ الحَقيرةِ، وتحرُّرِ الرُّوحِ المَسرورةِ؛ نظرتُ حَولي ونظرُت إلى الخَطِّ القاتمِ لسجنِ المدينةِ، ونظرُت إلى قصبِ الأشْجارِ الأخضرِ، إلى نُموِّها العميقِ الطّامعِ بأشعَّةِ الشَّمسِ، وإلى يديهِ العاشقتيْنِ تمتدَّانِ للطَّلبِ ـ بلا انقطاعٍ ـ وتقطعانِ عُزلتي.

وأنا،

عدتُ لِذاتي كالصَّرخةِ

عدتُ لها بانكسارٍ

وبدأتُ أسَّاقطُ فيَّ كالرُّكامِ

كأني سَكبتُ وعاءً مِنْ السُّمِّ في ذاتي

هكذا تهاويتُ

الويلُ لجسدي المسكينِ! لقد جعلتهُ دنيئًا في خيالٍ كاذبٍ

ولا سبيلَ لسمو الرُّوحِ إلا بهذه الطريقةِ

جَسدي، الآنَ، مَرميٌّ باحتقارٍ على الطَّريقِ!

وأشجارُ الحَورِ بارتفاعها عبرتْ فوق عُزلتي أخيرًا،

فإنْ لَمْ تكنْ تابوتًا ستكونُ حطبًا لموقدِ امرأةٍ عجوز!

الآنَ، يعبرُ وجهُ السِّجنِ الحَجريِّ الأسودُ، ومِنْ المرتفعاتِ سينظرُ باحتقارٍ إلى حشودِ النَّاسِ، مربِّيًا الأملَ والجَّسارةَ في أحشائهِ السُّودِ!

«آهٍ، عليَّ أنْ أموتَ لوحدي في هذا الارتفاعِ الذي لا رجعةَ منه!»

في قلبِ الغروبِ المتخاذلِ، وعلى أبعدِ صخرةٍ في الجِّبالِ، ثمَّةَ «الشَّقيقاتُ السَّبعِ» بفساتينهنَّ السُّودِ الطوالِ، يتهيَّأنَ للبكاءِ والعويلِ!

إذا سألتَ النُّجومَ أقسمنَ بأنَّهنَّ رأينَني عندما كنتُ أبكي على جثَّتي وعلى أغصانِ السَّماءِ

التي كانتْ تجفُّ

لأنَّ جذورَها في قَلبي

وأنا لستُ أكثرَ مِنْ جثَّةٍ هامدةٍ

بعيدةٍ عَن ذاتها

بغضبٍ،

بلونِ الحُبِّ

وبحسرةٍ

بعدَ القمَّةِ الحادَّةِ

كانتْ قلقةً على روحِها الحَزينةِ!

3

لا مبالٍ، وغيرُ مدركٍ

أنتَ لا مبالٍ وغيرُ مدركٍ

وقابيلُ ـ شقيقُكَ في الدَّمِ ـ

يسدُّ عليكَ الطَّريقَ

مِنْ الجِّهاتِ الأربعِ

بدمِكَ

بشحُوبِ خَدَّيهِ

ليسَ مَنْ الغَضبِ

بل مِنْ الحَسدِ

ولا مفرَّ لديكَ

ليسَ مِنْ العجزِ ولا من قدميكَ المكبَّلتيْنِ

بل مِنْ الدَّهشةِ

كنتَ في وقتٍ مَضى

تلوِّنُ أوراقَ الرَّبيعِ وتَسحرُها

وعندما كانَ الخَريفُ يَفرشُ غروبَهُ

على سطحِ المُستنقعاتِ

كنتُ بمأمنٍ عَن سكاكينِهِ

كلُّ فجرٍ كانَ يبدو كالدُّعاءِ
وكلُّ مساءٍ كانَ الاستجابةَ
كمْ كانتِ السَّعادةُ
رخيصةً
وسهلةً
والحبُّ كانَ مروَّضًا
ومُتاحًا!

لأيِّ صوتٍ
لأيِّ أنينٍ
ستجيبُ
وإذا لَمْ تجبْ على الصَّراخِ
لأيِّ أغنيةٍ ستجيبُ؟
سِتارةُ المَساءِ الملوَّنةُ
آيلةٌ لصَمتِ الصُّراخِ المُوحِشِ
لأيِّ صُراخٍ
ستجيبُ؟

خَريفٌ

إلى غلام حسين ساعدي

كرةُ الذَّهبِ المُنصَهرةُ
على الحريرِ الفَيروزيِّ

(يعبرُ المَناظرَ كلَّها
في حلمٍ ذَهبيٍّ)

وشَبحُ الجَّملِ المتجولِ
على الطَّريقِ المُنحدِرِ
ينفضُ غبارَ الصَّيفِ عن كاهلهِ

يحطُّ على نقوشِ القَطيعِ
على ذلك المُخملِ الأصفرِ

ذهبٌ

ولازَوردٌ

رسمةُ فيلٍ في السَّحابِ

وشعورُ اللَّذةِ في النَّارِ

المَنظرُ

كلُّهُ

يعبرُ مِنْ أعتابِ نَومٍ ثَقيلٍ

وحلمٍ ذَهبيٍّ.

مَراثي التُّراب

1970 ـ 1969

الشِّعرُ انعتاقٌ

الشِّعرُ انعتاقٌ
خلاصٌ وحرِّيةٌ

هو شَكٌّ
في النِّهايةِ
يختمُ باليَقينِ
ورصاصةٌ تُطلقُ
في نِهايةِ المَطافِ
هو تَنهيدةٌ عَن الرِّضا
والارتياحِ
هو ثباتُ كُرسيٍّ
يزاحُ جانبًا... أخيرًا!

تحتَ أقدامِ المعدومينَ
حتَّى ثقلُ الجَّسدِ

يتحطَّمُ تحتَ الضَّغطِ بكلِّ وزنهِ
إذ تكونُ حريةُ الرُّوحِ
الطَّريقَ الأخيرَ

لَمْ يُرشْدني طائرٌ لهذا البَلدِ:
نجوتُ بِنفْسي مِنْ هذه الأرض المُظلمةِ
كالنَّعناعِ البرِّيِّ
دون تدخُّلِ البُستانيِّ
بدأتُ بالنُّموِّ عَشوائيًا تُعينني رطوبةُ النَّهرِ

لذلك، ينظرُ النَّاسُ إليَّ هكذا
كأنَّني آكلُ الخبزَ مِنْ قوتِ أيَّامهم!
وما أسْتنشقُهُ مِنْ تلوُّثٍ كأنَّهُ هواءُ أكواخِهم!

ولكنْ،
قبلَ أنْ يأتوا لهذهِ الأرضِ
مِنْ فَتحَ لَهم البوَّابةَ وتبسَّمَ؟
كنتُ أنا!

قصيدة 23[1]

1

كانَ جسدُ الشَّارعِ العاري
يقعُ قربَ المدينةِ
وكانتْ قطراتُ البلوغِ
تتصاعدُ على نباتِ السَّعدِ

وكانَ الصَّيفُ بأنفاسِهِ الحارَّةِ ثملاً
بنباتِ السَّعدِ المبلَّلِ بالمَطرِ
هكذا كانَ ينبضُ في قلبِ الحُبِّ

الشَّارعُ العاري

(1) تنويه: كتب «شاملو» هذه القصيدة حول تظاهرات أنصار «حزب توده الإيراني» في عام 1951، احتجاجًا على وصول «أفيريل هاريمان» إلى طهران للوساطة حول مشروع تأميم النفط. وقد قُتل خلالها 21 شخصًا في طهران، و17 آخرين في خوزستان. [المترجمة]

بأحجارهِ المصْفوفةِ كأسْنانِ المَحار

فتحَ فَمهُ ليمتصَّ آلامَ لذَّةِ الحُبِّ

والتفَّتِ المدينةُ، وذراعاها المُهتاجانِ في العِناقِ،

حولَهُ كي تضمَّه بقوةٍ أكثر

وكانَ التَّاريخُ يدعو بحُبٍّ جسدَها الفَتيَّ السَّاخنَ لاجتماعِ البلوغِ...
وكانتْ تمنحهُ جسدَها،

هكذا أدمتْ سَريرَ المدينةِ البِكْرِ!

سَرَتْ براعمُ المَوتِ الحَيَّةُ

على أخاديدِ المدينةِ،

والشَّارعُ العاري

عضَّ على شَفتيْهِ

في شوقهِ الكبيرِ الأخيرِ

عندما تراكمتْ حبَّاتُ عرقِ الموتِ

على وجهِ أبيهم

وامتلأَ رحمُ الأمِّ بالحياةِ،

وامتلأتْ بطنُ السَّماءِ كذلكَ

وتحرَّكتْ نجمةٌ واحدةٌ

مِنْ النُّجومِ الكبيرةِ المتفانيةِ
ثمَّ مِئةُ نجمةٍ،
نجمةُ مئةِ ألفِ شَمسٍ،
ومِنْ وراءِ أفقِ المَوتِ المثمرِ
في السَّماءِ؛
أشرقَ الموتُ المتعجرفُ!
لكنْ، الفتاةُ التي لا تملكُ قدميْنِ
لنْ تجثوَ على رُكبتيْها
فوقَ ترابِ أسنانِ العَدو المِعوجَّةِ!

وأنا أفجِّرُ حُبِّي
كالبوقِ
وأمزِّقُ قَلبي
كزهرةٍ حمراءَ
أطيرُ بروحي
كحمامةٍ
وأجرُّ صَوتي
كخَنجرٍ على بِلَّوْرِ السَّماءِ:

«يا حيرةَ أيدي سوءِ القَدرِ الطَّائشةِ!
خلفَ القُضبانِ والتَّخريمِ الأرستقراطيِّ
خلفَ الصَّمتِ وخلفَ المشانقِ
خلفَ العمائمِ وثيابِ المَكرِ
خلفَ الافتراءاتِ، خلفَ الجُدرانِ
خلفَ اليومِ ويومِ الميلادِ ـ بإطارِهِ الأسْودِ المحطَّم ـ
خلفَ العذابِ، خلفَ اللاَّ، خلفَ الظَّلامِ
خلفَ الإصرارِ، خلفَ الضَّخامةِ
خلفَ اليأسِ السَّمجِ لآلهتكم
وحتَّى، وحتَّى خلفَ جلدِ قَلبي العاشقِ، الرَّقيق،
جماليةُ تاريخٍ ما
تُسَلِّمُ فردوسَ لحمِ جَسدِها الأحمرِ الطَّريِّ
لرجالٍ بنوا أبراجًا بِعظامهم
لرجالٍ قبلاتُهم حارَّةٌ وأصواتُهم طبولٌ
وفولاذُ وسائدِ أسِرَّتهم مطارقُ»

شفاهٌ داميةٌ! شفاهٌ داميةٌ!
لو لَمْ يكنْ خَنجرُ أملِ العَدوِّ قصيرًا

لَقبَّلَتْكم أسنانُ محارِ الشَّارعِ.

وأنتِ، نيابةً عَنِّي، لمن أدْمنوا الأذى

فإنْ لَمْ يُؤذوا تخيَّلوا بأنَّهم غرباءُ عن ذواتِهم

يعتقدونَ بأنَّهم حققوا ربحًا،

وللآخرين الذين كلُّ ربحِهم مِنْ أذى الآخرين، وإذا لَمْ يحصلوا على ربحٍ، اعتبروا خساراتِهم ربحًا؛ قولي:

«اقتلِعوا مِنِّي قلوبَكم!

أيُّها الغرباءُ

اقتلِعوا قلوبَكم!

إنَّ الدُّعاءَ الذي تهمسونَ بهِ،

هو تاريخُ الأحياءِ الذينَ مَاتوا في قُراهم،

حينَ كانوا أحياءً لمْ يصحْ ديكُ الحَياةِ!

اقتلِعوا قلوبَكم،

لأنَّ سيقانَ فراشةِ فتاةٍ لا ساقَ لها

سوفَ ترفرفُ في صدرِ تاريخِنا

بدلَ قلوبِكم جميعًا

وتلكَ هي الحياةُ الواسعةُ التي تضعكم على المِحَكِّ
وتحوِّلُكم مِنْ حبَّةِ عَنبٍ إلى خلٍّ،
لأجل تلميعِ جَزمتي الممتلئةِ بالمَسامير!»
لكنْ، أنتِ، طَهِّري قلبَكِ
في نقاءِ كأسِ المَطرِ البِلَّوْريِّ،
لكي تَعرفي
كيفَ
هُم
في انفجارِ البلوغِ
رقصوا على كلِّ قبرٍ
كانَ يفتحُ فَمهِ تحتَ كلِّ إصبعٍ في أقدامِهم
وكيفَ رقصوا على بلاطِ الإصرارِ
وكيفَ
ـ في ضيافةِ موتٍ مسبقٍ،
بشهيةِ شجاعتِهم ـ
التهموا بأسنانِهم كبابَ الرَّصاصِ السَّاخنِ
ليستقرَّ بينَ الضُّلوعِ!

انصتي بِقلبِكِ
لكي أقرأَ نشيدي عليكِ:
نشيدُ أكبادِ النَّارنجِ كيفَ أعتُصرَ
في هواءِ السِّجنِ الرَّطبِ
في هواءِ التَّعذيبِ الحارقِ
في هواءِ الشَّنقِ المُرعبِ،
ولَمْ يتقيَّأ الأسماءَ الدَّاميةَ
في حُمَّى الاعترافِ المُؤلمِ.

نشيدُ أولادِ البَحر
حينَ جَثوا على الشَّاطئِ
دونَ أنْ يسجدوا على ركبِهم، وماتوا،
دونَ أنْ يَموتوا!
لكنْ أنتم،
يا أنفاسَ الأرضِ الحارةِ،
يا مَنْ تزرعونَ بذورَ الغدِ في ترابِ الأمسِ!
لو لَمْ يتحطَّمْ شِراعُ أملِ العَدوِّ
لجررتم تاريخَ قاربِهم، المقلوب، على الرِّمال!

2

مَعكم
أنتم بدمِ الحُبِّ والأيمانِ
بدمِ العَسكرِ والخُيولِ
بدمِ التَّشابهِ الكبيرِ
بدمِ الرُّؤوسِ الجِبسية في قبعاتِ الفُولاذِ
بدمِ ينابيعِ بحرٍ واحدٍ
بدمِ حيرةِ يدٍ واحدةٍ
بدمِ كلِّ مَنْ يبحثُ عَن الإنسانيَّةِ
بدمِ كلِّ مَنْ يمضغُ الإنسانيَّةَ
في المَيدانِ الكبيرِ
قمتم بتوقيعِ ديباجةِ تاريخِنا

نخلطُ دماءَنا
غدًا في الميعادِ
لنجرِّعَ العَدوَّ كأسَ نبيذِ المَوتِ
بصحةِ البُلوغِ المتصاعدِ في رَعشةِ الطَّريقِ
ليَملأَ رحِمَ أُمِّ التَّاريخِ

من نُجومِ التَّضحياتِ الكِبار،

اليومُ الثالثُ والعشرونَ

اليومُ العظيمُ من العامِ.

مَرثيةٌ

في انطفاء «فروغ فرخزاد».

بحثًا عنكِ
أبكي على عتبةِ الجَّبلِ
على أعتابِ البَحرِ والعُشبِ

بحثًا عنكِ
أبكي في معبرِ الرِّياحِ
في مفترقِ طُرقِ المواسمِ،
في إطارِ النَّافذةِ المحطَّمِ
ـ الذي يضعُ السَّماءَ الملبدةَ في إطارٍ قديمٍ ـ

بانتظارِ صورتكِ
هذا الدَّفترُ فارغٌ

إلى متى

إلى متى

ستُطوى أوراقهُ؟

أتقبَّلُ جريانَ الرِّيحِ

والعِشقُ

ـ شَقيقُ المَوتِ والخلودِ ـ

الذي قاسمَ أسرارَهِ معكِ.

إذِنْ، أصبحتِ كنزًا:

كنزًا كهذا جديرًا بأنْ يولِّدَ الحِرصَ

ويكونَ فخرًا للأرضِ.

اسمُكِ فجرٌ يمرُّ على جَبينِ السَّماءِ

ـ ليتبارَكَ اسمُكِ ـ

ونحنُ ما زلنا نُعيدُ

اللَّيلَ والنَّهارَ

ما زلنا ندورُ...

لَيْلِيَّة 26

همسُ الأغصانِ المتشابكةِ
لشجرةِ الحَورِ والصَّنوْبرِ
تبدو مؤامرةً
لرفضِ الاقتلاعِ
وكلُّ شيءٍ يبدو انعكاسًا لهذه الصُّورةِ
لأنَّ العَدوَّ في كمينٍ
والصَّمتَ ضرورةٌ للظَّلامِ
وبحلولِ اللَّيلِ
عندما يعمُّ السَّوادُ
كلُّ الأصواتِ تخمدُ
ما عدا بومةَ اللَّيلِ
قبلَ النُّواحِ الأخيرِ على كلمةِ «حقٍّ»
التفَّتْ قطرةُ دَمٍ حولَ عنُقِها
ما عدانا:
أنا وأنتِ.

وعلى هذا النَّمطِ
لا غايةٌ مِنْ اللَّيلِ
ولا نهايةٌ لهُ
وعلى هذا النَّمطِ
لا يملكُ الظُّلمُ آيةً
أبلغَ مِنْ اللَّيلِ!

بعـينـيْنِ

بعينيْنِ محدِّقتيْنِ في دهشةِ هذا الصَّباح المُباغتِ
متيبِّستيْنِ على الشَّمسِ في إطارِ النَّافذةِ
على هامةِ فجرِ نهارٍ على وشكِ الولادةِ،

حرَّرتُ يديَّ المكبَّلتيْنِ
مِنْ أغلالِ النَّومِ

صَرختُ:
« ـ أيُّها النَّاسُ!
حانَ الوقتُ لتَنظروا على ضوءِ المُعجزةِ
لتميزوا منتصفَ اللَّيلِ عن الفجرِ
لو بقيَ لَكم القليلُ مِنْ البَصيرةِ،

وتتخلَّصوا مِنْ عَمى قلوبِكم

قبل أنْ يفوتَ الأوانُ عليكم
راقبوا رحيلَ الشَّمسِ
في السَّماءِ الحالكةِ!
وانصتوا بآذانكم الصُّمِّ
إلى عجائبية غناءِ الشَّمسِ
في ليلٍ يوشكُ على الرَّحيل!»

«قال نصفُ النَّاسِ:
ـ رأينا رحيلَها المُشرقَ، أجلْ!
هتفَ النِّصفُ الآخرُ، بفرحٍ:
ـ سمعنا بآذان أرواحِنا
رحيلَها المُشْرقَ!»

وأنا بفمٍ فغرتْهُ الدَّهشةُ، قلتُ:

«يا للهراءِ!
هراءٌ
هراءٌ

أسُكارى أنتم أم تتظاهرون بالغشِّ؟

لا يزالُ اللَّيلُ في منتصفهِ

إنْ كنتُم مُسلمينَ

لَمْ يأتِ نداءٌ مِنْ القائدِ بعدْ!»

البؤرُ صارتْ براكينَ غضبٍ مفتوحةٍ:

«ـ انظروا لهذا الأحمقِ يطلبُ سببًا لأنوارِ الشَّمسِ»

عاصفةٌ مِنْ الضَّحكِ...

«انظروا!

إنَّهُ تاركُ الشَّمسِ،

وبتوقيتِهِ يريدُ إقناعَنا

أنَّ اللَّيلَ لمْ يَمضِ مُنتصفُهُ بعدُ»

عاصفةٌ مِنْ الضَّحكِ...

ألمٌ في شَراييني

ألمٌ في عِظامي
سَرى شيءٌ كالنَّارِ في روحي
شيءٌ طَوى كياني
دمعةٌ حارَّةٌ بحرارةِ الشَّمسِ
خرجتْ مِنْ عينيَّ
مِنْ مَرارةِ كلِّ البحارِ
رفعتُ كأسًا مِنْ دُموعِ عَجزي
هُم، كانوا مُولَعينَ بالشَّمسِ
لأنَّ الشَّمسَ
كانتْ حقيقتهم الوحيدةَ
كانتْ شعورهم في الواقعِ
بِنورها ودفئها
كانتْ مفهومًا لصداقةٍ بلا نفاقٍ
بإشراقها
كانتْ مفهومًا لصداقةٍ بلا خداعٍ
(ليتهم تعلَّموا مِنْ الشَّمسِ
أنْ يكونوا أحرارًا
مِنْ أوجاعِهم وأفراحهم

بقليلِ خبزِهم
وألاَّ يشهروا سَكاكينَهم
إلاَّ لتقسيمِ زادِهم)

يالليلحَسرةِ!

كانتِ الشَّمسُ مفهومًا للعدالةِ الحُرَّةِ
كانوا مولعين بالعَدلِ،
والآنَ
شمسُهم خدعتِ القُلُوبَ!
ليتني أبكي دمَ شَراييني
قَطرةً
قَطرةً
قَطرةً
ليصدقوني

ليتني أستطيعُ ـ للحظةٍ ـ وضعَ الخليقةِ على كتفيَّ،
والدورانَ بهم حولَ فقاعةِ التُّرابِ

ليشهدوا بأعيُنهم أين هي شَمسُهم

ويصدِّقوني

ليتني أستطيعُ!

في نهايةِ المَساءِ

ـ أتأمَّلُ فيكَ يا «بامداد»[1]

وحيدٌ رغمَ مجالسةِ الجميعِ!

ـ هل أنا جالسٌ وحدي؟

كلاَّ

أنا وحيدٌ مفارقٌ نَفْسي والجميعَ

ـ أتأمَّلُ فيكَ يا «بامداد»

وبجلوسِكَ في الدَّمارِ!

ـ دمارٌ؟

هل أجلسُ في الدَّمارِ؟

(1) بامداد: لقبُ «أحمد شاملو» الشِّعريُّ، وله تأويلٌ آخرُ بمَعنى الفَجرِ أو مَطلعِ النَّهارِ. [المترجمة]

أجلْ!
وأتأمَّلُ في آفاقِ أملي.

ـ أتأمَّلُ فيكَ يا «بامداد»،
وأنتَ جالسٌ في عُزلةٍ
قُربَ نافذةٍ صَغيرةٍ.

ـ سَمائي، أجلْ!
تبدو ضَيِّقةً للغايةِ

ـ أتأمَّلُ فيكَ،
كم تبدو حزينًا قربَ النَّافذةِ الصَّغيرةِ
تطلُّ على آفاقِ الَمغيبِ!

ـ لي أملٌ بلقاءِ الشَّمسِ، أجلْ!
رغمَ أنَّني أقتربُ مِنْ نِهايةِ نَهاري...

أتأمَّلُ فيكَ يا «بامداد»...

«هاملت»

أنْ نكونَ
أو لا نكونَ

ليستْ هي المسألةُ
بل تلك هي الوَسوسةُ.

النَّبيذُ السَّامُ في الكأسِ
والسَّيفُ المَسمومُ في كفِّ العَدوِّ
كلُّ شيءٍ
واضحٌ ومحسوبٌ سلفًا
والسِّتارةُ
ستسقطُ
في أوانِها

هل كان أبي نائمًا في بُستان «جثسيماني»[1]
لتكونَ صورتي إرثَ ثِقتهِ الخدَّاعةِ؟

وسريرهُ مخدعُ عمِّي!
(أنا فهمتُ كلَّ هذا فجأةً،
بلمحةٍ خاطفةٍ
بالصُّدفةِ
مِنْ نظراتِكم)

لو أنَّ شيطانًا آخرَ يخونُ الثِّقةَ
«هابيلَ» آخرَ
«جثسيمانيَ» آخرَ
ولَمْ يخنْهُ تلميذُهُ،
للَّهِ درُّهُ
للَّهِ درُّهُ!

(1) جثسيماني: أو الحديقة الجثمانية، بستان في جبل الزيتون بمدينة القدس بحسب الاعتقاد المسيحي صلَّى بهِ «المسيحُ» في اللَّيلةِ التي سبقتْ يومَ الصَّلبِ، قبلَ أن يخونَهُ «يهوذا». [المترجمة]

يالها مِنْ خيانةٍ،

يالها مِنْ خيانةٍ!

مَنْ يجلسْ وراءَ سِتارةِ الفَجرِ

يعرفْ كلَّ الفاجعةِ

ويعرفْ رثائي

مقدَّمًا

كلمةً كلمةْ

تراقبُ العيونُ ـ وراءَ سِتارةِ الفَجرِ ـ ألمي

لقد دَفعوا العُملاتِ المَعدنيةَ والذَّهبيةَ

ليصفِّقوا بلذَّةٍ

في حفلةِ البُكاءِ

في اضطرابِ الصَّوتِ والأنْفاسِ

ذلك الذي ينظرُ بنفاقٍ

ـ في الحقيقةِ ـ

ليظهرَ شُكوكَهُ

كيفَ أطلبُ مِنْ هؤلاءِ المُساعدةَ؟

وفي النِّهاية
سيُساونَني بعمِّي
ويحسبونني مِنْ سُلالتهِ،
وألمي سيكونُ أنينَ ترفٍ

لأنَّ «كلوديوس»[1]
ليسَ اسمَ عمِّي فحسب
بل سيصبحُ مفهومًا عامًّا

في اللَّحظةِ الحَتميةِ
مُنذُ أنْ تجلَّتِ الحَقيقةُ أمامي
كروحٍ مضطربةٍ وأظهرتْ قذارةَ العالَمِ
كدُخَانِ مشعلٍ في مشاهدَ كاذبةٍ،
أزعَجوا أنفي!

(1) كلوديس هو ملك الدَّنمارك وعمُّ «هاملت»، في مسرحية وليم شكسبير الشَّهيرةِ. [المترجمة]

أنْ نكونَ

أو لا نكونَ

ليستْ هي المسألةُ

بل تلك هي الوَسوسةُ.

حَسرةٌ

1

كلاَّ
هذا الثَّلجُ لَمْ يتوقَّفْ أخيرًا،

الثَّلجُ الذي يتساقطُ على حواجبِنا وشَعرِنا
حتّى ننظرَ في أعتابِ المرآةِ
وبذعرٍ
مِنْ أعماقِنا المُلتهبةِ
نَصرخُ صرخةً
تصلُ إلى قعرِ الهاويةِ

لو أشعلتَ نيرانًا قطبيةً
عندما لمعةُ نظرتكَ الرَّحيمةُ
تضيءُ الشَّمسَ على معدنِ الخَنجرِ

أَوَلا يَنبغي عليَّ تحمُّلُ ألمِ فانوسِ اللَّيلِ بكلِّ شجاعةٍ عندما يختبرُ رحمةَ قَلبي بنصلهِ الصَّلبِ؟!

لا!

ليس هناك شكٌّ

إلاَّ يقينَ حُضورِكَ

الذي يجعلُني أشكِّكُ في وجودي

أنتَ جُرعةُ ماءٍ

يسْقيها العَبيدُ الحَمامَ

ثمَّ يضعونَ الخَنجرَ على أعناقها!

2

أين أنتِ؟ انصتي! انصتي!

أنا متصالحٌ مَع نَفْسي

إلى الحدِّ الذي أدفعُ فيهِ عُمري أمامَ بسملةِ الذَّبحِ

لأنَّ الماءَ النَّقيَّ، يُطهِّرُ ظَمأي!

لأنَّني سأكونُ حُرًّا

مِنْ تَكرارِ هجاء الهَمْسِ

في صِراعِ هذه الحَربِ غيرِ المجيدةِ!

نقاءُ هذا الماءِ

على عَطشِ روحي

سأختارُ الهَجرَ رفيقَ سَفري

وضمائرُ القُضاةِ الصَّامتة

ـ غير المجديةِ ـ

تلك التي عليها صورةٌ عابرةٌ مِنْ العدالةِ

سَوف تُعيدني

إلى ذاتي.

3

هذا أنا، أجلْ!

أبكي لهذهِ المرارةِ

ذلك لأنَّ ولادتي

بعدَ أربعينَ عامًا مِنْ الألمِ

ظهرتْ في قلقِ هذه الظَّهيرةِ المَحمُومةِ

في حِضنكِ الذي هو الأمانُ

والقُبولُ

هو المداعبةُ والتَّسامحُ.

في قلقِ هذه اللَّحظةِ اليَائسةِ،

التي تمتدُّ فيها الظِّلالُ

ويملأُ اللَّيلُ فيها الوادي بأقدامٍ قصيرةٍ

ليتَ يدَكِ لَمْ تَعرفِ القُبولَ

لا المواساةَ

ولا التَّسامحَ

لأنَّ هذا كلُّهُ

انتصارُ الحَسرةِ،

إنَّها عودةُ كلِّ الرُّؤى

عِندما حملتْ مَعها الشَّمسُ السَّفرَ

إلى الأبدِ

ولنْ يمرَّ وقتٌ طويلٌ

حتَّى يكونَ هذا المَنظرُ ذكرى

وحسرةً

وندمًا

لأنَّ كائنًا في هذا القَفصِ

هائجٌ مِنْ لمسةِ يديْكِ،

يرعدُ أمامَ حركةِ هذا الرِّداءِ الأسودِ المُسافرِ

بغضبٍ حيوانيٍّ.

4

عشتُ مَع الغَضبِ والجَدلِ
وعندما أراد القُضاةُ الإثباتَ
ـ حيثُ لا يوجدُ خطأٌ في عدالتِهم ـ
أدانوا الإنسانيَّةَ،
وضربَ الأمراءُ عنقَ المَحكومِ بالسَّيفِ
لاستعراضِ القوةِ،
وضعتُ رأسَ المحتضرِ على ركبتي
وعندما أصرَّ شُركائي بالذَّنبِ
أنْ يعيشوا الحبَّ في الحلمِ
كنتُ أقفُ لكي يعبرَ الزَّمنُ الأعرجُ مِنْ أمامي،
والآنَ، على أعتابِ الظَّلامِ
يقفُ الزَّمنُ ساخرًا
لكي أعبرَ مِنْ أمامِهِ
وأُطمرَ في السَّوادِ.
بحَسرةٍ وندمٍ
أُحدِّقُ بالماضي
حيثُ تقفينَ، هناكَ!

5

كنتُ كُلِّي وجعًا
كنتُ الوجعَ.

أبدو متجلِّدًا
متَّكئًا على الوجعِ،

مثل الطَّبلِ
فارغٌ ويصيحُ
(لو يُخدَشُ جلدي
يخرجُ صوتُ طبلٍ مِنْ الوجعِ)

ومِنْ كلِّ جزءٍ في جَسدي المعذَّبِ
يتَّضحُ فسفورُ الوجعِ

في صحوتي
أدركتُ جيِّدًا
الشُّعورَ بالوجعِ العَميق
في كلِّ إشارةٍ وشكلِ

جاءَ الحُبُّ وفرَّ الوجعُ مِنْ روحي
وعندما غرقتُ في النَّومِ
بدأتِ البدايةُ مِنْ النِّهايةِ

هل كلُّ هذا قدري، أم أنَّه قدرُكِ
أمْ اللَّعنةُ الأبديَّةُ؟
كلَّما هدأَ الوجَعُ
صحا وجعٌ آخرُ
عندما كنتِ تعترفينَ بحرِّيةِ الحُبِّ
كانوا يأخذونَ الجُثَّةَ الأسيرةَ
مِنْ السِّجنِ،

انظري!
انظري كيفَ يخرجُ شَررُ الغَضبِ مِنْ عينيَّ
أبدو كتمثالٍ ضخمٍ
يتنفَّسُ مِنْ رئتيْهِ الفولاذيَّتيْنِ
من أين أتيتِ؟
يا من توجَّبَ عليكِ، الآنَ

الغرقُ بوجعِ السَّوادِ
من أين أتيتِ؟

وتراكمَ فيَّ المَللُ
وتزايدَ الحِقدُ
على عددِ حلقاتِ أغلالي
كما المياهُ
راكدةٌ وسَوداءُ
في المستنقعِ.

6

تحتضنينَ أنفاسي الغاضبةَ
حادَّةً ومسرعةً
أشعرُ أنَّني أتحرَّرُ
والحُبُّ
ينتزعُ مَوتي الحُرَّ
مِنْ المَرارةِ كلِّها

فردوسي غابةُ «شَوْكَران»[1]
وشهادتي ليستْ لها نهايةٌ

(1) الشَّوْكَرانُ: جنْسُ نَبات عُشْبيٌّ بَرِّيٌّ، عُصارتُهُ غزيرةٌ وسامَّةٌ جدًّا. [المترجمة]

التَّجسيدُ

إلى بوران صلح كل وسيروس طاهباز

لكل نقاء محبَّتهما

أنْ تعيشَ في صَرخةٍ
(تحليقُ نافورةٍ عاصيةٍ
لا يمكنها التَّخلصُ مِنْ التُّراب
لكنَّها تجرِّبُ التَّحليقَ)
مجدُ المَوتِ
في نوافيرِ الصُّراخ

(تعيشُ في أرضِ الجنونِ مَع نفسِها
لتملكَ الخصوبةَ،
لأنَّها رفيقةُ الشُّهداءِ والمتمردينَ
لتأتي بالخصوبةِ

وتمطرَها)

لتغطيَ الأرضَ ببركاتِ المَطرِ.

(الموتُ نافورةٌ

وإنَّها لَتنتمي إليهِ)

ولو تَبقَّى في التُّرابِ

سَوف يجعلها مستنقعًا

وتكونينَ مَيِّتةً كالأنهارِ الصَّغيرةِ.

كوني صرخةً حدَّ المَطر

غير ذلك

ثمَّةَ موتٌ!

الحِكايةُ

الزَّمنُ يعفورٌ
أنفقتُ حياتي
في البحثِ عنهُ.

متعبٌ ومتعبٌ
بأقدامٍ متقرِّحةٍ
ضِيقٌ في التَّنفُّسِ
ـ لأنزلَ خالي الوفاضِ مِنْ خلفِ التِّلالِ الحَجريةِ ـ
والشَّمسُ تجلسُ على أعلى القِممِ
ليصلَ اللَّيلُ ويغطيَ الأرجاءَ

الآن أتركُ الحبلَ الباطلَ
لأنَّ الشُّعورَ ببطلانهِ
ذلٌّ

الظُّنونُ تضغطُ على عنقي،

إنَّ ذلك اليعفورَ

يقفُ، الآنَ، عند خيمتي

ـ قُربَ نبعِ الماءِ ـ

وبلسانهِ المتخشِّبِ

يلعقُ الجرَّةَ الرَّطبةَ،

يعفورٌ

أنفقتُ حياتي

في البحثِ عنهُ.

صفاءُ محبَّتِهِ

يجسِّدُ الحنانَ في عينيهِ،

بكلِّ وضوحٍ.

تنزلُ الشَّمسُ على الجانبِ الآخرِ مِنْ التَّلِ

لقد انتهى وقتي

اللَّيلُ حلَّ في يديَّ

ولا يوجدُ، في الجَّرَّةِ، ماءٌ يكفي اثنيْنِ!

في العَتَبةِ

إلى مهدي أخوان ثالث م. اميد

لو
لَمْ تنظرْ في عينِ الشَّمسِ الصَّفراءِ
لن يسحرَكَ أحدٌ

غطِّ عينيكَ بيديْكَ
لتحتميَ مِنْ نفسكَ

انظرْ إلى السَّماءِ
لترى أصحابَ المعاولِ، المهاجرينَ
كيفَ أنَّهم يرتفعون
ويعبرون
الفصولَ الأربعةَ

في ممرِّ الرِّياحِ
إنَّهم في سَفرٍ دائمٍ نحوَ الجنوب

اصنعْ مِنْ يديْكَ قناعًا
حتَّى لا تسحرَ الشَّمسُ البرتقالية عينيكَ
كي ترى
أصحابَ المعاولِ
جَناحًا لجَناحٍ
يعبرونَ مِنْ البحار،
مِنْ البحار إلى الجَّبلِ الشَّامخِ،

على كتلِ القشِّ الرَّطبةِ
فوق أراضي المزرعةِ الجَّافة

وعلى نعيقِ الغربانِ
في المحاصيلِ المَهجورةِ

وعلى العاداتِ

والعقائدِ

والأراضي

وعلى سقفِ رأسِكَ

المنطفئ

وعلى روحِكَ المغمومةِ

وجلوسِكَ الحزين

في سجنِ أعوامِكَ

حتَّى لهيبُ أجنحتهم

في لهيبِ شَمسِ الغروبِ

يصبحُ رمادًا،

ترى الحزنَ

بظلِّهِ الطَّويلِ

يمشي مع خُطى الغُروبِ

ليصلَ إلى البَيتِ

ويجلسَ بجوارِكَ

خلفَ النَّافذةِ

يضعَ يدَهِ الشَّاحبةَ

في يدِكَ العَجوزِ،

والغُروبَ

وجناحَهُ الأسْودَ...

الازدهارُ في الضَّبابِ

1970 ـ 1971

رسالةٌ

عندما يحلُّ الظَّلامُ على الأيَّام، يا أبي!
السرابُ والحقيقةُ سيظهرانِ في الإبصارِ

قسمًا بِروحكَ كنتُ أرى منذ القِدمِ
أنَّكَ ستنسى كلَّ شيءٍ في يوم الاختبارِ
ستتركُ السِّلاحَ الشَّعبيَّ مرَّةً أُخرى
ولن يبقى في قلبِكَ شيءٌ مِنْ الشَّجاعةِ

لقد تركني العدوُّ في فخٍّ، تحتَ إرادتهم
على أملٍ أنْ أكفَّ عَن البسالةِ؟
قلتُ كلاَّ مئةَ مرَّةٍ إنَّني لا أريدُ الخُبزَ والضَّوءَ
أعبرُ مِنْ الطَّريقِ المَسمومِ عبرَ الرِّياحِ والشَّررِ

الآنَ، لستُ في سِجنِ العَدوِّ
لو شئتُ تحطيمَ أغلالِ قدميَّ:

بلمسةٍ مِنْ يدي تُفتحُ القيودُ
بلمسةٍ مِنْ يدي تُفتحُ الأقفالُ

بقيتُ ساكنًا في سُموِّ إيماني
في هذا العلوِّ الذي يتساقطُ فيه ريشُ العَنقاء

ما معنى الألمِ لو أنَّ الضَّربَ يأتي مِنْ يدِكَ؟
ما معنى السِّجنِ لو أنكَ أنتَ مَن تسجنُ ذاتَكَ؟

رأيتُ في البحرِ الواسعِ،
كيفَ أخرجَ النَّاسُ المُسرعونَ اللُّؤلؤَ مِنْ المياهِ المظلِمة
سمعتُ في الحكايةِ أنَّ «الإسكندر»[1] رَحلَ
وفي الظُّلماتِ بحثَ عَن اليَنبوعِ الأبديِّ
وسمعتُ الأنشودةَ التي تقولُ إنَّ الحقَّ والجَّاهَ
لا يُعطيانِ لِمن ينامُ في السَّريرِ
لستُ «سعد سلمان»[2] كي أشكوَ ألمي!

(1) ذُكر «الإسكندرُ» ضمن قائمة الملوك الشرَّعييَن لفارسَ، ووُصف بأنه شخصٌ أسطوريٌّ سافرَ إلى أقاصي العالمِ بحثًا عن ينبوعِ الشَّبابِ. [المترجمة]

(2) مسعود سعد سلمان: كان شاعرًا وخطَّاطًا وكاتبًا وفارسًا في العصر الغزنوي. خدمَ جزءًا من حياته البالغة ثمانين عامًا في البلاط الملكي، وعمل أمينًا للمكتبة الملكية فترةَ ستين عامًا. أُدينَ بالتَّآمر مع «مسعود بن إبراهيم» بمؤامرة ضد أبيه «إبراهيم الغزنوي»، وقضى آخرَ سنواتِ حياته في السِّجنِ، كتبَ خلالها أفضل القصائد ومذكراته ومعاناته في السِّجنِ على شكلِ أشعارٍ ورسائلَ. [المترجمة]

إنَّ الدَّناءةَ تسيرُ مَعي أينما ذهبتُ
في ترفُّعي لَمْ أنلْ المناصبَ
ماذا سأجني، الآنَ، وأنا في القاعِ؟

تقصُّ عليَّ المواعظَ وحِكمَ الأجدادِ
وتنسى أن أحدًا لم يبقَ معنا.

لا تشبِّهْنا بالأشجارِ المُثمرةِ!
لقد سقطتْ ولَن تعطي الثَّمارَ
حكايةُ الفقرِ حكايةٌ طويلةٌ
وتتكرَّرُ مِرارًا
لا الفقرُ،
دعني أخبركَ لتعرفَ:
ويحٌ للشَّجرةِ التي تثمرُ على وقاحةِ الأرضِ القاحلةِ،
ويخرجُ الماءُ مِنْ الخَجلِ وضيقهِ ليحترقَ على التُّربةِ!
أنتَ مثلُنا يا أبي لا تغيِّرُ مسارَكَ
ولا تصيحُ وتنوحُ ألمَ الغُربةِ
ماذا حدثَ لكَ حتَّى تخافَ أنْ تفتحَ عينيْكَ

واللُّؤلؤ الذَّهبيُّ في عينيْكَ مجرَّدُ نحاسٍ؟
ماذا حدثَ لكَ كي تخشى وقوعَ نَفسِكَ
مِنْ العَرشِ إلى أرضِ الرَّمادِ؟
عندما تسقطُ مَرعوبًا عنْ عرشِكَ الخَشبيِّ
توقِعُكَ في التُّرابِ الرُّتبُ العَسكريةُ الورقيةُ

لا تليقُ بكَ كسوةُ الذَّهبِ وعبيدِ المالِ
لماذا تعتمرُ قبعةَ الأنانية؟
تبني عَرشَكَ على المياهِ
والأساسُ الخَربُ لا يشيَّدُ في الطُّوفانِ
لن تجنيَ من هذه الصَّفقةِ سِوى قبضِ ريحٍ
لماذا تصدِّقُ حديثَ بائعي الهواء؟
إنَّها حكايةٌ غريبةٌ
أو لَمْ ترَ كيفَ يذبحوننا بِسيفِ الحِقدِ في كلِّ مكانٍ؟
أو لَمْ ترَهم يطفئونَ نورَ العِلمِ أينما وجِدَ،
ويشعلونَ النَّارَ في كلِّ المكاتبِ والرَّسائلِ؟

الأرضُ مَخضَّبةٌ بِدماءِ رفاقي
لا تنظرْ ببرودٍ في حمرةِ الفَجرِ!
انظرْ، يا أبي، أحدهم كَتبَ في المَشرقِ
تراتيلَ جديدةً عَن فتوحاتِ البَشرِ!
عندما غطستْ «كَيلان» في الدَّمِ والتُّرابِ،
ورفاقي أصبحوا في السِّجنِ،
كنتَ تعلِّمُني دروسًا عَن التَّواضعِ
أنْ أكتبَ رسالةَ التَّوبةِ للعدوِّ!
أنْ أنجوَ بِجسدي وأسجنَ روحي
وأضعَ الخداعَ مكانَ الحقيقةِ
وأعودَ إلى الصَّباحِ المشرقِ ـ واحَسرتاه! ـ
وأسافرَ مِنْ اللَّيلِ المظلمِ؟
وأبيعَ قلبي لأرتديَ الحَريرَ
وأتركَ الشَّرفَ، ثمَّ آكلَ مأكلَ الحِمارِ؟

لا تنصحني نصحَ التَّواضعِ
فهي نارٌ حقيرةٌ لا تذِّوبُ الحَديدَ
خذْ بطريقكَ الرغدِ

واتركِ الطَّريقَ الوعرَ لي

خذْ الطَّريقَ الآمنَ

واتركْ لي الخَطِرَ!

ليسَ لِسجني جدارٌ

ليسَ لِسجني جدارٌ
سوى جلدي الذي يكسو عَظمي

جدارٌ، أجلْ!
لكنْ
حولَ العالمِ
وليسَ حولَ وحدةِ روحي

آهٍ أيَّتُها
الأمنيةُ، الأمنيةُ!

جدارٌ كقشرِ البَصلِ
عندما أجلسُ في عُزلتي
تظهرُ سبعُ بواباتٍ
على حاجةِ الرُّوحِ وتعلُّقِها

الرِّياحُ ساكِنةٌ
أجلْ، ساكنةٌ جدًّا،
وعلى كلِّ بوابةٍ
سبعةُ أقفالٍ حديديَّةٍ مُحكمةٍ!

آهٍ أيَّتُها
الأمنيةُ، الأمنيةُ!

العُقوبةُ

إلى ايرج گُردى

غدوتُ ثمرةً على غصنٍ
حجارةً في كفِّ طفلٍ

ليتَ تعويذةَ مُعجزتي
تحميني مِنْ عذابِ روحي
لأنَّ يدي امتدَّتْ إلى تعذيبِ نفسي!

باستقامةٍ!
أمامَ صُورتي
اخطي خطواتِكِ كدُوارِ الغُيومِ
وحين أعودُ إلى البيتِ
من غزوِ طائرٍ غريبٍ

وقبل أنْ أفتحَ البابَ
اظهري على الشُّرفةِ
بوجهٍ كالمطرِ والهَمسِ
ولو كانَ لديكِ القليلُ مِنْ الوَقتِ
فاعلمي أنَّ يدَ حاملِ الفأسِ، في الحَدثِ، متعبةٌ،
ولَمْ يعدْ يأمرُ بشيءٍ.

وقالَ
أنا النَّاجي الأخيرُ مِنْ أبناءِ الأرض
أنا ذلك الغولُ الجميلُ واقفٌ على حدودِ اللَّيلِ

غريقُ كلِّ مياهِ العالمِ النَّقيةِ،
وشَغَبُ عينيْهِ يطلبُ نجمةً

لي في آخرِ الأرضِ تلُ حصادٍ،
هناك حيثُ التُّربةُ
تتَّكئُ كرقصةِ السَّرابِ
على خداعِ الظَّمأ

في مَسافةٍ بينَ اللهِ والإنسانِ

أجلْ!

في مَسافةِ التُّرابِ والخَواءِ

ثَمَّ تلٌّ مُتهاوٍ

وريحٌ تعبرُ مِنْ لُجَّةِ الظَّلامِ

تكنسُ شُرفتي البَاردةَ

رأيتُ عبيدًا رفيعي المُستوى

في القصورِ العاليةِ

يرتدونَ أطواقًا ذهبيةً حولَ أعناقِهم

والأحرارُ

يغنونَ ـ بثيابٍ رثَّةٍ ـ في طريقهم إلى المذبحِ!

بيتي في نهايةِ العالمِ

على مسافةٍ بينَ التُّرابِ والخَواءِ

قيل لَنا:

«سنعلِّمكم الأحاديثَ المقدَّسةَ،

لكنْ عليكم تحمُّلُ عقوبةٍ مُهلِكةٍ»

وتحملنا عذابَ العُقوبةِ دهرًا طويلاً
حتَّى فرَّتِ الأحاديثُ المقدسةُ مِنْ رؤوسنا!

صَبُوحٌ[1]

إلى «م آزرم»، الشَّاعرِ الإيرانيِّ المعاصرِ «نعمت ميرزاده».

كنتُ مُشكِّكًا
في التَّحليقِ
عندما انحنتْ كتفي
من ثقلِ الأجنحةِ،

وفي براءةِ لعبةِ الذِّئبِ والشَّاةِ
رفرفَ اللَّيلُ الأعمى الجائعُ بجشعٍ،

كنتُ
مشكِّكًا

(1) صَبُوحٌ: ما يُؤْكَلُ ويُشْرَبُ صباحًا، واقترنتْ بخمرِ الصَّباحِ، بخلافِ «الغَبوقِ» التي تُشربُ في العشيِّ. [المترجمة]

في التَّحليقِ

بدأ سِحرُ الاسمِ الكبيرِ حليبيِّ اللَّونِ
بالظهورِ فجرًا،

قلتُ لمريمَ كانتْ تزدهرُ: «هل أنتِ متشوقةٌ للقاءِ ربِّكِ؟»
دونَ أنْ تتفوه بالإجابةِ
أخذتْ تعبَ الولادةِ المتجدِّدةِ
إلى النَّومِ العَميقِ
كظهورِ ذلك الاسمِ الكبير

والشَّكُّ
على كتفيَّ المُنحنيتيْنِ
حلَّ محلَ الأجنحةِ الثقيلة
بعدها، لَمْ تعدْ لي رغبةٌ
بالتَّحليقِ.

النَّاجِيانِ

في ضجيجِ السَّيَّاراتِ الشَّديدِ
واختلاطِ الأذانِ بـ «الجَّازِ»
سمعتُ تغريدَ قُمريَّةٍ صَغيرةٍ
كما لو أنَّني أرى نجمةً وحيدةً
خلفَ سِتارةِ الدُّخانِ والغيومِ

هناكَ، حيثُ يضعُ المُذنبونَ
ميراثَ براءتِهم الثَّقيلَ
على جَبينِ الألمِ وأعتابِ محرابِهِ العالي،
يهطلُ مطرُ الدُّموعِ غيرُ المثمرِ
على التُّرابِ
النَّجاةُ والفَلاحُ يأتيانِ
مِنْ أربعِ جهاتِ الأرضِ مُكبَّلَيْنِ بالأغلالِ، تائهيْنِ،
القُمريَّانِ،

على الشُّرفةِ البَاردةِ

ينصتانِ إلى هبوبِ صراخِ طُوفانِ الرَّجاءِ

والأذكارِ غيرِ المُجديةِ

ويضعانِ البُذورَ في أفواهِ بعضهما البعض

والحبُّ

يُشيِّدُ من حولِهما

جِدارًا آخرَ.

فصلٌ آخرُ

دونَ أنْ تبصرَ العينُ،
في البُستانِ
يمكنُ الشُّعورُ
بمَسارِ الرِّياحِ العكسيةِ
ويأسِ الورقةِ الخَضراءِ
حينَ تهوي على الأرضِ بوقارٍ

على زجاجِ النَّافذةِ
يتراكمُ النَّدى
لا يمكنُ النَّظرُ
حتَّى تلجأ إلى ذاتِكَ وترى بعينِ القلبِ
بالشَّمسِ والنَّار
لا دفءٌ ولا ضياءٌ
حتَّى تحفرَ التُّرابَ الباردَ

في حلمِ البراكين
هذا فصلٌ آخرُ
وبرودتُهُ تلفُّ إدراكَ مَفهومِ الجَّمالِ
الصَّريحِ مِنْ الدَّاخلِ
المجدُ للخَريفِ
حينَ يعصفُ بألوانهِ المتنوعةِ، الرُّؤى!

نحاسُ الشَّمسِ مشتعلٌ
مشعلُها لَمْ ينطفئ
كالعام الماضي:

أنا المنطفئُ!

الحكايةُ كالتالي:
شيءٌ ما فسدَ في صَدري،
في جَسدي،
ولا يحترقُ هذا العامُ!

نشيدٌ لرجُلٍ مُضيءٍ، ذهبَ إلى الظِّلِّ

كان يتَّكئُ
مقتنعًا، مكتفيًا
نحيفًا وطويلاً
كخطابٍ صَعبٍ في اللُّغةِ!

بعينيْنِ تفيضانِ بالسُّؤالِ والعَسلِ
بوجهٍ مَحمومٍ
مِنْ الحَقيقةِ والرِّيحِ

رجلٌ بحلقاتِ المياهِ من حَولهِ
رجلٌ مختِصرٌ
كانَ يختَصرُ ذاتَهُ

ينظرُ دودُ الأرضِ إلى جنازتكَ بسُوءِ ظنٍّ

وقبلَ أنْ يحوِّلَهُ غضبُ الصَّاعقةِ إلى رمادٍ

سَحبَ لجامَ ثورِ العاصفةِ!

مَضى عن المُعتقداتِ الباليةِ

وفكَّ بأسنانهِ أقفالَ البواباتِ القديمةِ

مسحَ أنفه على أكثرِ الطُّرقِ قفرًا

ـ عابرًا لا ينتظرهُ أحدٌ ـ

لكن في كلِّ غابةٍ وعلى كلِّ جسرٍ

كانوا يعرفونهُ مِنْ أغنيتِهِ

تبقى الطُّرقُ مستيقظةً بإثرِ خُطاكَ

حينَ كنتَ تذهبُ لاستقبالِ النَّهار

رغم أنَّ فجرَكَ

بزغَ

قبل صياحِ الدِّيَكةِ

ازدهرتْ الطَّيرُ بأجنحتها

والمرأةُ بنهديْها

والحديقةُ بأشجارها

ونحنُ على أعتابكَ نزدهرُ

في ذهابكَ المسرعِ

نحنُ نزدهرُ في كتابكَ

في الدِّفاعِ عَن ابتسامتكَ

التي هي اليقين وهي الإيمان

ويغارُ البحرُ مِنْ جرعةٍ تَرشفُها مِنْ البئرِ.

الآباءُ والأبناءُ

كانتِ الحياةُ
تعبرُ مِنْ السَّطحِ
غريبةً
ومتموِّجةً

تضعُ كلَّ ما تملكهُ في جيبِها
وما لا تملكهُ في كفِّها
فهذا هو الشَّرفُ والقانونُ!

كانتِ الحياةُ
انطفاءً واجترارًا
كانتْ ولادةً في قبرٍ مظلمٍ
(هذا إنْ لمْ يُطلقْ الرصاص على رأسكَ بعدُ!)

والجحيمُ في كتابهِ المصوَّر

فيه عينان معصوبتان بمنديلٍ مهتريءٍ

(هكذا كانوا يعلِّقونَ المحكومينَ على المشانقِ)

عينا أبي

لَمْ تعرفا الدُّموعَ يومًا

لأَنَّهُ لَمْ يرَ العالَمَ بشَمسِهِ يومًا

كان يقولُ: «نعم» وهو لا يعلمُ

بأنَّ ولدَهُ قال: لا!

لقد جلسوا في الانتظارِ وقتًا طويلاً

حتَّى يأتي نشيدٌ مِنْ السَّماءِ

بدأ عدُّهم

دونَ أيِّ أغنيةٍ

والتَّاريخُ

أصبحَ تَعاقُبَ الفاجِعةِ.

إبـراهيمُ في النَّارِ

1974 ـ 1973

لَيْلِيَّة 27

لا بابٌ
لا طريقٌ
لا لَيلٌ
لا قَمرٌ

لا نهارٌ ولا شَمسٌ،
نقفُ خارجَ الزَّمنِ
بخَنجرٍ حزينٍ في الغمد

لا يتكلمُ أحدٌ مع أحدٍ
يتحدَّثُ التَّعتيمُ بألفِ لُغةٍ

نحدِّقُ في ميتتِنا
بقالبٍ مبتسمٍ
وننتظرُ دورنا
دونَ أيِّ ضحكةٍ!

لَيْلِيَّة 28

لو أنَّ اللَّيلَ جميلٌ دونَ جدوى!
لماذا اللَّيلُ جميلٌ؟
لأجل مَنْ اللَّيلُ جميلٌ؟

اللَّيلُ ونَهرُ النُّجومِ القائمُ
الذي يمرُّ باردًا
والمُعزِّياتُ بجدائلَ طوالٍ
على جانبي النَّهرِ
تذكيرٌ لأيِّ ذكرى
لقصيدةٍ تحبسُ أنفاسَ الضَّفادعِ
وتعزِّيها
حينَ يُثقَبُ كلُّ فجرٍ
ليتناغمَ مع أصواتِ اثنتي عشرةَ رصاصةً؟
لو أنَّ اللَّيلَ جميلٌ دونَ جدوى!

لماذا اللَّيلُ جميلٌ؟

لأجل مَنْ اللَّيلُ جميلٌ؟

لَيْلِيَّة 29

رجلٌ أنشبَ مخالبهِ في السَّماءِ
حينَ صرخَ دمَهُ
وفمُهُ كانَ مُطبقًا

خَنجرٌ ملوثٌ بالدَّمِ
على الوجهِ الأزرقِ المُحالِ!

هكذا
هُم العشَّاقُ

قُبيلَ اللَّيلِ
انصبْ خَيمتَكَ،
ولكنْ حينَ يبزغُ القَمرُ
استلَّ سيفَكَ
وضعهُ
بقُربِكَ

لَيْلِيَّة 30

المفتاحُ الفضِّيُّ الكبيرُ
في البِركةِ الباردةِ
مَكسورٌ
البوابةُ المُظلمةُ
مغلَقةٌ

«أيُّها المسافرُ الوَحيدُ!
بنارِكَ الضئيلةِ
أيُّ فجرٍ تنتظرُه
تحتَ ظِلالِ الصَّفصافِ؟»

الهِلالُ السَّاطعُ
في البِركةِ الباردةِ
مكسورٌ
والبوابةُ الفضِّيةُ
بسبعةِ أقفالٍ سِحريةٍ، مغلقةٌ.

لَيْلِيَّة 31

أنا وأنتِ

لسنا بلا سببٍ

حقًّا

يا غَزَلاً، أيُّ صلةٍ لكِ بالقصيدةِ؟

أيَّةُ إجابةٍ مضيئةٍ للشَّمسِ أنتِ؟

عندَ نافذةِ الظَّلام!

الحَدِيثُ يتشكَّلُ مِنْ خلالِ نظراتِكِ

مباركةٌ تلك النَّظرةُ التي تشرعينَ بِها!

مِنْ وراءِ بؤبؤي عينيكِ

صرخةُ أيِّ سِجنٍ أنتِ؟

وكيفَ تقذفين زهرةَ الحريةِ الحمراء

على الشِّفاهِ الجَّامدةِ؟

لأنَّ لعبةَ النُّجومِ هذه

حاشا

أنْ تكونَ مدينةً للشَّمسِ

النَّظرُ آمنٌ بصوتِكِ

بإيمانٍ،

كم تتغنينَ باسمي!

وقلبُكِ

حمامةُ سلامٍ

ترفرفُ في الدَّمِ

على سطحِ المَرارة

مع كلِّ هذا

كم ـ على ارتفاعٍ ـ تحلِّقينَ

عاليةً!

إشَارةٌ

شتمَ ابنُ آوى
ـ المصابُ بالقوباءِ ـ
القَمرَ العملاقَ!

نصحوا الشُّيوخَ
بوصفةٍ كهذه
للتَّخلُّصِ مِنْ المرضِ

تظنُّ نفسكَ حكيمًا
حينَ تنبحُ الرَّعدَ
لكنْ
في قانونِ «بن سينا»
لا تُوجدَ إشارةٌ شافيةٌ للجنونِ!

القِيامُ

لماذا يبكي الفجرُ؟
سألتُ وأتساءلُ

تعفُّنكَ مِنْ صبرٍ
زاولتهُ
لتصلَ إلى هاويةِ الوهنِ

«أيوبُ» أنتَ
إذْ كنتَ قبل هذا بدأتَ بالقِيامِ
وكانَ «الخِضرُ»[1] في كلِّ خطوةٍ
ينمو ويَمتدُّ على التُّرابِ
ورياحُ ثوبِكَ عاصفةً كانتْ تزيلُ

(1) استخدم «شاملو» اسم شخصية «الخِضر» المحورية كرمز للخصوبةِ والخُضرة على الأرض.

التَّرتيبَ الورقيَّ للأزهارِ الشَّائكةِ

قلتُ هذا دائمًا

وأقولهُ باستمرارٍ!

في المَيدانِ

ما يُرى
وما يعبرُ أمامَ الرُّؤى

ما يزاولهُ المقاتلونَ
يمكنُ أنْ يكونَ على امتدادِ المَراعي،
والأطفالُ
قوسُ قَزحٍ
راقصٌ
وصاخبٌ

لكنَّ الذي يقفُ مبتسمًا أمامَ الحكمِ الأخيرِ
يمكنهُ فقط
أنْ يكونَ ابتسامةً
أمام «النَّار!»

الصَّيفُ

عَذارى البُستانِ
مِنْ وراءِ الوشاحِ
مِنْ الأكمامِ الخُضرِ
يرسلْنَ القُبَلَ
إلى العابرِ المتعَبِ

عندما تهبُّ الرِّياحُ
ذراتُ اللُّقاحِ لها رائحةٌ أُخرى

ما الفاكهةُ التي تثمرُها
الشَّجرةُ المَتينةُ
هذا العام؟

حتَّى الطُّيورُ
لن تحتاجَ بعدها
إلى قفصٍ!

الضَّمادُ

تتَفَيَّحُ الضِّحكةُ
لو ضمَّدتَها

أطلِقْها،
أطلِقْها،
حتَّى لو
أزعجتْ قيلولةَ العِفريتِ!

هذا مرتعٌ
مَرتعٌ كبيرٌ
والأزهارُ، فيهِ، بقعُ دَمٍ ناريَّةٌ
قلْ إنَّ هذا مَرتعًا،
وليس جِلدَ الجَلاَّدِ الأخضرَ
حتَّى وإنْ فاتَ أوانُ الرَّبيعِ
على هذا المَسلَخِ.

كي لا تتقيَّحَ ضِحكتُكَ

أطلِقْها،

مثلَنا، أطلِقْها!

نشيدُ: إبراهيمُ في النَّارِ

في إعدامِ «مهدي رضائي» بميدان «چيتگر».

في أطلالِ الغَسقِ الدَّامي،
كانَ هناك رجلٌ مختلفٌ،
ذلك الذي أرادَ التُّربةَ خضراءَ
والحبَّ لائقًا بأجملِ النِّساءِ
وبدتْ غايتهُ نادرةً
حتَّى كلَّفتْهُ التُّرابَ والحَجرَ.

يالهُ مِنْ رجلٍ! يالهُ مِنْ رجلٍ!
كانَ يقولُ
اجعلْ قلبكَ يَغرقُ بدمِ سبعةِ سيوفٍ ليليقَ بالحُبِّ
واشحذْ حنجرتَكَ أكثرَ لتليقَ بنطقِ أجملِ الأسْماءِ
وكانَ أسدُ «آهن كوه»، رجلاً مِنْ أهلِ هذا الحُبِّ

حتَّى غَمَرَتْ دماؤه كعبَ القَدمِ

في الميدانِ الدَّامي،

رجلٌ قويٌّ

سرُّ موتهِ

خلف حزنِ الحُبِّ وأسَى الوحدةِ

«آهٍ، يا اسفنديارَ المغمومُ!

مِنْ الأفضلِ أنَّكَ أغمضتَ عينيكَ!»

«هل قولُ لا

النُّطقُ بـ (لا)

هو ما صنعَ مَصيري؟

أنا فقط

صرختُ: لا!

رفضتُ الرُّضوخَ فقط

كنتُ صوتًا، شكلاً مِن بين الأشْكال،

ووجدتُ المَعنى

كنتُ أنا

ثمَّ أصبحتُ

بُرعمَ زهرةٍ

أو جذرًا

يريدُ النُّموَّ

أو بذرةً

في تلكَ الغابةِ

لذا أصبحتَ حقيقيًّا،

مِنْ رجلٍ عاديٍّ

إلى شهيدٍ،

تُصلِّي السَّماءُ لأجلكَ

أنا المسكينُ

لَمْ أكنْ عبدًا طيِّعًا،

وطريقُ فردوسي

لَمْ يكنْ طريقَ الخُنوعِ والذُّلِّ،
كان لي أنْ أختارَ إلهًا آخرَ
يليقُ بمخلوقهِ الذي لَمْ يَخضعْ ولمْ يحنِ عنقَهُ خانعًا

وصنعتُ إلهًا آخرَ»

يا للحسرةِ
أسدُ «آهن كوه»
الذي كنتَهُ أنتَ
كالجبلِ
قبل أنْ تهوي على الأرضِ
بكاملِ قواكَ، ودون استسلامٍ،
كنتَ ميِّتًا!

لكنْ، لا اللهُ ولا الشَّيطانُ كتبا قدرَكَ
بل صنمٌ كانَ الآخرونَ يعبُدونهُ،
صنمٌ
كان الآخرونَ
يعبُدونهُ!

في الغُربةِ

منذُ أمدٍ والغُربةُ تفتكُ بقدميَّ

والآنَ،
عُرفُ الحصانِ الوحيدِ
في أراضي الشَّوكِ المظلمةِ
ينصتُ إلى صرخةِ الطَّائرِ الوحيدِ
ولا يُربكُهُ سِوى النَّسيمِ الخَفيفِ.

أنا أعرفُ ذلكَ أيُّها الأخوةُ!
أراهُ جَيِّدًا
رغم أنَّ بَيني وبينَ الأراضي الصَّامتةِ
أبراجًا عاليةً ووَلْوَلة الوديانِ،
كان النَّباتُ والطَّائرُ يتمنَّيانِ النُّموَّ والتَّحليقَ
هناكَ

في السَّماءِ،

لكنْ،

يعبرُ نشيدٌ طويلٌ

وطنينهُ يُسمَعُ أيُّها الأخوةُ!

أنا هنا أغرسُ قدميَّ بقوَّةٍ

لأقولَ هذا:

رغم أنِّي بعيدٌ عَن المكانِ

الذي يجبُ أنْ أكونَ فيه

أنا أسيرُ روحي المتمردةِ

والشَّمسُ مِنْ دوني

تشرقُ على حقولِ الأرزِّ في الوادي

وتمرُّ بغربةٍ وحزنٍ

يعبرُ نشيدٌ طويلٌ

وطنينهُ يُسمَعُ أيُّها الأخوةُ!

أنا باقٍ هنا، بعيدًا عَن أصلي

لأقولَ هذا

برسالتي
خدعتُ الموتَ حتَّى الآنَ...

على السَّماءِ
يعبرُ نشيدٌ طويلٌ.

أغنيةُ العَتمةِ

على أرضِ الصَّباحِ الرَّماديةِ
فارسٌ
يقفُ ساكنًا
وعُرْفُ حصانهِ الطَّويلِ
يتحرَّكُ
في الرِّياحِ

يا إلهي!
يا إلهي!
لا ينبغي للفُرسانِ الوقوفُ
حينَ تنذرُ الحادثةُ بمجيئها

قربَ السِّياجِ المحترقِ
الفتاةُ

تقفُ بسكونٍ

وتتحرك تنورتُها الخفيفةُ مع الرِّياحِ

يا إلهي!

يا إلهي!

على الفتياتِ ألاَّ ينطفئنَ

عندما يتقدَّمُ الرِّجالُ اليائسونَ

والمرهَقونَ

في السِّنِّ!

الرَّصاصةُ الأخيرةُ كما يزعمونَ

سالتْ الكلمةُ الأخيرةُ مِنْ لِساني
كسيلِ دَمِ ضحيةٍ بلا بيِّنةٍ على المَذبحِ

أو كدمِ «سياوش»[1]
(دمِ كلِّ شَمسٍ لَمْ تَشرقْ بعدُ،
أو على وشكِ الشُّروقِ،
أو أنَّها لَنْ تشرقَ أبدًا!)

أنا تفوهتُ بالكلمةِ
كالعهدِ الجيَّاشِ
ووقفتُ حتَّى تُردِّدَ الرِّيحُ صَداها
على أرضِ القلعةِ المقفرةِ

(1) سياوَش بن كيكاوس: شخصية أسطورية رئيسية في ملحمة الشاهنامة للفردوسي، خلاصة قصته أنه قُتل غدرًا على يد أفراسياب. [المترجمة]

الاسمُ المجيدُ

كما قالَ «حافظٌ»

والكلمةُ الأخيرةُ

كما أقولُ «أنا»

كآخرِ نفَسٍ لحَمَلٍ بريءٍ

على حجارةِ المَذبحِ القاسيةِ

بينما تعبرُ رائحةُ الدَّمِ

في مَهبِّ الرِّيحِ!

البُرودةُ في الذَّاتِ

سَببُ اِرتعاشِ يَديَّ وقَلبي
أنْ يكونَ الحُبُّ
ملاذًا،
لا للتَّحليقِ
بل للهروبِ!

أيُّها الحبُّ،
أيُّها الحبُّ!
وجهُكَ الأزرقُ غائبٌ

وأنْ يكونَ برودةَ مَرهمٍ
على لهيبِ الجُّرحِ
لا على وجدِ الشُّعلةِ
في البرودةِ التي بِذاتي.

أيُّها الحبُّ،
أيُّها الحبُّ!
وجهُكَ الأحمرُ غائبٌ

غبارُ السَّكِينةِ الأسودُ
على حضورٍ واهنٍ
ونعمةُ التَّحرُّرِ
على تجنُّبِ البقاءِ

السَّوادُ
على هدوءِ الأزرقِ
وخَضارُ الورقةِ
على الأرجوانِ

أيُّها الحبُّ،
أيُّها الحبُّ،
لونُكَ المألوفُ غائبٌ!

مَوتٌ كهذا

أريدُ الموتَ في حلمِ «الأكاسيا»!

كالخَيالِ
في نسيمٍ خفيفٍ يعبرُ بِحَذرٍ

أريدُ حلمَ «الأكاسيا»
لأموتَ فيهِ

أريدُ استنشاقَ أنفاسِ «البتونيا» الثَّقيلةِ
والتَّحليقَ مَعها
في حدائقِ الصَّيفِ،
برطوبةٍ ودفءٍ
في أُولى ساعاتِ المَساءِ
أريدُ التَّحليقَ

مع أنفاسِ «البتونيا»

حتَّى لو وضعتْ الزَّنابقُ السُّودُ

سكاكينها على صَدري،

أريدُ الموتَ في حلمِ «الأكاسيا»

في آخرِ فرصةٍ للزَّهرةِ،

وأكونُ عابرَ زهرةِ «البتونيا»

في الغُرفِ الزجاجيةِ

في السَّاعةِ السَّابعةِ مساءً!

مَحاق[1]

إلى «گوهرمراد»[2].

ذهبتُ إلى سَطحِ البيتِ
لأجدِّدَ القمرَ
جلبتُ معي عقيقًا وخَضارًا ومِرآةً

عبرَ السَّماءَ شهابٌ باردٌ
وصارَ تحليق الحمام محرَّمًا

(1) مَحاق: آخرُ الشَّهرِ القَمَريِّ، وما يُرى في القَمَر من نَقْصٍ في جِرْمه وضَوئِهِ بعدَ انتِهاء لَيالي اكتمالِهِ. [المترجمة]

(2) گوهر مراد: غلام حسين ساعدي (ولد عام 1936 في تبريز ـ توفي عام 1985 في باريس) كان طبيبًا وكاتبًا إيرانيًا معروفًا تحت الاسم المستعار گوهر مراد. كان لديه انتماء سياسي مع «حزب فدائيي خلق» وكان من أتباع الكاتب جلال آل أحمد، وعضو رئيس في مؤسسة الأدب والفكر السياسي، انضمَّ إليها منذُ بداية تشكيل رابطة كُتَّاب إيران، لكنَّ حياتَه لم تدمْ طويلاً، فهرب إلى فرنسا عبر باكستان بعد الثَّورة الإسلامية. توفي على مشارفِ الخمسين من عمرِهِ بمستشفى سان أنطوان في باريس، بعدَ إصابته بنزيف داخلي، ودُفِنَ في مقبرة برلاش بالعاصمة الفرنسية باريس إلى جوار الكاتب المعروف صادق هدايت. [المترجمة]

همسَ الصَّنوبرُ شيئًا

غرسَ الحُرَّاسُ

ـ بضجيجٍ صاخبٍ ـ

السَّيفَ في بطونِ الطَّيرِ...

القمرُ

لَمْ يبزغْ!

مَزْجٌ

كانتِ الفرصةُ قصيرةً للغاية
والحَدثُ غيرُ مُتوقَّعٍ

لَمْ يحالفْنا الحَظُّ بأنْ نتذوَّقَ الرَّبيعَ جيِّدًا
لأنَّ القفصَ يُذبِلُ البُستانَ

خابَ ظنِّي
بالشَّمسِ والشَّهيقِ
وشَفتايَ لَمْ تَشبعا مِنْ القُبلِ

عاريًا
قلْ لهم يدفنوني عاريًا
عاريًا تمامًا
كما نصلي مِنْ أجلِ الحُبِّ،
بلا شَائبةِ الحِجابِ
سَأمتزجُ بحُبٍّ مَع التُّرابِ.

إشَارةٌ

إلى «إيران درودي»[1].

قبلَكِ رسَّامونَ كُثر
رسَموا مَزيجًا مِنْ الأوراقِ والغِزلانِ
أو في خُطوطِ سُفوحِ التَّلالِ
أو القَطيعِ
وراعيهِ الذي غابَ ما بينَ الغيومِ وقممِ الجِّبالِ
وأنَّهم
مِنْ الشَّبعِ أو البَساطةِ
في غابةٍ مليئةٍ بالصُّورِ الضَّبابيةِ

(1) إيران درودي: رسامة إيرانية بارزةٌ، ومخرجةُ أفلام وكاتبةٌ وناقدةٌ فنيةٌ، وأستاذةٌ جامعيةٌ لتاريخ الفنِّ. وُلدتْ عام 1936 لعائلةٍ أرستقراطية في مدينة خُراسان، وتوفيت في العام 2021. يعتبرُها البعضُ من أتباعِ المدرسة السريالية، بينما وصفها «سَلفادور دالي» بأنَّها فنانة من الشَّرق تتمتع بذوق وموهبة متناهيينِ. أخرجتِ السَّيدة درودي، وأنتجتِ، العديدَ من الأفلام الوثائقية والأفلام القصيرة للتلفزيون الإيرانيِّ خلالَ عام 1970. كما عَرضتْ أعمالَها في أكثر من 63 مَعرضًا فرديًا، و250 معرضًا مشتركًا داخل إيران وحولَ العالَم. [المترجمة]

رسَموا

أيّلاً جائعًا

يخورُ

أنتِ جسّدي خطوطَ التّشابهِ:

بينَ الآهةِ والحَديدِ والجِّيرِ الحَيِّ

بينَ الدُّخانِ والكذبِ والوَجعِ

لأنَّ التَّعتيمَ

ليسَ مِنْ تقوانا

صمتُ الماءِ

يمكنُ أنْ يكونَ سببَ الجفافِ أو صَرخةَ ظَمأ

صمتُ القَمْحِ

يمكنُ أنْ يكونَ سببَ الجُّوعِ أو صَرخةَ المَجاعةِ المُنتصِرةِ

كما أنَّ صمتَ الشَّمسِ

هو الظَّلام،

لكنْ، صمتُ الإنسانِ هو فقدانُ العالمِ واللَّهِ:

ارسمي الصَّرخةَ

ارسميها!

ارسمي زماننا

في انحناءِ السَّوطِ على سَطرِ العَذابِ

ارسمي جاري

الغريبَ مَع اللَّهِ والأملِ،

ارسمي قَداستي

التي لوثوها وبِيعتْ بالدِّرهمِ والدِّينارِ.

ملَكْنا كلَّ ألفاظِ العالَمِ

لكنَّنا لَمْ نقُلْ شيئًا

يفي بالغَرض

لأنَّ كلمةً واحدةً،

واحدةً فقط،

لَمْ تكنْ في حَوزتِنا:

ـ الحُرِّيةُ!

نحنُ، لَمْ نقُلْها

أنتِ، ارسُميها!

فرصةٌ

طائرٌ في العُشِّ
زهرةٌ في الجَزيرةِ
نجمةٌ في المَجرَّةِ

بجبينِكِ العالي فكرتِ في جُسيمةٍ
كانتْ تنمو في غلافِ النَّباتِ
لتُغنِّي الحَديقةُ بالأنغامِ
كما تعبرُ عُصارةُ التُّربةِ في سَاقِ النَّباتِ
لكي تلوِّنَ صُورةَ الصَّيفِ بِلونٍ آخرَ
على الجَزيرةِ التي تمضينَ مِنها
يتناوبُ النَّهارُ واللَّيلُ
أمامَ شَمسٍ تحترقُ ذاتُها
أنتِ تجدِّدينَ الميلادَ مرَّةً أُخرى
في نظامِهِ القَانونيِّ
وعُثَّةُ الظَّلامِ
تعدُّ دقاتِ زمانِكِ جيِّدًا.

ولادةٌ لمَنْ ماتَ على التُّرابِ بحُبٍّ

في استشهاد أحمد زيبرم[1] في أزقَّة نازي آباد

1

انظرْ كيفَ يسقطُ ـ بكلِّ تواضعٍ ـ على الأرضِ
ذلكَ الذي أغصانُ يديهِ الرَّقيقةِ
صنيعةُ محبَّةِ اللهِ

وعندَ تمرُّدِهِ:
عُلوُّ الجَّحيمِ خفيضٌ

(1) أحمد زيبرم: ولد عام 1944 في ميناء أنزلي شمال إيران، بدأ العمل طفلًا كصيَّاد سمكٍ. بعد الخدمة العسكرية، عمل في إحدى المكتبات ببلدية طهران، وانضم إلى «حزب فدائيي خلق» أواخر أربعينيات القرن الماضي، وكان حاضرا خلالَ العديد من عمليات التنظيم في طهران. في أغسطس من عام 1972، عثرتْ عليه قوات السافاك التابعة للنظام البهلوي في أحد أحياء جنوب طهران. لجأ أحمد زيبرم إلى أحد البيوت القريبة منه، حيث استمرت القوات في محاولة إلقاء القبض عليه وعندما عرف أنه محاصر من كل الجهات؛ قاد ساكني المنزل إلى الطابق السفلي حتى لا يتعرضوا للأذى، وطلب من السيدة صاحبة المنزل الحصول على قطعة قماش وإناء وضع ذخيرته في داخله، ودفع كلَّ ما بجيبه لصاحبة المنزل. قاتل أحمد زيبرم السافاك حتى النهاية، ولكي لا يقعَ في أيديهم شرب سم السيانيد وأنهى حياته بآخر رصاصة لديه، مثل العديد من رجال الحزب الآخرين. [المترجمة]

ذلك الذي يموتُ لأجلِ «نعم» واحدةٍ
لا بجُرحِ مئةِ خَنجرٍ،
ولَن يموتَ، إلاَّ إذا فتكتْ بهِ الإهانةُ
إنَّهُ قلعةٌ عَظيمةٌ وتعويذةُ بوَّاباتِهِ
كلمةٌ صَغيرةٌ عَن الصَّداقةِ

2

مَنْ ينكرِ المَحبَّةَ
ـ هكذا بكلِّ إصرارٍ وعنادٍ ـ
يخفِ خَنجرًا في ردائه!
لأنَّ العاشقَ
يعترفُ مُناديًا
ووجودُهُ كلُّه يصبحُ كالصَّرخةِ.

3

انظرْ كيفَ تتحطَّمُ ـ بكلِّ تواضعٍ ـ ملامحُ وجهٍ لا تغيِّرُها العاصِفةُ؛ أمامَ بوَّابةِ الفَضيلةِ!

انظرْ كيفَ وقعَ ـ بكلِّ تواضعٍ ـ أمامَ أعتابكَ

ذلك الذي كان بإمكانهِ معانقةُ خَصْرِ البَحرِ!

انظرْ

كيفَ سجدَ أمامَ قدميكَ،

ذلك الذي مماتهُ ولادةُ ألفِ أميرٍ مَهيبٍ...

انظرْ!

خَنجرٌ على طَبقٍ

1974 ـ 1977

مَأدَبةٌ

ملحمة غابات سياهكل

الرَّاوي

يضعُ خَنجرًا معقوفًا، في صحنٍ من الخزفِ الصِّينيِّ المُزيفِ، على مائدةِ الوَليمةِ.

المُضِيفُ:

أيُّها السَّادةُ،

رجاءً بلا حرجٍ!

الرَّاوي:

يسكبُ الغلمانُ السُّمَّ في كؤوسٍ عَتيقةٍ

تَعلو وجوهَهم المُحمرَّةَ ابتسامةٌ مزيفةٌ

يطلبون أجرةً

يفترشونَ ثيابَهمْ
ليقدِّموا الموتَ الشَّهيَّ
يضعونَ المَوتى على الرُّفوفِ
والأحياءَ في الثَّلاَّجاتِ
يطوفونَ على مائدةِ الوَليمةِ
ننظرُ إلى وجوهِ أقراننا الشَّاحبةِ:
يا للعجبِ!
مَنْ نحنُ؟
لسنا على الرُّفوفِ مَع الموتى
ولا في الثَّلاَّجاتِ مَع الأحياءِ
فقط
الأعتابُ الملطَّخةُ بالدِّماءِ تَشهدُ
بأنَّنا مررنا ـ في الطَّريقِ ـ على السُّيوفِ بأقدامٍ عاريةٍ.

عندما أقبلَ المَدعوونَ إلى الطَّاولةِ كانوا يَطلونَ نساءَهم بصَديدِ الوجعِ!

المهرِّجُ:
البُستانُ بلا تماثيلِ الملائكةِ

جمالٌ غيرُ مكتملٍ!

ضحكاتٌ صُفْرٌ

المُتَشرِّدُ

يُسرعُ ليتقرَّبَ وبنفسِ السُّرعةِ يبتعدُ:

الحُرَّاسُ قِدِّيسونَ

الحُرَّاسُ قِدِّيسونَ

الحُرَّاسُ قِدِّيسونَ

الحُرَّاسُ قِدِّ...

يقطعُ الرَّصاصُ الصَّوتَ

(صمتٌ مستمرٌ، طبلُ وصنجُ المُعزِّينَ يُسمعُ مِنْ بعيدٍ جدًّا، صوتُ وقعِ أقدامِ المُعزِّينَ يتحرَّكونَ بهدوءٍ، على الحان قارئ التَّأبينِ، وصوتُ الصَّنجِ والطَّبلِ يُسمعُ مِنْ بعيد جدًّا)

النَّاعي

ثقيلاً مقدامًا:

أودعوه بأنينِ أنشودةٍ جميلةٍ

لأنَّ الشَّيطانَ

كان ملاكًا متفوِّقًا

مجاورًا وأنيسًا

لم يخشَ شيئًا

رغم أنَّ جناحيهِ كان مخلَّديْنِ،

صاح «كلاَّ»

رغمَ أنَّه يعرفُ

بأنَّها صيحةُ طائرٍ يائسٍ مَكسورِ الجناحِ

كانَ على وشكِ السُّقوطِ

ما شعرَ بخجلٍ مِنْ نَفسهِ

ولا خزيٍ

لَمْ يعبرْ تحتَ الظِّلالِ الباردةِ:

كانَ طريقهُ في الشَّمسِ

رغم أنَّه كانَ يحترقُ

وطعمُ الدَّمِ وحممِ النُّحاسِ في فَمهِ

لكن بقيَ عنقهُ مرفوعًا

رغم أنَّ مَنْ يخفضْ عنقهُ

يأمنْ كدماتِ المَشنقةِ المُهينة!

الرَّاوي

(بنفسِ اللَّحنِ)

قالوا لهُ:

«يجبُ أنْ يكونَ الأمرُ كذلك

أنْ تنكرَ نغمةَ الطَّيرِ

وتغريدَهُ الحُرَّ في الفضاءِ الأزرقِ»

المُتشرِّدُ:

لكنَّ حقارتَنا حقيقةُ العالمِ العَظيمةُ.

كلُّ شَمسٍ عظيمةٍ

ستبدو ـ في الفراقِ ـ كنجمةٍ صغيرةٍ.

والقَمرُ ظفرٌ ورقي لطفلٍ

يمسكُ بيدهِ ـ لأولِ مرَّةٍ ـ فلسًا معدنيًّا ليقرضَهُ.

القمرُ

ظفرٌ صَغيرٌ

وفلسٌ فضيٌّ مخادعٌ!

لكنْ مَنْ يقبلْ بِذلك

ينكرْ نفسَهِ

هذا ليس تاجًا لتأخذهُ مِنْ بين الأسُودِ

إنَّهُ قُبلةٌ على رأسِ الشَّمسِ

تطلبُ روحَكَ

وثمنُها رمادُ عظامِكَ!

النَّاعي:

جلبتِ النِّساءُ الحُبَّ،

كانتْ أجسادُهنَّ محمومةً مُقبِلةً

وكانَ القبولُ يخرجُ ألسنتُهُ مِنْ ظهورهنَّ

وغايةُ التَّحرُّرِ كانتْ لباسَ العصمةِ

على عريِّ النِّسوةِ العاشقاتِ.

(في العزاء)

جذرٌ أدنى مِنْ جذرٍ

صرختُ مِنْ تحتِ التُّرابِ:

«يجبُ أنْ يكونَ عطرُ أبعدِ بُرعمٍ شهدَ عسلٍ!»

النَّاعي:

الأمَّهاتُ

ـ واستجابةً لرغباتكم ـ

أعدْنَ الحُبَّ المَنسيَّ

لأنَّ دَمَكم كان تجربةً عظيمةً

الأمَّهاتُ

جذرٌ أدنى مِنْ جذرٍ

صرخْنَ مِن تحتِ التُّرابِ

«يجبُ أنْ يكونَ عطرُ أبعدِ برعمٍ

شهدَ عَسلٍ!»

آهٍ، يا أولادُ!

يا أولادَ الأرضِ الدَّافئةِ الصَّغيرةِ

ماتوا أبرياءَ

ليفتحوا أبوابَ غُرفِ الجَّنةِ لآبائهم!

نحنُ نرى الآنَ تلك الغُرفةَ
على الأرضِ
ـ لا في سرابِ جنةٍ مخادعةٍ ـ
بجدرانٍ حديديةٍ
وظِلالِ الحَجرِ
تحتَ الأشجارِ.
الظِّلالُ
وعطرُ النباتِ يذكّرنا برائحةِ دمائكم
التي تَصِلُنا مِنْ جذورِ تضحياتكم.

النَّاعي:
يأتي الرِّجالُ مِنْ الطُّرقِ الخضراءِ
كزحفِ الطَّحالبِ على الصُّخورِ
يأتونَ بالحُبِّ على أجسادهم
والجُروحِ على صدورهم
أعيُنُهم مَلأى بالعاطفةِ والكراهيةِ
وأسنانُ إراداتهم تضحكُ
كخَنجرِ القمرِ المعلَّق

في ليلةِ السَّطوِ

حشدٌ عابسٌ

يقطعُ النَّفقَ الباردَ إلى السَّوادِ

(هناك، حيثُ البرسيمُ والقيقبُ ينموانِ بعشوائيةٍ، والنموُّ وظيفةُ الأرضِ التي يعملُ بِها متثائبًا رغمَ أنَّ الشَّمسَ تقطعُ بِسَيفِها الحادِّ ـ كلَّ صباحٍ ـ الحبلَ السِّرِّيَّ للنَّباتِ العشوائيِّ، في زمنٍ الشَّرفُ فيهِ نادرٌ ومحيِّرٌ، يعكِّرُ صفوةَ سُكونِ المَوتى؛ إذْ لا راحةَ للنَّائمينَ)

الخَطيبُ:

أيُّها النَّرجسيُّونَ، أيُّها النَّرجسيُّونَ!

ما نفعُ التَّظاهرِ بالقَداسةِ

عندما عقِبَ كلِّ غروبِ نهارٍ ستَجلسونَ بثقلٍ هكذا

وتضعونَ الرأسَ في مجمرةِ الشَّمسِ؟

ما نفعُ الجلوسِ حيثُ تضعُ الشَّمسُ هالةً حولَ وجوهِكم

وذلكَ الخَنجرُ الخَفيُّ يظهرُ قبلَ أنْ تلقوا الحُجَّةَ على حقيقةِ هذه الرِّسالةِ الإلهيَّةِ!

(يُسمعُ صوتُ الطُّبولِ الكبيرةِ مِنْ بعيدٍ، ثمَّ ينقطعُ فجأةً، ثمَّ يسودُ الصَّمتُ الثَّقيلُ الممتدُّ)

الرَّاوي:

يجلسُ على مِنصةِ الحجرِ الضخمةِ

بكلِّ ثباتٍ

ومِنْ زاويةِ فَمِهِ

يخرجُ بصاقُ الضَّحكِ

ويسيلُ على ذقنِهِ

الرُّسُلُ

مِنْ بحرٍ لبحرٍ في أربعِ زوايا المُلْكِ

مُطرقونَ على الأبوابِ

المنادونَ يصرخونَ مِنْ ورائهم:

(مِنْ بعيدٍ وقريبٍ الأبوابُ تُغلقُ بقوةٍ)

المنادونَ

بمسافةٍ وأحجامٍ مختلفةٍ:

«عَذارى يُناسبنَ اللهَ!

عَذارى يُناسبنَ اللهَ!»

المهرِّجُ
يفكِرُ مَع نفسِهِ بأنَّ عَفَنَ البُستانِ
تراثٌ باهظُ الثَّمنِ:

عفنُ البُستانِ
عفنُ البُستانِ
عفنُ البُستانِ

الرَّاوي
حولَكَ، يجرُّ بذيلِ ثَوبهِ
وبرعشةٍ يتساءلُ من المدى:
لقد شهدوا أنَّكَ عرفتَ دورانَ السَّنَةِ مِنْ أربعِ جهاتٍ
وشهدتَ أنّكَ رأيتَ بعينيكَ
سِرَّ اللهِ في قالبٍ بَشريٍّ
وأنَّكَ رأيتَ الحُبَّ وديمومتَهُ.
المَدعُوونَ:
عندما تلفظُ الشَّمسُ أنفاسَها في حَبَّةِ الثَّلجِ
هل يحترقُ الرَّبيعُ مِنْ رائحةِ الأوراقِ الجَّافةِ المُرَّةِ في المزبلةِ، هل لهُ أنْ يستمرَّ بالابتسامةِ؟

المُهرِّجُ

بضحكةٍ صَفراء:

أجلْ!

الحُرَّاسُ قِدِّيسونَ

الحُرَّاسُ قِدِّيسونَ

المَدعوونَ:

وحقيقةُ العالمِ المطلقةِ، الآنَ، ليستْ سِوى هذه الأعيُنِ الفاسدةِ التي تقطرُ دَمًا.

أحدُهم: هاتانِ العينانِ تحدِّقانِ

على هذا الرَّأسِ

ويراقبانكَ مِنْ وراءِ الزُّجاجِ والحَجرِ.

المهرجُ:

أعرفُ!

لو كنتُ أثقُّ بصدقِ عينيَّ

لعرفتُ هذا مِنْ قبلُ،

وأنَّ ما نُقِشَ على نقاءِ السَّماءِ

ليسَ سِوى صُورةٍ بعيدةٍ منِّي

الخَطيبُ:

عليكَ أنْ تصمتَ

إنْ لمْ تتفوَّهْ إلَا بالكذبِ

ولكنْ، إذا كانتْ لديكَ فرصةُ أن تئنَّ بحُريةٍ

فأصرخْ، وارمِ بنفسكَ كلَّ الماضي وراءَكَ!

لَيْلِيَّة 32

إلى «ضياء الدين جاويد»

بحُرِّيةٍ تنامُ على العُشبِ الرَّقيقِ
تغمرُ قَدميكَ بمياهِ النَّبعِ الباردِ
والجُّدجدُ
ينسجُ صوتَهُ البِلَّوري
في عريِّ اللَّيلِ،
خوفُكَ الأخيرُ يكونُ على قَدْرِ النَّجمةِ
وحزنُكَ الشَّديدُ يكونُ على قَدْرِ مرارةِ ساقِ العُشبِ الذي تَمضغهُ تحتَ أسنانكَ.
وكفُقاعةٍ رقيقةٍ
تجسِّدُ السَّماءُ صُورتَها فيكَ
تفكرُ بصَورةِ «اسفنديار» الأسطوريةِ [1]

(1) اسْفنديار: نجلُ «غشتاسبَ» في مَلحمة «الشَّاهنامة» للفردوسي. ويعرفُ بأنه كائن مقدَّس أو مخلوقٌ نقيٌّ، وسِحرُه يكمنُ في جسدِهِ القويِّ الذي لا يتأثرُ بالجُّروحِ ولا يُقهر. [المترجمة]

ومَسارُ نيزكٍ محترقٍ
يرسمُ أمامَ عينيكَ خطَّ الرَّحيلِ
وفي ركنٍ آمنٍ من ظنونِكَ

تفكِّرُ
بخيالٍ هشٍّ يضربُ على بِلَّورِ عمرِكَ
وتنطفئُ
بهدوءٍ، وصمتٍ!

في اللَّيلِ

كانَ حَديثُ الغَدِ عنهُ فقط،

قالوا:

«على سطحِ السَّماءِ المُظلم وجدوا سَوادَ ردائهِ منقوشًا، هناك، ولفترةٍ طويلةٍ لَمْ يسمعوا شيئًا غيرَ وقعِ قوائمِ الحصانِ الآيلِ للأُفولِ، والصَّوتِ الذي يصدره سرجُهُ الحَديديُّ»

واحدٌ أو اثنانِ، فقط، قالوا هذا:

«استيقظَ مِنْ لحظةِ صمتهِ المَهيب

مِنْ وراءِ النَّافذةِ نَظرنا إلى الشَّارعِ،

كانَ الظَّلامُ المُتأمِّلُ

يعبرُ ويجرُّ وراءهُ حِصانًا مُتعبًا

والكلابُ كانتْ تشعرُ بحضورٍ غَريبٍ

في وقتٍ متأخِّرٍ مِنْ ليلِ الخَريفِ

وصَمتُهُ كانَ يهيمنُ عَلى المُروجِ

مثلَ أغنيةٍ تحتلُّ مَسامعِ البراعمِ في ذلك الجانبِ مِنْ المَستنقعِ،

مثلَ صرخةٍ

تدخلُ في الآذانِ!»

مَجيدٌ ذِكْرُ أمِّي!

مُنذُ القِدمِ

كانتْ تسعى لتحطيمِ جِدارِ الحُزنِ

المَعشِّشِ في قَلبي آنذاك

كانَ موتُها امتدادًا لمكانِها الفارغ،

ضحكتْ، وقالتْ:

لستُ كما تظنُّ!

قلتُ:

«أتعرفين؟

في هذه الأوقات

الموتُ، مسكينٌ يشعرُ بخَجلٍ

يجلسُ عندَ طرفِ الضَّغينةِ

ويشعرُ بملٍل مِنْ وظيفتهِ العَبثيةِ المُخجلة!»

قلتِ: الرِّيحُ مَيِّتةٌ

قلتِ:

« ـ الرِّيحُ، مَيتةٌ!

لَمْ تقلعْ سقفًا مَليئًا بالأسرارِ

لَمْ تحرِّكْ طاحونةَ الدَّمِ،

لَمْ تحطِّمْ بابَ قلعةِ الظُّلم،

لَمْ تهدِّمْ قصرًا وتسقطْه ركامًا على الأرض،

الرِّيحُ مَيتةٌ!»

قلتِ:

« ـ إنَّها متمدِّدة، على قِممِ الجِّبالِ

غارقةٌ في دمائها

الرِّيحُ حزينةٌ، ومحبطةٌ!»

دائمًا ما خجلتَ، مِنْ حياتِكَ، أمامَ الأمواتِ

«أدركُ هذا كالحُمَّى، تمامًا،

أشعرُ بذلك، كما أشعرُ بالحُمَّى، في شَراييني الجَّافَّةِ»

عندما بيأسٍ وخذلانٍ، قلتِ:

«مَيِّتَةٌ الرِّيحُ!

على قِممِ الجِّبالِ

بجسدِها الغارقِ بالدِّماءِ

تعيسةٌ الرِّيحُ!»

الذين تبادلوا نَصيبهم مع الرّيحِ

ـ مِن بينِ الأصدقاءِ ـ

في خبايا العذابِ وقيحِ الجُّروحِ

أجابوا، بأعظمِ مواجعِهم:

«الرِّيحُ حيَّةٌ!

وما دامتْ الرِّيحُ حيَّةً

فسوفَ تَرسمُ العاصفةُ الأخيرةُ أفكارَها

الرَّعديةَ في المُخَيِّلةِ

وتعلِّمُ جبلَ الأخطاءِ السُّقوطَ

بكاملِ رُكامِ قذاراتِهِ على الأرضِ»

(هؤلاء إيمانُهم

خليطٌ مِنْ الدَّمِ والحَجرِ والعِقاب)

قالوا:

«الرِّيحُ حَيَّةٌ،

فليعشْ عَملُنا

فليحيا عَملُنا!»

قلتِ:

«كلاَّ الرِّيحُ مَيِّتةٌ!»

وأخذتْ الرِّيحُ نَصيبَها ـ مِنْ الجَّبلِ ـ بجُرحٍ مُهلكٍ!

دائمًا ما خجلتَ، مِنْ حياتِكَ، أمامَ الأمواتِ

«أدركُ هذا كالحُمَّى، تمامًا،

أشعرُ بذلك، كما أشعرُ بالحُمَّى، في شَراييني الجَّافَّةِ»

الفِراقُ

أريدُكِ بتوقٍ، يالبعدكِ! اختبارُ الوأدِ المُرُّ!

كم أطلبُكِ بتوقٍ!

كأنِّي على ظَهرِ مُهرٍ هائجٍ

وسُدىً

تجربةُ البُعدِ

رائحةُ ثوبِكِ،

هنا،

والآنَ

الجِّبالُ في البعدِ

باردةٌ

يدي تبحثُ في الزُّقاقِ والسَّريرِ

عَن حضورِ يدِكِ الأنيسةِ
والتَّفكيرُ في الطَّريقِ ينسجُ اليأسَ

والعالَمُ
ـ دون نجوى أصابعكِ ـ
فارغٌ مِنْ أيِّ تَحيةٍ.

لَيْلِيَّة 33

تستجيبُ كتفكِ لي
في سَريرٍ، العشقُ فيه
ظَمأٌ،

كتفاكِ العذبتانِ
تجعلاني أكثرَ ظمأً
في سريرٍ استجابَ له
العِشقُ.

لُغةٌ أُخرى

لا تقولي!
الكلامُ غير مُجدٍ ولن يَصلَ
صوتُ الأذانِ
مناداةٌ لفراغ اليأسِ،
وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبين!
اقتنعي بإشارةِ التَرويضِ
كـ «القلندرية»[1] بـ «هو»
مثلكِ يا «أنتِ»
إنَّها رسالةُ المَحبَّةِ العَميقةِ
و«الأحمرُ»
الإجلالُ
الذي تصلِّينَ لأجلِهِ

(1) جاء في «معجم الألفاظِ التاريخية» أن القلندرية «كلمة أعجمية بمعنى المحلَّقين». وجاء في «كشاف اصطلاحات الفنون» أن «قلندرَ» تعني عند الصُّوفية: «الرجل من أهل التَرك والتَّجريد، مَن تجاوزَ عن اللَّذائذِ البَشريةِ» وفي «كنز لُغات» أن «قلندرَ» تعني: «درويش من طريقة القلندرية». [المترجمة]

منعوكٍ مِنْ الكلامِ

ـ كالطِّفلِ حينَ يُمنعُ مِنْ لُعبتِهِ ـ

وعندَ حلقةِ المعتقداتِ المُنطفئةِ،

عندما عادوا مِنْ نهبِ المَعابدِ،

حينَ كنَّا نذهبُ للصَّلاةِ الأخيرةِ!

كيفَ لنا أنْ نتحدَّثَ بلُغةٍ ألْقوا بها في مكبِّ النِّفاياتِ؟

مِنْ «القَذارة»

إلى «البَياض»

مِنْ تلكَ الكلماتِ التي يأخذُ بِها الشُّعراءُ بظُلماتِ مَوتِهم الجَّائر
ليتحدَّثوا عَن طبَيعةِ الشَّمسِ.

ما زلتُ أفكرُ بذلكَ الغُرابِ

إلى إسماعيل خويي

ما زلتُ
أفكِّرُ
بذلكَ الغُرابِ في وديانِ «يوشَ»:
بمقصِّهِ الأسودِ
على صفارِ حَقلِ القَمح اليانعِ
مَضى مِنْ السَّماءِ الورقيةِ الباهتةِ
نحوَ الجَّبلِ القريبِ
بنعيقٍ جَافٍّ قالَ شيئًا
وأنَّ الجِّبالَ
ـ منذُ غروبِ الشَّمسِ وحتَّى وقتٍ مُتأخِّرٍ ـ
تُكرِّرُ صَدى قولهِ بدهشةٍ في رؤوسِها الحَجريَّةِ

أتساءلُ أحيانًا:

ما الذي سيقولُهُ الغُرابُ

بحضورِهِ الحاسمِ الذي لا يتزعزعُ

ـ عندَ صَلاةِ الظُّهرِ ـ

بلونِ الحِداد الذي يرتديهُ باصْرارٍ

على اصفرارِ مُروجِ القَمحِ

عابرًا مِنْ أشجارِ الحَورِ،

بِصوتِهِ وغَضبِهِ

ماذا يقولُ للجِّبالِ الكهلةِ

لأولئكَ العابدينَ المرهَقينَ النَّعِسينَ

في منتصفِ ظهيرةٍ صَيفيةٍ

ليردُّوا الصَّدى بتكرارٍ

حتَّى وقتٍ مُتأخِّرٍ؟

خِطابُ الدَّفنِ

إلى تشي جيفارا

الغافلونَ في سجومٍ
فقط العاصفةُ
تلدُ أولادًا معارضينَ

مُنسجمون مَع الظِّلال
حَذِرونَ
في حدودِ الشَّمسِ
هُم في جَسدِ الحَياةِ
أمواتٌ
وهؤلاء
فتحوا صدورَهم للبَحرِ
وضعوا أقدامهم عندَ أصحابِ النَّارِ
عاشوا الحياةَ كتفًا بكتفٍ مَع الموتِ،

وقبلَ الموتِ،
وهُم أكثرُ حياةً بَعدَ الموتِ
في ذاتِ الاسمِ عاشوا
عبرَ العَدَمُ أمامَهم
بخجلٍ وخزيٍ
مستكشفو النَّبعِ
مستكشفو «الشَّوكرانِ»[1] المتواضعونَ
الباحثون عَن البَهجةِ
في مَجرى البراكينِ

سَحرةُ الابتسامةِ
في قبَّعةِ نومِ الوجَعِ
بإثرِ قَدَمٍ أعمقَ مِنْ الفَرحِ
في مَعبرِ الطُّيورِ...
يقفون أمامَ الرَّعدِ
ويضيئونَ البيتَ
ويموتونَ.

(1) شَوْكَرانُ: جنْسُ نَبات عُشْبيٌّ بَرّيٌّ، عُصارتُهُ غزيرةٌ وسامَّةٌ جدًّا. [المترجمة]

شَقٌّ

في إعدام «خسرو گلسرخي».

أنْ تولدَ
على رمحٍ أسودَ
كولادةِ شَقٍّ جُرحٍ عميقٍ

أنْ تسافرَ في رحلةِ الفُرصةِ الأولى
وتستمرَّ في المُضيِّ
على لَهبِ شُعلتِكَ
تحترقَ حدَّ آخر شرارةٍ
على شُعلةِ شَرفٍ
وَجدوا في طريقِها التُّرابيِّ
العبيدَ

هكذا أحمرُ وطريٌّ

أنْ تنموَ على نبتةِ الدَّمِ

وهكذا في سموٍّ

تَمضي مِنْ فوقِ سَوطِ الذُّلِ

وتقطعَ الطَّريقَ إلى آخرِ حدودِ الكراهيةِ.

آهٍ، عمَّنْ أتحدَّثُ؟

نحنُ أحياءٌ بلا أسئلةٍ

وهُم على درايةٍ بسؤالِ موتِهم!

«سميرمي»[1]

إلى «هوشنگ كشاورز»[2]

فارسٌ يعبرُ
مِنْ الشَّوارعِ المكسوَّةِ
وضرباتُ رقصةِ خُطى جواده،
تدقُّ على الطّريقِ

(1) سميروم: مدينة في جنوب أصفهان بإيرانَ. أحدُ ألقابها «أرض الألف ينبوع». [المترجمة]
(2) هوشنگ كشاورز: أحد الخبراء البارزين في الحياة الريفية بإيران كتبَ العديد من الدِّراساتِ والبحوثِ في الاقتصاد الزِّراعيِّ. كان ناشطًا في «الحركة الوطنية الإيرانية»، بدأ حياته السياسية مع «حزب توده الإيراني»، لينضمَّ لاحقًا إلى الجبهة الوطنية. كان هوشنگ خلال فترة رئاسة مصدق للوزراء محافظَ مدينة «گيلان»، ثم أصبح محافظ مدينة أصفهان، كما كان المتحدث باسم الجبهة الوطنية. سُجِنَ لفترة بسبب دعمه ثورة «28 مرداد»، وفي السَّنوات التي سبقت الثورة الإسلامية انشغلَ في كتابة البحوث العلمية، ولكن مع اقتراب الثورة انخرط في النشاط السياسي في اطار «الحركة الوطنية الإيرانية» ودعاه «شابور بختيار» آخرُ رئيسِ وزراءِ قبلَ الإطاحة بحكومةِ الشاه إلى الانضمام في الحكومة، لكنه فشل في الحصول على موافقته. اضطر كشاوز بعد سقوط النظام الملكي ـ لعدة أسباب ـ إلى مغادرة إيران عام 1982. توفي في فلوريدا بالولايات المتحدَّة الأميركية عام 2013، بعد صراعٍ مع مرض السَّرطان. [المترجمة]

على حزامهِ الذَّهبيِّ
تلمعُ الأقراصُ المُدوَّرةُ
مع كلِّ نجمةٍ
فوقَ الحصادِ
في ليلِ النسيمِ
في ليلِ القريةِ العاشقةِ

أربعةُ فرسانٍ عَبروا الأبوابَ
أربعُ بنادقَ على أكتافهم

فتاةٌ تنظرُ إلى القَمرِ
ومِنْ عبورِ الفارسِ
صنعتْ ذكرى
ساخنةً كجُرحٍ مُنطفئٍ

أربعةُ خيولٍ خلفَ المَسجدِ
أربعُ جثثٍ فوقَها.

الفجرُ

كانتِ الوَلْولةُ
بألفِ لُغةٍ

اليَقَظَةُ
مِنْ الأفقِ حتَّى الأفقِ

وكانَ صوتُ عَجلةِ الشَّمسِ يقتربُ
مِنْ بعيدٍ

كانتِ الولولةُ
تتشتَّتُ لتجتمعَ
وتصيرَ نشيدًا شاملاً

المُستقبِلونَ

مُسبِّحونَ

ذهبوا ليستقبلوا طُلوعَ الشَّمسِ

وأنا

مُنطفئٌ وبعيدٌ عَن ذاتي

مع عُزلةِ الشُّرفةِ الخَشبيَّة

أصبحتُ غريبًا أكثرَ!

الأغنيةُ الزَّرقاءُ

إلى ع باشايي

قيلولةٌ اضطراريَّةٌ
في أرجاءِ حوضِ الماءِ،
حتَّى سَنواتٍ آتيةٍ
يمنحُ الأزرقُ
مَفهومًا مختَصرًا عَن الوطنِ.

الأميرُ الوحيدُ
بعينيهِ اللَّوزيتيْنِ المُرَّتيْنِ
يكرِّرُ في مَرايا البِلاطِ السُّداسيُّ

كانتْ تهويدةُ النَّافورةِ الصَّغيرةِ
تطوفُ بنومِ أزهارِ «البتونيا»

حتَّى سَنواتٍ آتيةٍ
يمنحُ الأزرقُ
مَفهومًا مفاجِئًا عَن الوطنِ.

الأميرُ الوحيدُ
بعينيهِ اللَّوزيتيْنِ المُرَّتيْنِ
يكرِّرُ في مَرايا البِلاطِ السُّداسيِّ

كانَ النَّهارُ
يعبرُ مِنْ الزَّوايا
مِنْ فوقِ رماحِ الفِضَّةِ الحارَّةِ
ليذهبَ إلى أبعدِ ظِلٍّ

حتَّى سَنواتٍ آتيةٍ
يكرِّرُ الأزرقُ العاشقُ
ويمنحُ مَفهومًا للوطنِ

أرجاءُ القَيلولةِ

وهمسُ النَّافورةِ النَّاعسِ
على صَمتِ أزهارِ «البتونيا» الظامئةِ
وتَكرارُ آلافٍ مِنْ اللَّوزِ المُرِّ
في المرايا السُّداسِيَّةِ

السَّنواتُ الآتيةُ
السَّنواتُ الآتيةُ

منتصفُ نَهارٍ حَارٍّ
وذكرى حَوضِ الماءِ البَعيدِ

آهٍ، يا أميرَ بلاطِ الحَوضَ
بدموعِكَ الزُّرقِ!

مَرْأَى

إلى نيلوفر پاشايي وعمِّها المُتعبِ

مِنْ قَلبِ الضَّبابِ
يعبرُ مُزارعٌ أعرجُ معَ كلبهِ بانكسارٍ
أحيانًا كلبهُ أمامهُ
أحيانًا خَلفهُ
يُكملُ الطَّريقَ
وضوحُ الضَّبابِ
وحدودُ الدَّمارِ
في نزاعٍ،
معكِ لا أخشى الزَّمنَ
في هذهِ البُقعةِ المشبَّعةِ بالشَّمسِ

متعَبٌ
حاملٌ مَعي ذكرياتي لكنِّي

لا أفكِّرُ ـ في هذهِ المرَّةِ ـ بسَقفٍ

نقفُ على مُفترقِ الزَّمن
وهناك، حيثُ الرِّياحُ لا تَخدعُنا
نَذهبُ أينما يشيرُ لنا ديكُ دوَّارة الرِّياحِ
صدِّقي ذلك!

زقاقُنا ليسَ ضَيقًا
كوني سَعيدةً!
طريقُنا
يعبرُ على مَرأى كلِّ الحرِّياتِ!

المَطرُ

أوتارٌ غير مُدوزَنةٍ
وكمانُ الرِّيحِ تائهٌ

قولي للمطرِ
أنْ يعزفَ بلا مُوسيقى!

العالمُ مغبرٌّ،
صورتُهُ المضطربةُ تنعكسُ على الزُّجاجِ

قولي للمطرِ أنْ يهطلَ بلا قصدٍ!

ابتسامةُ ألفِ قطرةٍ تَهربُ بَصمتٍ

قولي للمَطرِ أنْ يهطلَ هازئًا!

وعندما تُشَدُّ الأوتارُ وتجهِّزُ الرِّيحُ كمانَها

ويبدأ همسُ اللَّحنِ الرَّتيبِ

اتركي المطرَ

ليهطلَ على حنجرةِ الأرضِ

ليُقرأ باخضرارٍ

قولي للمطرِ، الآنَ،

أنْ يهطلَ بمرحٍ!

لَيْلِيَّة 34

إنَّها أجملُ اللَّحظاتِ
عندما تهبُّ الرِّياحُ
لَيلاً
مِنْ سِتِّ جهاتٍ وتأتي إليكِ،

ومِنْ بهاءِ سِحرِها الآسرِ
تظنُّ أنَّ الكراكيَّ
في تحليقِها الجَّماعيِّ برحلةٍ إلى القَمرِ

إحساسُكِ الحادُّ
في قعرِ روحِكِ
ربَّما أكلَهُ الصَّدأُ ولَمْ يثمرْ
لكنْ، منذُ أمدٍ
وتحليقُ الكراكي الجَّماعيُّ

وعودةُ الرِّياحِ

يزيلانِ الغبارَ عنْ الحَجرِ في قبرِ إحساسكِ.

يكمنُ شيءٌ في عُمقِكِ:

شَيءٌ ربَّما كنتِ تعرفينَهُ،

شَيءٌ

لا شَكَّ

كنتِ تَعرفينَهُ مُنذُ زَمنٍ بعيدٍ.

أغنيةُ الأمنيةِ الكبيرةِ

آهٍ، لو أنشدتِ الحُرِّيةُ أغنيتَها،
حتَّى لو كانتْ قصيرةً،
أقلَّ من حنجرةِ طائرٍ،
فلن يبقى جدارٌ مدمَّرٌ واحدٌ في مكانهِ.

منذ سَنواتٍ عديدةٍ
ما كانَ علينا أنْ نصدقَ
أنَّ كلَّ دَمارٍ هو إشارةٌ على غيابِ الإنسان
إنَّما حضورُ الإنسانِ
هو العُمران.

كنزفِ جُرحٍ لا يُشفى طول العُمرِ
كجرحٍ، ينبضُ كلُّ العُمرِ بألمٍ جافٍّ
بصرخةٍ

فتحَ عينيهِ للعالمِ
وبكُرهٍ رحلَ،

هكذا هو الغيابُ الكبيرُ
وهكذا هي حكايةُ الدَّمارِ

آهٍ، لو أنشدتِ الحُرِّيةُ أغنيتَها،
حتَّى لو كانتْ قصيرةً،
أقلَّ من حنجرةِ طائرٍ...

القَفْزُ

حلَّقَ في مَدارِ الرِّياحِ
غيرَ آبهٍ بموجاتهِ الأثيرةِ
واثقًا، فاردًا جناحيهِ،

هذا ليسَ عائقًا:
الطَّائرُ بتحليقهِ الأوَّلِ
في السَّماءِ العاليةِ
سيفردُ جناحيْهِ، أخيرًا.

التَّحرُّرُ مِنْ العالمِ العَبوس
عائدٌ إلى شَقِّ ثوبِ الهِمَّة،
الحُرِّيةُ اختبارُ الشَّجاعةِ

أنْ تتحرَّرَ

حتَّى السِّجنُ قد يكونُ ملاذَكَ الآمنَ
مكانًا دافئًا، يغنيكَ عن صدرِ أمِّكَ،

حتَّى لو كانَ السِّجنُ وسادةً دافئةً
مِن بيتِ العَنكبوتِ وظَلامِ الشَرنقةِ
فالحُرِّيةُ مستحقةٌ كي تكونَ

حتَّى لو أنَّ الحرِّيةَ فخُّ الباشقِ أو العصفورِ
أو معبرَ نبالِ السِّهامِ
مِنْ القوسِ

هذا ليسَ عائقًا:
الطَّائرُ بتحليقهِ الأوَّلِ
في السَّماءِ العاليةِ
سيفردُ جناحيْهِ، أخيرًا.

أغانٍ صَغيرةٌ للغُربـةِ

1975 ـ 1980

أولادُ الأعماقِ

خطابٌ لأغنيةٍ، في شهادة أحمد زيبرم وعلي رضا اسبهبد

كانوا يكبرونَ في مدينةٍ بلا شوارعَ
في شرايين الأزقَّةِ والطّرقِ المغلقةِ
ملوَّثينَ بدُخانِ الفَحمِ،
متورِّطينَ بالتَّهريبِ،
مصابينَ بالحَصفِ الجِلديِّ
مِقلاعٌ ملوَّنٌ في الجَّيبِ وسَهمٌ في اليَدِ،

أولادُ الأعماقِ
أولادُ الأعماقِ

مُستنقعُ القَدرِ القاسي أمامَهم
وشتائمُ الآباءِ المتعبينَ مِنْ خَلفِهم،

لعنةُ الأمَّهاتِ المُتململاتِ في الأُذنِ،
ولا أملَ، والغدُ في القَبضاتِ،

أولادُ الأعماقِ
أولادُ الأعماقِ

يزدهرونَ في غابةٍ بلا رَبيعٍ،
تُؤتى ثمارُهم مِنْ أشجارٍ بلا جُذورٍ

أولادُ الأعماقِ
أولادُ الأعماقِ

يغنُّونَ بحناجرَ داميةٍ
متعبينَ

يمسكونَ بأيديهم عَلَمَ «دَرَفْش»[1]

أولادُ كاوه[2] أولادُ كاوه

(1) دَرَفْش كاوياني: عَلَمٌ أسطوريٌّ وتاريخيٌّ ثمينٌ، يعود لزمن قديم، إلى نهاية الحقبةِ السَّاسانيةِ، وكان لقرابةِ ألف عامٍ عَلَمًا رسميًّا للفرثيينَ والسَّاسانيينَ، ويعدُّ أحدَ الرُّموزِ الوطنيةِ الفارسيَّةِ. [المترجمة]

(2) إشارة إلى تضحية «كاوه» وثورتهِ في الأساطير الفارسية (كاوه آهنگر) ضد استبداد «ضحاك ماردوش» الملكِ الظالمِ المستبدِّ، الذي كانَ الشَّيطانُ يقبِّلُ كتفيْهِ لتخرجَ منهما الأفاعي! ومن أجل البقاءِ وجبتْ عليه التضحية بدماغي شابَّيْنِ للثَّعابينِ كلَّ يوم، وقد وقعَ أبناء «كاوه» السبعةَ عشرَ ضحية الثعابينِ. ولأجلِ أن يدفع النَّاس للثورة ضد الحاكم، وضع غطاءَ رأسه الجلديَّ على عصا ورفعها عاليًا ليتمكَّنَ الناس من التجمع حوله، ثمَّ وبمساعدة الناس أطاح بقصر الحاكم المتعطش للدماء «ضحاك»، ووضع «فريدون» على العَرشِ. وبعد ما استلمَ الأخيرُ العرشَ أمرَ بتزيينِ غطاءِ رأسِ «كاوة» الجلديِّ بشرائطَ صُفرٍ وحُمرٍ وأرجوانيَّةٍ، مُضيفًا عليها الذَّهبَ والجواهرَ. سُمِّيَ بالعلَمِ المَلكيِّ؛ وهكذا ظهرت كلمة «درفش كاوياني». [المترجمة]

فزَّاعةُ الحُقُولِ

إلى «آني» و«تقي مدرسي».

في مكانٍ مُخَبّأ في هذه اللَّيلةِ السوداء
تقفُ الفزاعةُ بحزمٍ في مكانها
ليسَ لها عينانِ لكن تبدو وكأنّها تَرى
ليس لها أذنانِ لكن تبدو وكأنّها تَسمعُ

بلا جذورٍ، لكنّها واقفةٌ بِصرامةٍ
وأنْ ضُربتْ جذورها بالفأسِ
كجوزةٍ ذات جذورٍ عَميقةٍ
تَصيحُ أنَّ هذه الأرضَ لي

لو عابرٌ في اللَّيلِ رآها خَلسةً
تبدو كظلٍّ في اللَّيلِ الخَفي

مِنْ الحيلةِ تحبسُ الأنفاسَ بِصدرها
لتخدعَ العابرَ أنّها فزاعةٌ

أجلْ، طوالَ اللّيلِ ثمَّةَ مَنْ يسودها الصّمتُ
واقفةً تواجهُ فراغها وجهًا لوجهٍ
ولو أخذَ العابرُ مشعلاً
لا يعرفُ ما سرّها هناك

الهِجرانُ 1

مَتى عشتُ؟

في أيِّ مُتتاليةٍ مِنْ الأيَّامِ واللَّيالي، أنا؟

إذا كانتْ هذه الشَّمسُ مشعلاً هامدًا،

بلا ندىً وبلا شَفقٍ جرَّبَ أوّلَ فجرٍ في العالمِ،

إذَنْ متى عشتُ أنا؟

مَتى بدأتُ بالنُّموِّ والتَّهاونِ؟

حتَّى سَمائي لا تَحمي رأسي!

سماءٌ مِنْ الفيروزِ النَّيسابوريِّ

بخطوطٍ وأغصانٍ خُضرٍ

كصرخةِ غابةٍ أُطيحُ بِها في البحيرةِ

حُرَّةٍ ومُجرَّدةً

كانعكاسِ المِرآةِ

دَعي شَمسي

تكونُ فستانَكِ

وسَمائي

ذلكَ الكَفنَ الباهتَ

دَعيني

أقفُ على أرضي

على أرضٍ مِنْ بِلَّورِ الماسِ، رجفةِ الألمِ

أشعرُ ببلدي تحتَ قَدميَّ

وأسمعُ صوتَ نُموِّي:

طنينُ طُبولِ دَمي في «چيتگر»[1]

وزئيرُ النُّمورِ العاشقةِ في «ديلمان»[2]

وإلاَّ فَمتى عشتُ؟

في أيِّ مُتتاليةٍ مِنْ الأيَّامِ واللَّيالي، أنا؟

(1) جيتگر: حي في طهران. [المترجمة]

(2) ديلمان: مدينة في شمال ايران. [المترجمة]

الهِجرانُ 2

مُرٌّ كقدحِ سُمٍّ
الشَّمسُ تعبرُ مِنْ جُرحِ العُنقِ الدَّامي
شَجرةُ الحَورِ
كمهرِّجٍ أرعنَ طَويلِ القامةِ،
ببنطالٍ أبلقَ وحذاءٍ أخضرَ
تحوَّلَ بياضُ المستشفى
إلى مضمونِ افتراسٍ مؤجَّلٍ
رخامُ الحَوْضِ الجَّافِ عديمِ النَّفعِ
لَمْ يكنْ مِرآةً لعُريِّ «شيرين»[1]
وفأسُ «حفَّارِ الجَّبلِ»
الآنَ، دونَ خوفٍ تهوي على نهايةِ العالمِ

(١) إشارة إلى «فرهاد» (حَفَّار الجبلِ) العاشقِ التَّعِس الذي أحبَّ «شيرين»، وحين سمعَ «برويز» عن حبِّهِ، كلَّفهُ بأنْ يشقَّ طريقًا بواسطةِ الفأسِ في جبلِ «بيستون» ممَّا أدَّى إلى هلاكهِ في النِّهاية. عنوانُ القصة الكاملة «شيرين وخسرو»، وردت بعضُ أحداثها في «الشَّاهنامة» للفردوسي. [المترجمة]

في نبضٍ بلا أحلامٍ، ببطءٍ، كالخَنجرِ الصَّدئ
والفرصةُ تَهربُ مِنْ جُروحِ الأعصابِ الدَّمويَّةِ

الهِجرانُ 3

مَنْ نَحنُ، وأينَ؟
ماذا نقولُ وماذا نَفعلُ؟

أينَ الإجابةُ؟

بانتظارِ الإجابةِ
نقتلعُ الجُّذورَ
وبصفعةِ الصَّدى
نَتَهدَّمُ
كالجِّبالِ.

الهِجرانُ 4

ليل إيرانشهر

أُنظرْ إلى العالَم بأسْرِهِ!
كيف يذهبُ لنومهِ الخَرِبِ في سَريرهِ برَخاءٍ
غريبًا مع نفسهِ.

وأُنظرْ إلينا
يَقظينَ
مُنتبهينَ إلى حُزنِنا،
نَحرسُ حزنَنا المَريرَ
بِغضبٍ وعدوانيَّةٍ
نحنُ حراسٌ عابسونَ نحرسُ معاناتِنا
حتَّى لا تُخطئَ وتخرجَ مِنْ الإطارِ الأسودِ
الذي رسمناهُ حولَها

وأُنظرْ إلى العالَمِ
في سُباتِ نومهِ البَريء
كم يبدو غريبًا مَع نفسهِ!

القمرُ يمرُّ
في نهايةِ مدارهِ البَاردِ
بقينا نحنُ
ولَمْ يأتِ النَّهارُ!

الهِجرانُ 5

الحزنُ
ليسَ هُنا
بل هُناك
القلبُ
لكنْ
في بردِ هذا البَيتِ الأسودِ
ينبضُ يأسٌ هو الشَّوقُ
في هذه الغُربةِ التَعيسةِ
ويعبرُ مِنْ حدودِ الطَّاقةِ.

نكسرُ اللَّوزَ الفارغَ
وتعبرُ مِنْ كلِّ شَراييننا
ذكرى البِلادِ ومَرارةُ الجَّحيمِ.

الهِجرانُ 6

السِّينُ السَّابعةُ
تفَّاحةٌ حَمراءُ
واحسرتاه!
لَمْ يكنْ لي نصيبٌ مْنِ هذه «السُّفرةِ» التقليدية[1]

النَّبيذُ المُعتَّقُ في كأسِ الرِّياحِ
والعَجبُ
ليسَ لي مِنْ هذهِ الثُّمالةِ شَوقٌ
الجَرَّةُ الخَضراءُ
في إطارِ النَّافذة ـ
آهِ

(1) إشارة الى السُّفرة التَّقليدية وتسمَّى «هفت سين» أي «السِّيناتُ السَّبعُ». تحضَّرَ لإحياءِ «عيد النوروز»، وهو يومُ رأسِ السَّنتيْنِ الفارسية والكُردية، كما أنَّهُ يومُ الاعتدالِ الرَّبيعيِّ الموافقِ 21 مارس (آذارَ) مِن كلِّ عامٍ. [المترجمة]

كمْ أنا بعيدٌ عَنها!

لتبدوَ كأنَّها مجرَّدُ نَقشٍ بلا روحٍ

مجرَّدُ حديثٍ رؤوفٍ بأولى ساعاتِ الفَجر،

ويلاه!

خلفَ كلِّ إجابةٍ وابتسامةٍ

ليسَ لي توقٌ للضَّحكِ

أتى ربيعٌ آخرُ

أجلْ!

لكنْ، الشِّتاءاتُ التي مرَّتْ ليسَ لها اسمٌ...

ليسَ لها اسمٌ.

أغنيةٌ صَغيرةٌ

ـ أين أنتِ؟

في امتدادِ هذا العالم اللاَّمحدودِ،

أين أنتِ؟

ـ أقفُ في أبعدِ مكانٍ في العالم:

قربكَ

ـ أين أنتِ؟

في امتدادِ هذا العالمِ القذرِ،

أين أنتِ؟

ـ أقفُ في أنقى مكانٍ مِن العالمِ:

قربَ هذا النَّهرِ الأخضرِ الكَبير

الذي يغنِّي لأجلِكَ.

نِهايةُ اللُّعبةِ

عبرَ العُشَّاقُ
مَهزُومينَ
خَجِلينَ مِنْ أغانيهم التي جاءَتْ في غيرِ أوانِها.

وظلَّتْ الأزقَّةُ
صَامتةً مِنْ هَمسِ الخُطى

عبرَ الجُّنودُ منكسرينَ،
مُتعَبينَ
على خيولِ التَّأويلِ،
على رماحهم أقمشةُ غُرورٍ مُهتريءٍ
ومهزومٍ

ما نفعُ أنْ تفاخرَ أمامَ السَّماءِ
بينما كلُّ ذرَّةِ غُبارٍ ـ في الطَّريقِ المنفِّرِ ـ تلعنُكَ

ما نفعُ البُستانِ والشَّجرةِ
وأنتَ تُحدِّثُ الياسمينَ
عَن الفأسِ

هناك، حيثُ تَخطو
يأبى النَّباتُ النُّموَّ
لأَنَّكَ لَمْ تؤمنْ أبدًا
بتقوَى التُّرابِ والماءِ

ويلاه!
كانتْ حكايتُنا أنشودةَ كُفرِ جنودِكَ
العائدينَ مِنْ احتلالِ قلعةِ العَواهرِ
كنْ لتَرى ما تصنعهُ لَعنةُ الجَّحيمِ بكَ!

لأنَّ الثَّكالى
ـ أجملُ المُعزِّياتِ في أولادِ الشَّمسِ والرِّيحِ ـ
لَمْ يرفعْنَ رؤوسَهنَّ بعدُ
عن سَجَّادِ صَلواتهنَّ!

الصَّباحُ

بدفءٍ وكسلٍ
في السَّاعةِ الخامسةِ صَباحًا
قطراتُ مطرِ الصَّيفِ النَّديَّةِ
تهطلُ على الأوراقِ الخَشِنةِ

الشُّهداءُ ما زالوا في المقابرِ
الخطباءُ المحترفون نائمونَ
حفرةُ الصَّرخةِ المعلَّقةُ في الهواءِ
فارغةٌ
والأكفانُ الحمراء
متعَبةٌ في القَبرِ
تتبادلُ البسالةَ

قطراتُ المَطرِ

بالكادِ تهطلُ على الألواحِ السَّحيقةِ
في السَّاعةِ الخامسةِ فجرًا.

في الزُّقاقِ المَسدودِ

يشمُّونَ فَمكَ

لئلاَّ تقولَ «أحبُّكِ»،

يشمُّونَ قلبكَ،

إنَّهُ زمنٌ غَريبٌ، يا محبوبتي!

والحُبُّ يُجلَدُ

قربَ أعمدةِ الطُّرقاتِ

علينا أنْ نُخبِّئ حبَّنا في مَخبأ البيتِ.

في برودةِ هذا الزُّقاقِ المَسدودِ المُلتوي

يُبقونَ النَّارَ مُشتعلةً

بوقودِ الشِّعر والنَّشيدِ

لا تُجازفي بالتَّفكيرِ،

زمنٌ غريبٌ، يا محبوبتي

الذي يقرعُ البابَ ليلاً

جاءَ لكي يقتلَ المِصباحَ
علينا أنْ نخبِّئَ الضَّوءَ في مَخبأ البيتِ.

إنَّهم الجَزَّارونَ
ينتشرونَ على المَعابرِ
بخشبةٍ وساطورٍ دامٍ
زمنٌ سَيئٌ يا محبوبتي
يستأصلونَ البَسمةَ مِنْ الشِّفاهِ
والأغنيةَ مِنْ الفَمِ،
عَلينا أنْ نخبِّئَ الشَّوقَ في مَخبأ البيتِ.

يُشوَى الكناري
على نارِ زَهرةِ السَّوسنِ والياسمينِ
زمنٌ غريبٌ يا محبوبتي.
إبليسُ منتصرٌ
يحتفلُ بعزائنا على مائدتِهِ
علينا أنْ نخبِّئ اللهَ في مَخبأ البيتِ، يا محبوبتي!

غَراميَّةٌ

ذلك الذي يقولُ «أحبُّكِ»

مُغنٍّ حَزينٌ

فقدَ أغنيتَهِ

ليتَ للحبِّ

لسانًا ليتكلَّمَ

ألفُ قُبَّرةٍ سَعيدةٍ

في عينيْكِ

ألفُ كناريٍّ منطفئٍ

في حَنجرتي

ليتَ للحُبِّ

لسانًا ليتكلَّمَ

ذلك الذي يقولُ «أحبُّكِ»
قلبُ ليلٍ تَعسٍ يبحثُ عَن قمرهِ

ليتَ للحُبِّ
لسانًا ليتكلَّمَ

ألفُ شَمسٍ مبتسمةٍ
في تبختُركِ
ألفُ نجمةٍ باكيةٍ
في أُمنياتي

ليتَ للحُبِّ
لسانًا ليتكلَّمَ!

أُغنيةُ الرِّفاقِ

على مفترقِ الطَّريقِ
كانتْ هناك قلعةٌ
لَبِنةٌ مِنْ القَمرِ
وأُخرى مِنْ الحَجرِ

على مُفترقِ الطَّريقِ
كانتْ هناك قلعةٌ
لَبِنةٌ مِنْ الفَرح
وأخرى مِنْ الحَربِ

على مُفترقِ الطَّريقِ
كانتْ هناك قلعةٌ
لَبِنتانِ مِنْ الدَّمعِ
واثنتانِ مِنْ الضَّحكِ

على مُفترقِ الطَّريقِ
كانتْ هناك قلعةٌ
ثلاثُ لَبِناتٍ مِنْ الثَّعالبِ
ولَبِناتٌ مِنْ الطَّيرِ.

خطابٌ سَهلٌ في الأملِ

إلى رامين شهروند

أين الوطنُ حيثُ أغنيتكَ القريبةُ تبدو بعيدةً كلَّ البعد؟
أين الأملُ
ليستعيدَ العالَمُ نفسَهُ
كُنْ حذِرًا يا صاحِ!
لأنَّ اليائسينَ ليسَ مقدَّرًا لهم اللِّقاءُ!

المعشوقُ في ذرَّاتِ وجودِكَ،
الذي كنتَ تصدِّقُهُ،
والقيامةُ
في رؤيتِكَ الأبديَّة
مَشغولةٌ بالعَملِ.

كُنْ الباحثَ في التَّقويمِ الفَلكي

صامدًا إلى الأبدِ

لتمرَّ رحلةُ النُّجومِ اللاَّنهائيةِ عليكَ،

إنَّ الأرضَ

ما كانتْ لتحملَ عِبءَ الذُّلِّ

لو فتحَ الإنسانُ عينَ الحَيرةِ في أوانها

العيشُ

وقيامةُ الصَّلاةِ على ترابِ الأنسانِ الأعلى

العيشُ

وصنعُ المُعجزةِ

وإلاَّ فإنَّ ميلادَكَ ليسَ سِوى ذكرى ألمٍ مُعدمٍ،

مثلُ موتِكَ

مثلُ عبورِ قطارِ خيولِكَ العقيمةِ في صحراءِ ميلادِكَ القاحلةِ، ومماتِكَ

اصنعْ المُعجزةَ، اصنعْ المُعجزةَ

فقط المُعجزةُ، يمكنُ لها أن تكونَ مِنْ صنعِ يديكَ

إذا كنتَ عادلاً

في هذه البُقعةِ

فالذئابُ حَريصةٌ

على نَهْشِ مَنْ لا يعرفُ كيفَ يَنهشُ بعَدلٍ!

والعَدالةُ

مُعجزةٌ نِهائيةٌ

ليتَ يومًا مُميَّزًا للمَوتى في هذا العالمِ

لنمرَّ مِنْ أمامِ كلِّ تلكَ الجُثثِ

لا نضعُ مَنديلاً على أنوفنا:

هذه البُقعة المُؤذيةُ

ليستْ قذارةَ العالمِ

إنَّها رائحةُ تعفُّنِ الظُّلم

وحضورُنا الثَّمينُ

في كلِّ مرَّةٍ نواجهُ فيها العالَمَ

(تلكَ المِرآةُ التي لا يدركُ وجودُها إلاَّ بالنَّظرِ فيها) ـ

أنتَ

أو أنا،

الإنسانُ

مَنْ شاءَ فليسمعْ!

فقط المدركُ لأفعالِهِ الكبيرةِ،

يعرفُ أنَّ العالمَ

لَمْ يكنْ حزينًا وباهتًا منذُ الأزلِ

وأنَّهُ لَمْ يكنْ جشعًا وحقودًا منذُ الأزلِ

نظرتُ مرَّةً مِنْ نافذةِ الممنوع إلى

ذلك التلِّ الترابيِّ القَفرِ:

آهٍ، لو امتلكتَ الأملَ لعرفتَ

بأنَّ ذلك التلَّ لمْ يكنْ قفرًا بلا زهورٍ وربيعٍ منذُ الأزلِ

وثمَّةَ طائرٌ مُغرِّدٌ

حيثُ يجلسُ الصَّمتُ في عزاءٍ.

كلاَّ،

اليائسونَ ليسَ مقدَّرًا لهم اللِّقاءُ!

لا شكَّ أنَّ سَعيكَ في الأملِ

سيأخذُ هذه القافلةَ إلى الوطنِ.

لَيْلِيَّة 35

كلاَّ!
لستِ نحتًا مِنْ حَسراتي:
أقْدمُ مِنْ الحَجرِ
أرقُّ مِنْ سَاقِ نباتٍ على العُشبِ اليانعِ

لَمْ أنتزعْكِ مِنْ غَضبي:
عجزُ عَقلٍ مِنْ الضَّعفِ،
الاشتعالُ في مَجمرِ اللَّهفةِ

لَمْ أصنعكِ بحجمِ ثقلِ حزني،
قشَّةٌ في كفِّ الحِرمانِ أنتِ،
جبلٌ على مقياسِ العَبثِ

اخترتُكِ

رغمَ الحُزنِ الظَّالمِ

قلتِ «أحبُّكَ»

والقاعدةُ تغيَّرتْ

لا تكتفي، يا آمرةُ بـ «كُـن»

تَكرَّرَي!

تَكرَّرَي!

القِيامةُ

كنتُ كُلَّ المَوتى:

مِيتةُ الطُّيورِ المُغرِّدةِ
الصَّامتةِ،
مِيتةُ أجملِ الكائناتِ
على التُّرابِ وفي المياهِ،
مِيتةُ البَشَرِ
السَّيِّءِ مِنهم والجَيِّدِ

كنتُ هناك
- في الماضي -
بلا أغنيةٍ،
لَمْ يكنْ لديَّ سِرٌّ
لا ابتسامةٌ
ولا حسرةٌ

بالمَحبَّةِ

دونَ موعدٍ

رأيتُني في الحُلمِ

ومعكِ

استيقظتُ!

في اللَّحظةِ

ألمسُكِ وأُدركُ الحَياةَ،
أفكِّرُ فيكِ
وألمسُ الزَّمنَ
مُعلَّقًا، بلا نِهايةٍ
عاريًا
أهبُّ، أهطلُ، أشِّعُّ
أنا السَّماءُ
بالنُّجومِ والأرضِ،
حبَّةُ قَمحٍ عَطِرةٍ تَنمو
ترقصُ
في روحِها الخضراءِ
أعبرُ مِنْ خلالكِ
مثلَ رعدٍ،
ألمعُ لَيلاً
وأتلاشى!

غَرامِيَّةٌ

العالمُ سَهرةٌ قَصيرةٌ
في مسافةٍ بين الخَطيئةِ والجَّحيمِ
الشَّمسُ
تخرجُ كشَتيمةٍ

والنَّهارُ
خِزيٌ لا يمكنُ تفاديهِ

آهٍ
قبلَ أنْ أغرقَ في الدِّمعِ
قولي شيئًا!

الشَّجرةُ،
جَهلُ خطيئةِ الأسْلافِ

والنَّسيمُ

وسوسةٌ شِرِّيرةٌ

قمرُ الصَّيفِ

كُفرٌ يلوِّثُ العالَمَ

قُولي شَيئًا

قبلَ أنْ أغرقَ في الدِّمعِ

قُولي شَيئًا

كلُّ مَنفذٍ فِتنةٌ

تُطلُّ على مَنظرِ العُقوبةِ

والحُبُّ

رطوبةٌ عفنةٌ ومقزِّزةٌ

والسَّماءُ

خيمةٌ

للجلوسِ على الأرضِ

كي نندبَ أقدارَنا

ونَبكي

آهٍ،
قبلَ أنْ أغرقَ في الدَّمعِ
قولي شَيئًا،
أيَّ شيءٍ مهما كانَ!

اليَنابيعُ
تَغلي مِنْ التَّوابيتِ
والمُعزُّونَ الشُّعْثُ هُمْ صيتُ العالَمِ وسمعتُهُ
لا تبيعي العِفَّةَ للمِرآةِ
لأنَّ الفاجرينَ أحْوَجُ إليها

لا تجلسي صامتةً،
باللهِ عليكِ!
قبل أنْ أغرقَ في الدَّمعِ
قولي شيئًا
عَن الحُبِّ!

لَيْلِيَّةٌ 36

يبدو الأمرُ دائمًا هكذا،
أيُّها البَكَّاءُ:
أنتَ تحترقُ في نارِكَ الباردةِ
ورمادُكَ
فضَّةُ قمرٍ
حتَّى وأنتَ بدرٌ كاملٌ
لا يصدِّقُكَ أحدٌ

يا لها مِنْ اسْتجابةٍ مُحزنةٍ!
جُرحُكَ كانَ مِنْ ذلك البدرِ الكاملِ،
حتَّى المجوسُ تهجمُ على الأرواحِ
القديمةِ في القلعةِ

هل كانَ الأمرُ دائمًا هكذا؟
هل الأمرُ دائمًا هكذا؟

مَدَائِحُ بلا صِلةٍ

1992

جَريدةٌ ثَوريَّةٌ

عندما بدأتِ البُندقيَّةُ بإطلاقِ النَّارِ
كانَ الموتُ جالسًا أمامي
على طاولةِ المَشُورةِ صراعٌ على
«ماذا نفعلُ، وكيفَ؟»
كانَ يصحِّحُ عيِّناتِ المَطبعةِ
خطرَ ببالي: لماذا لِمْ يقمْ بعدُ؟
أوَلاَ ينبغي أنْ يأتيَ الدَّمُ
لتدورَ بَكراتِ المَطبعةِ؟

عندما جاءَ دورُ الملاَّحينَ

عندما جاءَ دورُ الملاَّحينَ
وقفَ ذلك السَّفاكُ الطَّاغي
ـ في جزيرةِ المَغْناطيسِ ـ
على قدميهِ بقوَّةٍ وثباتٍ
عضَّ بأسنانهِ على الخَنجرِ العاري
مِنْ الجُرحِ الأخيرِ
بدأ البَحرُ يُغنِّيهِ بصرخةٍ خافتةٍ
تركَ الملاَّحونَ أيدي الفتياتِ الفاتناتِ
وفوقَ أسطُحِ الحاناتِ القَديمةِ
أسقطوا أحمالهمْ، وتحرَّروا
وأخذَ النَّائمُ، السَّائرُ، المجدافَ
وفي قواربَ صدئةٍ ذهبوا نحوَ القدرِ المحتومِ
في الظَّلامِ!

بحثتُ في الكُتُبِ

بحثتُ في الكُتُبِ
وفي الصُّحفِ القديمةِ المُغبرَّةِ
في ذِكرياتي

في ذاكرةٍ لَمْ تعدْ تَسعفني
بحثتُ عَن نَفسي وعَن الغَدِ

عجبًا!
أنا باحثٌ
لا يُبحثُ عَني
أنا هنا والمستَقبلُ
في قَبضتي.

لا يزالُ ناعسًا

لا يزالُ ناعسًا
الصُّبحُ الكذوبُ
في سَريرِ العاصفةِ الثَّلجيةِ البيضاءِ

وأصواتُ القافلةِ الصَّاخبةُ
لقد: «وصَلنا هاهي وجهَتُنا الضَّوءُ والنَّارُ!»

الذِّئابُ قلقةٌ مِنْ ثُمالةِ الدَّمِ
تشدُّ سَرجًا على حِمْلِ القافلةِ
ولفرطِ نشوتِها تلثمُ بأسْنانِها
آذانَ وأعناقَ بعضِها البعض

«ياه!
كم قرنًا... كم قرنًا انتظرتُم؟»

وعلى واجهةِ القُطْبِ

قافلةُ المَوتِ

تستجيبُ وتستعدُّ للصَّلاةِ

سعيدةً لأنَّها أخيرًا وصلتْ إلى مَقصِدِها.

أنا أيضًا متواطئٌ مع الجَميعِ

أنا أيضًا متواطئٌ مَع الجَميعِ
طالما الجميعُ يخطِّطُونَ لكسرِ الأغلالِ
طالما يضحكونَ في سِرِّهِم
وبغنجِ قلوبِهم
يبصقونَ على لِحيةِ السَّاحرِ

لكنْ، ليسَ لديَّ أخٌ
لَمْ يكنْ لديَّ أخٌ، قطُّ، ليقولَ: «أجلْ!»
منحطٌّ يقولُ «أجل!» للطَّاعونِ
ويَرتضي الخبزَ الملوَّثَ

خِطابٌ[1]

ولدي الطيِّبُ، «ماهان»

استيقظْ واذهبْ إلى ذلك الزُّقاقِ!

هناك بيتٌ أمامهُ دَكَّةٌ

سَترى رجُلاً جالسًا عليها

رجلاً نحيفًا، مُسنًّا يرتدي ثَوبًا

مطرَّزًا بإكليلِ زهورِ الرُّمَّانِ

يبدو أنَّ حزنَ العالَمِ مُلقىً على كتفيْهِ.

ستتعرَّفُ عليهِ بسُهولةٍ

ـ ربَّما مِنْ عينيهِ التُّركمانيتيْنِ ـ

جاوِزْهُ، وتقرَّبْ إليه

قلْ لهُ بصَوتٍ عالٍ: «قورقونمي!»[2]

---

(1) أهدى «شاملو» هذه القصيدة إلى الشاعر التركماني «ماغتيم قُلي فراغي»، وقد كتبها إلى الأجيال القادمة، وإلى جميع التركمان النَّاشطينَ خلال «الثورة الإسلامية في إيران»، وذلك بعدَ ما أُعدم عددٌ من ثوارهم ومثقفيهم من قبل النِّظام البهلوي. [المترجمة]

(2) «قورقونمي» تعني بالتُّركمانيةِ «لا تَخَفْ!». [المترجمة]

(ربَّما في الآونةِ الأخيرةِ ثَقُلتْ مسامعُهُ)

سوف يهزُّ رأسَهُ

ويبتسمُ مُتأثِّرًا

سيقبِّلُكَ،

وأنتَ بعدَ ذلكَ سَوفَ تُخبرهُ

بأنَّكَ حَفيدي الصَّغيرُ واسمك «ماهان»

ولديك خِطابٌ مِنِّي

(اسمهُ «مختوم قلي»، حاولْ أنْ تتذكَّرَهُ)

ثمَّ أخبرْهُ عنِّي الآتي:

آهٍ، «يا مختوم قلي»!

يا لهُ مِنْ حُلمٍ عجيبٍ هذا الذي يمرُّ في اليَقَظَةِ

على عينيَّ القَلِقَتيْنِ

يا لها مِنْ رسالةٍ مَليئةٍ بالغُموضِ والأسْرارِ تلكَ التي تصرخُ وتعربدُ جرَّاءَ كوابيسِ لياليَّ بلا كلامٍ!

(إنَّه نومٌ مثقلٌ بالهُمومِ وليسَ إشارةً إلى المَجازِ كما أظنُّ)

أحلُمُ بأنَّنا عِدَّة رِجالٍ
في ظَلامِ اللَّيلِ الحالِكِ
في مقبرةٍ بلا تاريخٍ
نبحثُ عن شَيءٍ ما

اللَّيلُ مليءٌ بالأسْرارِ:
ظُلُماتٌ راكدةٌ
خارجَ المكانِ الذي يَبدو مقبرةً عتيقةً،
بلا بِدايةٍ
في نِهايةِ الزَّمنِ.

الأرضُ مَيتةٌ منذ زمنٍ طَويلٍ
والضَّوءُ الأسْودُ في الفلكِ
يُحزنهُ فسادُ الظَّلامِ.

يبدو أنَّنا عرفنا عمَّ كنَّا نبحثُ
رغمَ أنَّنا لا نفكِّرُ كثيرًا فيهِ

في العملِ نبدو رجالاً نتحدَّى إراداتنا
الحقيقةُ تبدو كشُعلةٍ باردةٍ
نستطيعُ أن نضعَ إصبعنا عليها
وليستْ هي السَّببَ في غَليانِ أنفُسنِا
ولنْ تقِفَ غايةٌ، حاجزًا، أمامَ سَعينا:

المجرفةُ والفأسُ يعملانِ بلا هوادةٍ
حتى نكشفَ السِّرَّ الكامنَ الذي جئنا للبَحثِ عنهُ
(آهٍ، «يا مختوم قلي»!
رأيتُ هذا الحلمَ عدَّةَ مرَّاتٍ
برأسٍ فارغٍ
وبنظرةٍ عاريةٍ)

فجأةً،
تراءى أمامَنا مَدخلُ قبوٍ!

(نظرَ جميعُنا، بذهولٍ وحيرةٍ، نحوَ بعضِنا
كلاًّ، كنتُ مخطئًا حينَ قلتُ بأنَّنا

نعرفُ كلَّ شيءٍ نبحثُ عنهُ!)

أوقدتُ مِشْعلاً

زحفتُ في القَبو

وفي تلك الوجهةِ المُخيفةِ

حدَّقتُ طويلاً:

رأيتُ في ذلك الظَّلامِ العَفنِ

آبائي، واحدًا تلوَ الآخرِ

ميِّتينَ ومدفونينَ

عظامُهم نُزعتْ عن اللَّحمِ

أرى أعيُنَهم ما زالتْ حيَّةً وقلِقةً في يباسِ جَوفي

جثوتُ على ركبتيَّ

قلتُ، برأسٍ مسدلٍ، باكيًا:

«أيُّها الآباءُ، أيُّها الآباءُ!

ما الذي يقلقُكم؟

نحنُ نعترفُ بأخطائنا

ولأجلِها نحنُ الآنَ تائهونَ
في أزمنةٍ مجهولةٍ
في ديارٍ مليئةٍ بالرُّعبِ
ثِقَلُ الأغلالِ يكسرُ ظهورنا
وأجسادُنا تَنزفُ جراحًا،
وحِمْلُ الذُّلِّ على أكتافِنا
شدَّةُ العارِ تَمنعُنا عنْ ذرْفُ الدَّمعِ
وشدَّةُ الخوفِ تمنعُنا عن صرخةِ التَّوجُّعِ

ما الذي يقلقُكم؟
نحنُ نعترفُ بأخطائنا
ونسعى لتصْحيحِها»
ردَّ الآباءُ بنظرةٍ نحوي،
بنظرةٍ مليئةٍ بالكراهيةِ،
ـ بنظرةٍ أشبهَ بتنهيدةٍ ـ
وبهدوءٍ،
لمحتُ أعيُنَهم التي تُشبهُ حبَّاتِ عنبٍ سُودَ في إناءِ رؤوسِهم
كانتْ أعيُنُهم تتحسَّرُ،

تأخذُ طريقها لتسقطَ على الأرضِ

وتجفَّ عليها

والنِّهايةُ!

تلكَ كانتْ كلُّ أحلامي

ربَّما هذا الحلمُ هو تحذيرٌ

ربَّما هذا الحلمُ يقولُ إنَّ تعويضَ جَهلِنا ثقيلٌ جدًّا

وفي كلِّ مرَّةٍ علينا أنْ ننتظرَ مصيبةً أُخرى

لا أعرفُ تَفسيرَهُ

أو إلامَ يشيرُ،

لكنْ، كلُّ حَياتي صارتْ تَكرارًا لهذا الكابوسِ المُوحشِ!

أقولُ في نَفسي:

«لا يَنبغي التَّفكيرُ في هذه الحكايةِ،

ليسَ لَها نِهايةٌ!

سببُها واضحٌ:

ربَّما لأنَّهم باستمرارٍ يتحدَّثونَ
عن المَوتِ والقَبرِ والكَفنِ والعَزاءِ
مِنْ اللَّيلِ وحتَّى الصَّباحِ
كلاًّ،
بقليلٍ مِنْ الجهدِ
سأمحو الذَّاكرةَ!»

لكنْ،
في لحظةٍ أُخرى
تراءى لي هذا الحُلمُ مِنْ جَديدٍ
وبدأ الطَّريقُ مِنْ جديدٍ!

في الحَقيقةِ
لا أؤمنُ بالقَدرِ وما كُتِبَ على الجَّبينِ مِنْ أباطيلَ
لو تسمعُ منِّي، سأقولُ:

كلُّ واحدٍ منَّا قطرةٌ صَغيرةٌ مِنْ هذا النَّهر العظيمِ
وليسَ للقَطرةِ وحدها معنىً ولا خاصيَّةٌ

ضَغطُ المياهِ بلا حِيلةٍ

يدفعُنا صوبَ الحقيقةِ

دَعِ البُلهاءَ يسمُّونَهُ

القَدَرَ!

الحِكايةُ:

لو عرفتْ القَطراتُ بذلَ الجُّهودِ،

لتغلَّبتْ ـ بلا شَكٍّ ـ على اتِّجاهِ القَدرِ

الجَّهلُ هو ما يجعلُ الضَّعيفَ يُسمِّي الانحدارَ قدرًا

ويعتقدُ بأنَّ المقدَّرَ شيءٌ لا يمكنُ تَغييرهُ

النَّهرُ شديدُ الانحدارِ

حيٌّ بهذا الجَّهلِ

وبقوَّةِ هذا المَعتقدِ

حيٌّ وحيويٌّ

هكذا نحنُ ـ أنا وأنتَ ـ

نجدُ مَصيرًا كهذا:

أنتَ حزينٌ وخائبٌ
تجلسُ لساعاتٍ
على الدَّكَّةِ أمامَ البيتِ المُعتمِ
غارقًا في التَّفكيرِ العَبثيِّ
كيفَ مرّتْ كلُّ هذه السَّنواتِ؛
بلا رفيقٍ!

وأنا، في هذا الرُّكنِ
في هذا التَّفكير العَبثيِّ:
أنتظرُ مَنْ أشاركهُ الحُزنَ
وأحملُ جزءًا مِنْ حزنهِ.

وفي هذه اللَّحظةِ،
النَّهرُ
سعيدٌ باعتقادِ الجَّهلةِ
لا يزالُ مُسرعًا منتشيًا
يقولُ:
مادامَ هناك هذا الإيمانُ

فعُمْرُ الفاجرِ، المُنتفِعِ، طويلٌ!

آهٍ، يا «مختوم قُلي»،
أحيانًا، أُلقي نَظرةً على قاموسِ اللُّغةِ:

كمْ للنَّصْرِ مِن مرادفاتٍ!
كمْ للبهجةِ مِن مرادفاتٍ!
كمْ للإنسانِ مِن مرادفاتٍ!
كمْ للحُرِّيَّةِ مِن مرادفاتٍ!
كم هي رنانةٌ، مرادفاتُها، وواعدةٌ!

أوَّاهُ، يا «مختوم قُلي»
كمْ هو مثيرٌ تأليفُ الشِّعرِ بِهكذا مرادفاتٍ!

كلاَّ، لا أريدُ أنْ أكونَ قارئَ رثاءٍ تَعِسٍ
هل ترى؟
أصبحَ هذا عَملي
أنْ أُجيءَ إلى غُرفتي كلَّ مساءٍ

وأبكي كلماتٍ أُخرى لأجلِ موتِ شَمسٍ أُخرى،
أحيانًا أقولُ في سِرِّي:
«نصيبُنا ليسَ تصديقَ السَّعادةِ
مَن الذي ختَمَ على جِباهِنا؟ الرَّبُّ أمِ الشَّيطانُ؟»
وأقولُ مرَّةً أُخرى:

«مع ذلك،
دائمًا، ثَمَّ رثاءٌ، عليَّ أنْ أكتبَهُ
أو صرخةُ ألمٍ
تعصرُ قلبكَ في قبضتِها،
على أيِّ حالٍ
دائمًا ما تعلقُ دمعةُ حُزنٍ في الأعيُنِ
تهزُّ العالمَ
لو نظرتَ مِنْ ورائها!

وهناك أشرارٌ
(يُتقنونَ مهنةَ شَدِّ الأيدي لأخذِها إلى المَذبحِ)
وشجعانٌ أقوياءُ

(يُتقنونَ صناعةَ الموتِ الجَّميلِ)

وأقولُ في نَفسي:

في كلِّ مَكانٍ يوجدُ

جِسرٌ مَهجورٌ على جَسَدِ نهرٍ جافٍ

في الطَّريقِ الأخيرِ والبَيتِ الأخيرِ

لأناسٍ بقلوبٍ حُرَّةٍ،

ومجدَّدًا

تحتَ الجِّسْرِ

البَحرُ

لا يتوقَّفُ

وتحتَ الجِّسرِ

البحرُ

سوف يُقرأ بمجدٍ أقوى»

أحيانًا بوجعٍ أتأمَّلُ

ألاَّ رسالةً وصلتْ مِنْ العَواصفِ

والنَّسيمُ الذي انحدرَ مِنْ الأعالي

هبَّ على أجسادٍ دونَ جَدوى

على أجسادٍ مُعلَّقةٍ بأملٍ زائفٍ،

لكنْ، الآنَ،

لأنَّني لَمْ أعُدْ خائفًا،

ولو مَرَّ هذا الحُلمُ في لَيلتي المُضطربةِ

أو في حمَّى

أو في عينٍ ساهرةٍ

أو في روحٍ حزينةٍ

كلاَّ، لَمْ أعدْ خائفًا:

حُرٌّ مِنْ النَّظراتِ ومِنْ الكلامِ

جاءَ أشباحٌ مِنْ قاعِ القُرونِ

أجلْ!

قلوبُهم المُستنيرةُ

تحتَ جزْماتهم

وعندما يتساقطونَ على التُّرابِ يَعتقدونَ

أنَّ السَّعادةَ أتتْ مَعهم إلى العالمِ

ليكن!

أنا لَمْ أعدْ خائفًا،

لأنَّني أعرفُ نكبةَ نهايةِ كلِّ مَجنونٍ

يبررُ الجَّريمةَ ويبشِّرُ بها كمذهبٍ حَقٍّ

أعرفُ ما هي،

أعرفُ جيدًا ما هي!

مَن خلقَ العالَمَ

«مَنْ خلقَ العالمَ؟»

«العالَمُ؟
أنا خلقتهُ!

مَنْ غيري يستطيعُ أنْ يملكَ أصابعَ خارقةً ليخلقَ العالمَ؟

أنا خلقتُ العالمَ»

«كيفَ خلقتَ العالمَ؟»

«كيف؟
بفضلِ الإعجازِ الطُّفوليِّ!

مَنْ غيري يستطيعُ أنْ يشاهدَ
مشهد (التَّوازنِ الدَّقيقِ للمُستحيلِ في ذُروةِ المُمكنِ)
مَنْ بإمكانهِ تحمُّلُ تلكَ الإجابةِ؟

خلقتهُ مِنْ يديَّ
وصنعتهُ على مقاسي»

لكنْ، ليسَ لديَّ محرابٌ
ليعبدني الخَلقُ
لديَّ الإمكانيةُ
ليسَ لديَّ كتابٌ لِمحرابي
لأنَّ لُغتي
هي إمكانيةُ كتابةِ الشِّعرِ، فقط!

لا أملكُ مكانًا على الأرضِ أو في السَّماءِ
لأنَّني لا أمنُّ على أحدٍ بعَملي:
أنا لستُ أنا
أنا أتكلمُ بلُغتكَ

وأعبرُ مِنْ خلالكَ

أنا فرصةٌ نابضةٌ

في مسافةٍ بينَ الميلادِ والمَوتِ

لأخلقَ المُعجزةَ الخالدةَ!

لا أستطيعُ ألاَّ أكونَ جَميلاً

لا أستطيعُ ألاَّ أكونَ جَميلاً
ألاَّ أكونَ مُرفَّهًا في تَجلِّي الخُلودِ

أنا جميلٌ حدَّ أنَّ الرَّبيعَ يزيِّنُ خَطواتي:

في العالمِ مِنْ حولي
أبدًا،
لَمْ يكنْ الدَّمُ دَليلاً على عُري رُوحي
والقُبَّرةُ لَمْ تخفِ رأسها مِنْ الخَوفِ

أنا جميلٌ حدَّ أنَّ عِبارةَ «الله أكبر» لَمْ تصفْ جَمالي
وهذا وصفٌ مِنْ قلَّةِ حيلتكَ كي تَصفَني بهِ

أنا سُمٌّ بلا مضادٍّ في حضرتِكَ

العالَمُ الجَّميلُ يستحضرُ مُعجزةَ حُضوري،

أيُّها الأبلهُ!

أنا لستُ عدوَّكَ؛

أنا إنكارُكَ.

لَمْ أكنْ أريدُ

لَمْ أكنْ أريدُ أنْ أعرفَ اسمَ «جنكيز خان»
لَمْ أكنْ أريدُ أنْ أعرفَ اسمَ «نادر»
أسماءَ الملوكِ
«محمد خواجه» و«تيمور لنك»،

لَمْ أكنْ أريدُ أعرفُ أسماءَ مَنْ يَتذلَّلُونَ
للنَّاسِ ومَنْ يُذيقُونَهم الذُّلَّ

كنتُ أريدُ أنْ أعرفَ أسمكِ
الاسمُ الوحيدُ الذي أردتهُ،
لَمْ أعرفهُ!

في الصِّراعِ مَع الانطفاءِ

1

أنا «بامداد»[1] أخيرًا

مُرهَقٌ

مِنْ الصِّراعِ، إلاَّ مَع نَفسي

رغم ألاَّ صراعًا أكثرَ تدميرًا مِنْ هذا،

إذْ أنَّكَ، قبل أنْ تركبَ حِصانكَ، تُدركُ

أنَّ ظلَّ نسرٍ كبيرٍ يمرُّ عبرَ الميدانِ

مُشْرعًا جناحيْهِ:

أخذَ القدرُ منكَ خُصلةَ شَعرٍ مسحورةً ملوَّثةً بالدِّماءِ مدفونةً بالتُّراب

ولَمْ تعُدْ لكَ قُدرةٌ على الهُروبِ مِنْ الهَزيمةِ والموتِ

أنا «بامدادُ»،

مواطنٌ بجسدٍ وذكاءٍ مُتوسِّطيْنِ

نَسبي يعودُ إلى المُتشرِّدينَ في «كابولَ»

(1) بامداد: لقبُ «أحمد شاملو» الشِّعريُّ، وله تأويلٌ آخرُ بمَعنى الفَجرِ أو مَطلعِ النَّهارِ. [المترجمة]

اسميَ الأوَّلُ «عربيٌّ»

اسمُ قبيلتي «تُركيٌّ»

كُنيَتي «فارسيَّةٌ»

اسمُ قبيلتي خَجِلٌ أمامَ التَّاريخِ [1]

لا أحبُّ اسميَ الأوَّلَ

ـ فقطْ عندما تتغنَّيْنَ بهِ سيصبحُ

هذا الاسمُ أجملَ كلمةٍ في العالمِ

وذلك الصَّوتُ أشْجَى أُغنيةٍ للغَوثِ ـ

ولدتُ في لَيلةٍ مُثقلَةٍ بالثُّلوجِ

ـ مُرهقًا منذُ البِدايةِ ـ

في بيتٍ كئيبٍ كانوا ينتظرونَ مَقْدمي

بجوارِ «مَسقى المِرآةِ»

قربَ دَيرِ الدَّراويشِ

(ربَما لهذا السَّببِ

ظلَّ الشَّيطانُ مَعي في كمينٍ دائمٍ

منذُ البدايةِ)

(1) قبيلة «شاملو» سُلالةٌ مَعروفةٌ بإراقةِ الدِّماءِ والظُّلمِ والجَّرائمِ، وهي إحدى القبائلِ السَّبعِ التي جلبتْ «الصَّفويينَ» إلى العَرش. [المترجمة]

في الخامسةِ مِنْ عمُري
كنتُ لا أزالُ مَذهولاً مِنْ الضَّربةِ الأولى
من شَقشِقةِ الجَّملِ المَخمورِ
وحُضورِ أرواحٍ زاحفةٍ سامَّةٍ على سَريرٍ
بلا جذورٍ
على تربةٍ مالحةٍ
في صحراءَ بَعيدةٍ
من ذكرى مغبرَّةٍ
لآخرِ جذرِ نخيلٍ على حافَّةِ نهرٍ جَافٍّ

في الخامسةِ مِنْ عمُري
وعاءٌ في يَدي
كنتُ أركضُ في الرّمالِ عاريًا أبحثُ عَن نَقشِ السّراب
قبل أختي
التي كانتْ لا تزالُ غريبةً

مع شَغفِ الرَّجلِ
أوَّلُ مرَّةٍ عندما «هابيلُ» الحَزينُ تلقى ضَربةً مِنْ ذاتِهِ
كنتُ في السَّادسةِ مِنْ عمُري

والاحتفالاتُ اللأَئقةُ:

في طابورِ الجنودِ وصمتِ المُشاةِ المنَظَّمِ الباردِ

في الشَّطرنجِ،

ومجدِ العَلمِ المرفرفِ الملوَّنِ

وأصواتِ البُوقِ والطَّبلِ

حتَّى «هابيلُ» لا يخجلُ مِنْ سماعِ صوتِ نواحهِ

أنا «بامدادُ»

مرهَقٌ مِنْ الصِّراعِ مَع نفسِهِ

مرهقٌ مِنْ المَسقى والدَّيرِ والسَّرابِ

مرهقٌ مِنْ الصَّحراءِ والسَّوطِ والإجبارِ

مرهقٌ مِنْ خَجلِ «هابيلَ» مِنْ نَفسِهِ

مضى على صمتي زمنٌ طويلٌ، لكنْ الآن

حانَ الوقتُ لأصرخَ مِنْ الأعماقِ

لأنَّ الشَّيطانَ، هاهُو أخيرًا، يفتحُ لي ذراعيْهِ

طابورُ المُشاةِ البَاردِ المُنَظَّمُ

والعَلَمُ الملوَّنُ المرفوعُ،

المَهيبُ

الاحتفالاتُ في ذُروةِ كمالِها،
يقفونَ ضعفاءَ ليتمَّ بَترُهم،
كشموعٍ مشتعلةٍ غيرِ ثمينةٍ

أجبرُوني على الوقوفِ في الطَّابورِ الأماميِّ الباردِ
والمنديلُ لسَدِّ الأفواهِ جاهزٌ
على صينيةٍ مِنْ الصَّفيحِ
قُربَ حفنةٌ مِنْ الرِّيحانِ والبَصَلِ
ثُمَّ تتقرَّبُ رَفيقةُ النَّائبِ، عاريةً
وشامةُ وصمةِ عارِ الوطنِ على عَورتِها
ثمَّ صوتُ الطُّبولِ، ويبدأُ الحفلُ:

حانَ الوقتُ أنْ أبصقَ كلَّ حِقدي في صرخةٍ مدوِّيةٍ
أنا «بامدادُ»
الأوَّلُ والأخيرُ
«هابيلُ» أنا
على منصَّةِ التَّحقيرِ
أنا شَرفُ العالمِ

جلَدَ ذاتَهُ بيدِهِ

ونارُ حُزني الأسْودِ

تجعلُ الجَّحيمَ يخجلُ مِنْ بضاعتهِ الهزيلةِ أمامي!

2

في مشفىً، حيثُ سريري أشبهُ بجزيرةٍ نائيةٍ،
أحدِّقُ مَذهولاً ومُحتارًا ممَّا هو حولي:

هذه المَشفى ليستْ لمرضى «الزُّهْرِيِّ»،
مرضى «السَّرطانِ» والممرضاتُ هما اللاَّزمُ والملزومُ
لمُعاشرةٍ غيرِ نَشطةٍ
مرضى «الجُّذامِ» يمشونَ بحُرِّيةٍ، بجفونٍ نصفِ ممضوغةٍ
وقلبيْنِ في كيسِ الفتقِ
وصديدٍ مِنْ القيحِ والبولِ ولوثٍ في الوريد
مع مكانسَ مِن ريشٍ
لتنظيفِ هذهِ الخِربةِ!

الممرَّاتُ في ظلِّ وحشٍ يفرضُ الصَّمتَ
إنَّهُ مركزُ مهاجعَ بحلقاتٍ حديديةٍ في الجُّدرانِ الحَجريةِ
والسِّياطُ والسُّيوفُ على الحائطِ
المُصابون بالإسهالِ
يعلِّقونَ الخَجلَ في حدائقِ الزُّهورِ

والقلبُ المُعافى ينبضُ بغرفةِ العَملياتِ
في طَستٍ مَليءٍ بالقَيحِ والقُطْنِ
هنا يوصفُ القلبَ المعافى بالعَلَقةِ
حتَّى بسعادةٍ وثُمالةٍ مثل كناريٍّ عاشقٍ
يُغرِّدُ
إلى أعتابِ المَوتِ
لتعرفَ أنَّ الأمانَ
ذَرَّةٌ لذيذةٌ
ستحصلُ عليها في القَفصِ، فقطْ
حتَّى الحارسُ يضعُ في كفِّكَ ورقةَ الأمانِ
ويدسُّ في جيبِكَ عُلبةَ المُهدِّئاتِ

ـ واحدةٌ في الصَّباحِ وأُخرى تُؤخَذُ بشغفٍ في المَساءِ!
الآنَ يمرُّ اللَّيلُ المتعبُ مِنْ وراءِ الأشجارِ
وفي المَطبخِ
الجرَّاحُ المساعدُ
لفُطورِ الطّبيبِ
يعري شاعرًا عاصيًا

(هل هناكَ مَنْ يحتجُّ؟)

وفي مراسمِ التَّشييعِ إلى المَقبرةِ
هناك أمواتٌ بسجلاَّتٍ رسميةٍ لا يَزالونَ يكافحونَ
ولا تزالُ هناك ألسنةٌ ونبضاتٌ تَغلي مِنْ حُمَّى الغضبِ.

أنا الآنَ عارٍ على طاولةِ العمليَّاتِ
لكن لا بُدَّ لي مِنْ صَرخةٍ مُدوِّيةٍ
لأَنَّني شَرفُ العَالَمِ
«هابيلُ» أنا
وفي يقطينةِ جُمجُمتي
إفطارٌ لذيذٌ للطَّبيبِ.

بصرخةٍ مَريرةٍ
سأسمِّمُ فمَهُ بسُمِّ الأفعى
لأَنَّني «بامدادُ»
طليعةُ الشَّمسِ.

التَّفكيرُ

التَّفكيرُ
في الصَّمتِ

مَنْ يفكرُ
عليه أنْ يحبسَ أنفاسَهُ

لكنْ، حينَ يكونُ الزَّمنُ
مَجروحًا وبَريئًا
تُطلبُ شهادتُهِ
سيتحدَّثُ بآلافِ اللُّغاتِ...

في الفَجر على نِداءِ الكدحِ والجُّنونِ

في الفجرِ على نداءِ الكدحِ والجُّنونِ
أفتحُ عَينيَّ مِنْ النَّومِ
الطَّعامُ، بجانبِ السَّريرِ، جاهزٌ

ـ الوهنُ البائتُ ودَماغُ الحِمارِ ـ
على عادَتي اليومية، أمدُّ يَدي وآكلُ
طوالَ النَّهارِ مُغتمًّا
أقومُ بهضمِ ما أكلتُ حتَّى المساءِ،
وفي المساءِ
أُذهَلُ بأنَّ فِكري لا يزالُ متوهِّجًا
أدقُّ على الخَشبِ نِكايةً بالحُسَّادِ!

مُحاربُ اليومِ...

ما ولدتُ مُحاربًا مِنْ بَطنِ أمِّي،

كلاَّ!

عُمرُ العالَمِ مرَّ مِنْ خِلالي.

أقربُ ذكرىً ليْ هيَ ذكرى القُرون،

لقد سَفكُوا دماءَنا مرَّاتٍ ومرَّاتٍ،

وتذكَّرْ! إنَّ الإنجازَ الوحيدَ مِنْ المَجازرِ كانَ قطعةَ خُبزٍ يتيمةٍ على مائدتنا غيرِ المُباركةِ.

خدعَنا الأَعْرابُ!

بيديَّ المُرهَقتيْنِ فتحتُ لَهم طريقًا للعُثِّ

لقد أجلسُونا

على البساطِ الأسودِ

وذَبحونا.

صلَّيتُ وتمَّ ذَبحي

قالوا أنَّني «رافضيٌّ»

صلَّيتُ وتمَّ ذَبحي

قالوا أنَّني «قِرمطيٌّ»

ثمَّ قرروا أنْ نتقاتلَ أنا وأُخوتي

وقالوا: هذا أقصرُ الطُّرقِ إلى الجَنَّةِ!

وتذكَّرْ! إنَّ الإنجازَ الوحيدَ مِنْ المَذبحةِ كانَ قطعةَ قماشٍ رثَّةٍ تغطي عَوراتنا.

تَفاؤلُ أخيكَ جعلَ «التُّركَ» يغنُّونَ

قطعوا رأسكَ ورأسي

سفاهتي جعلتْ «جنكيز خان» يغنِّي

قطعَ رأسكَ ورؤوسَ الجميعِ

وضعوا على أعناقنا أوزارَ الأبقارِ

جلسوا على ظهُورِنا

وحَرثُوا مَقبرةً بلا حُدودٍ؛

إنَّ النَّاجين منَّا، لا تزالُ أنهارُ الدَّمِ تَجري مِنْ أعيُنِهم!

تذكَّرْ الهجرةَ الغريبةَ!

مِنْ غُربةٍ إلى أُخرى

ليكونَ طلبُ الإيمانِ

فضيلتَنا الوحيدةَ

وتذكَّرْ! تاريخُنا كانَ تاريخَ الاضطرابِ

لا الإيمانِ ولا الوطنِ،

كلاَّ،

ما ولِدتُ مُحاربًا مِنْ بَطنِ أُمِّي!

كُنتَ أنتَ السَّببَ...

كنتَ أنتَ السَّببَ أنْ يخافَ إنسانٌ مِنْ إنسانٍ آخرَ
أنتَ مَنْ نحتَ ذلك الصَّنمَ العملاقَ
الذي يدعوني إلى السُجودِ أمامهِ بتَذلُّلٍ

أنتَ مَنْ ملأتَ روحي بالمَرارةِ والألمِ
وأنا أحببتُكَ
بذراعيَّ وفي أناشيدي

أنتَ أشدُّ أعدائي
وأنا أمجِّدُكَ،
أنا الذي أعاني، الويلُ لي،
وأمجِّدُكَ!

يدٌ لا تَصلُ ليدٍ أُخرى

يدٌ لا تَصلُ ليدٍ أُخرى
لأنَّ حاجزًا إسمنتيًّا مِنْ السَّفاهةِ بينهُما:

«نحنُ» تمرُّ بذِهنِكَ و«هُم» على لِسانِكَ
قلقٌ، مِن أنْ تفتحَ فَمَكَ، وخائفٌ

ليكُنْ كابوسُكَ أكثرَ اضطرابًا!
وعندما تستيقظُ؛
تدبَّرْ تفسيرَ حلمِكَ!

نفسُهُ دائمًا

نفسُ الحُزنِ دائمًا،
نفسُهُ دائمًا ذلك السَّهمُ المَغروسُ في الكَبِدِ حتَّى النِّهايةِ

نفسُ المُواساةِ،
نفسُ كتابةِ الرِّثاءِ،
نفسُ الحُزنِ والكلمةِ الحزينةِ،
الاسمُ نفسُهُ،
صاحبُ المَرثيَّةِ نفسُهُ،
نفسُ الخُدعةِ،
نفسُ اللَّيلِ ونفسُ الظُّلُماتِ؛
ليبقى «الضَّوءُ» رمزًا للأملِ...
نفسُ الطَّريقِ،
ونفسُ الضَّياعِ منهُ،
حتَّى تبلغَ كلمةَ «الرَّاكب»
يَظنُّ المخاطَبُ أنَّ المُنقذَ في الطَّريقِ!

هكذا كانَ، ولا يزالُ
حتَّى مُعجمُ اللُّغةِ سُلِّمَ إلى المحقِّقينَ
ليسجنوا أيَّ مُفردةٍ لها مَعنىً ودَلالةٌ
وليتركوا المُفرداتِ غيرَ الصَّالحةِ للشُّعراءِ.

وصُنِّفتِ المُفرداتُ إلى مُذنبةٍ وبريئةٍ،
إلى حُرَّةٍ ودونِ مَعنًى
إلى سياسيةٍ ودونِ مَعنًى
إلى رمزيةٍ ودونِ مَعنًى
إلى خطيئةٍ ودونِ مَعنًى

والشُّعراءُ
ينحتونَ مِنْ أكثرِ المفرداتِ سُوءًا
أكبرَ قَدْرٍ مِنْ كلماتِ الخَطيئةِ
حتَّى المحقِّقونَ ابتكروا طريقةً أُخرى
ومنذُ ذلكَ الحينِ،
أصبحَ التَّحدُّثُ الجَّريمةَ نفسَها!

جَزَّارٌ يَبكي...

جزَّارٌ
يبكي

كانَ قد وقعَ في غرامِ
كناريٍّ صَغيرٍ!

ثُمَّ تحدَّثتِ الأرضُ...

إلى شاهرخ جنابيان

ثُمَّ تحدَّثتِ الأرضُ

والإنسانُ مرهقٌ ووحيدٌ، كانَ يجلسُ على الصَّخرةِ، متفكِّرًا، نادمًا على ما فعلَهُ، والأرضُ تحدَّثتْ قائلةً:

ـ أعطيتُكَ خُبزًا، وعُشبًا وقطيعَكَ، وأوراقًا يانعةً لتأكلَها مَع الخُبزِ.

قال الإنسانُ: هو هكذا فعلاً.

الأرضُ قالتْ: بكلِّ الأصواتِ تكلَّمتُ مَعكَ، بالنَّسيمِ والرِّياحِ، بغليانِ اليَنابيعِ وتساقطِ الشَّلالاتِ، بانهيارِ الجَّليدِ مِنْ فوقِ الجَّبلِ عندما كنتَ تجهلُ ذلكَ، وبالرَّعدِ والصَّقيعِ والعاصفةِ.

قالَ الإنسانُ: أعرفُ، أعرفُ، ولكنْ كيفَ لي أنْ أعرفَ رسائلَكِ السِّرِّيَّةَ لي؟

قالتِ الأرضُ: كلاَّ، الأمرُ في غايةِ السُّهولةِ وما كانَ الرُّسُلُ قلَّةً، وكنتَ تعرفُ أنَّني أحِبُّ عبادتَكَ لي، لا بطريقةِ عاشقٍ مُختارٍ بل كنتُ مسيَّرةً كالجَّاريةِ مَعكَ، لقد أحببتُكَ كثيرًا وعندما كنتَ تفتحُ لي ذراعيْكَ كانَ جسدي ورُوحي يستجيبانِ لكَ بألفِ نَغمةٍ جَميلةٍ كعَروسٍ في فستانِ زَفافِها، تنهيدتُها الموجعةُ كانتْ تتحوَّلُ لتكشفَ سِرَّ اللَّذَّةِ المخَفيَّةِ في

جَسدِها، أو عزفُ قيثارةٍ يحوِّلُ كلَّ جُرحٍ لنغمةٍ لَطيفةٍ ومغايرةٍ،آهٍ! يا لها مِنْ عَروسٍ، كلُّ مرَّةٍ تأتي لسَريرِكَ ساجِدةً (هكذا قالتِ الأرضُ).

في أيِّ صَحراءَ حفرتَ بئرًا ولمْ أسقِكَ مِنْ مائها العَذبِ؟ أو في أيِّ أرضٍ جافَّةٍ ـ تنتظرُ مُداعبةً منِّي لتكونَ خِصبةً ـ وضعتَ محراثَكَ فيها ولَمْ أكافئْكَ بحصادٍ مثمِرٍ؟

مُجدَّدًا، قالَ الإنسانُ: كيفَ لي أنْ أعرفَ سِرَّ رسائلِكِ؟

وردَّتِ الأرضُ قائلةً: كنتَ تعرفُ أنَّني أحبُّكَ بكلِّ خُشوعٍ وتواضعٍ، وأرسلتُ لكَ ألفَ رسالةٍ وصوتٍ أنْ تكفَّ مِنْ مناداةِ السَّماءِ، حيثُ يأتي الوحيُ مِنْ التُّرابِ. أرسلتُ لكَ رسالةً بعدَ أُخرى لأخبرَكَ بأنَّ مرتبتَكَ ليستْ منزلةُ العَبيدِ في هذه الأرضِ الواسعةِ! أنتَ «شهريارُها»، وما أخذكَ إلى عرشِ «شَهريارَ» ليستْ رعايةَ السَّماءِ بل محبَّةَ الأرضِ لكَ.

آهٍ! كانَ لي في الحُبِّ خُشوعٌ، على امتدادِ العالَمِ اللاَّمُتناهي، كانتْ لي سلطةٌ سَعيدةٌ، وكنتُ يانعًا ومُزدهِرًا مِنْ قِواكِ السِّحريةِ، قبلَ أنْ تذلِّلَني يا مَلِكَ رُوحي لأكونَ عبدَ السَّماءِ؛ وأضعَ يَدي على صدري وجبيني على التُّرابِ.

أتمَّتِ الأرضُ حَديثَها، بينما الإنسانُ مُتفكِّرًا ومُرهَقًا وخَجِلاً يتنهَّدُ مِنْ أعماقِ رُوحِهِ، بألمٍ:

ـ كنتُ لكَ تمامًا، اسْتسلمتُ لكَ، مثلَ جُدرانِكَ الأربعةِ في بيتِكَ الصَّغيرِ. أعطاكَ حُبِّي القُوَّةَ على أنْ تكونَ مَلِكَ الجَّميعِ ـ الويلُ لي! ـ ربَّما كانَ ذَنبي هو أنَّني كنتُ البِساطَ تحت قدميْكَ!

حتى تتغذَّى مِنْ دَمي ضغطتُ بأسْناني على كبِدي بألمٍ مثلَ أمٍّ تتحمَّلُ مشقَّةَ الرِّضاعةِ ليتغذَّى رَضيعُها مِنْ عُصارةِ جسمِها.

علَّمتُكَ أنْ تبحثَ عَن الحَديدِ والمعادنِ لتحرقَ صَدري العاشقَ، وكانَ كلُّ هذا مِنْ أجلِ إعطائكَ أداةً، خوفًا مِنْ يديكَ التي كنتُ حذرةً مِنها عليكَ، لكنَّكَ أدرتَ وجهَكَ عنِّي ووجدتَ أنَّ الحَديدَ والمعادنَ أكثرُ فتكًا مِنْ الحِجارةِ التي قَتلتْ «هابيلَ»، وملأتَ التُّرابَ مِنْ ضحايا شَرِّكَ، آهٍ، الأرضُ أصبحتْ وحيدةً! الأرضُ أصبحتْ حُرَّةً مع وحدتِها!

قالَ الإنسانُ في سِرِّهِ: كانَ القدرُ/ السَّماءُ بحاجةِ ضحايا.

ـ كلاَّ (قالتِ الأرضُ)، يُردِيني أنْ أكونَ مَقبرةً! وأنتَ كيفَ تتحدَّثُ عَن «القَدَرِ»، دُونَ أن تشعُرَ بالفَشلِ العَميقِ، وما هُو إلاَّ ذَريعةُ استسلامِكَ!

ذلكَ السَّاحرُ يعلِّمُكَ أنَّ العدالةَ أسمى مِنْ الحُبِّ ـ إنَّهُ لأمرٌ مؤسفٌ لو أخذتَ بالحُبِّ فلنْ يكونَ هناك ظلمٌ لتحتاجَ إلى عدالةٍ ـ حيثُ هناك ستغمضُ عينيْكَ وتضعُ سَيفَكَ في غمدِهِ، أعْنِي الحَديدَ الذي منحتكَ إيَّاهُ لتصنعَ منهِ مِحراثًا!

ها هي المَقبرةُ التي صنعتْها السَّماءُ مِنْ العَدالةِ! الويلُ! ليستُ سِوى خرابٍ غيرِ مثمرٍ!

كانَ اللَّيلُ والمَطرُ يتحدَّثانِ في الأنقاضِ عندما وصلتْ الرِّياحُ، وأحدثتْ اضطرابًا وهيَاجًا، ثمَّ لَمْ يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى وقعَ خلافٌ بينهما وارتفعَ الضَّجيجُ بأرجاءِ التُّرابِ، ولَمْ يحترموا هزيمَ الرَّعدِ الآمرَ بالهُدوءِ.

قالتِ الأرضُ: نحنُ، الآنَ، على مفترقِ الطَّريقِ، ليسَ لديكَ سِوى الشُّعورِ بالعَارِ مِنْ عبثيَّتِكَ، فامنحْ عنقَكَ للقَدرِ المخادعِ بكلِّ رجولةٍ!

لكنْ، دَماري الذي معاناتهُ منكَ لَمْ ينتهِ، في هذا المَدارِ البَاردِ:

مثلَ عاشقةٍ تَزحفُ على سَريرِ حَبيبِها المَفقودِ لتعْثِرَ على عطرهِ في ثناياهِ، كلَّ سَنةٍ أعودُ إلى المكانِ الأوَّلِ مع دمُوعِ الذِّكرى.

تحلُّ ذكرياتُ الرَّبيعِ دونَ أنْ يحدثَ فيَّ حرثٌ جديدٌ، دونَ أنْ أشعرَ بجذورٍ تتوسَّعُ وتمتدُّ في رحْمِي، والغيومُ بالأوراقِ والأشواكِ سوف تضمُّني بين ذراعْيها وتواسِيني بِدموعِها العَقيمةِ.

لكنْ، لا عزاءَ لِروحي:

في غيابكَ المؤلمِ سأفكِّرُ بكَ يا ملكَ المجرّاتِ المتحطِّمِ، الذي سقطَ وهُزِمَ بتعويذةِ شَرٍّ، وسوفَ أبحثُ عَن آثارِ أصابعِكَ على جَسدي اليائسِ في ذكرىً مصحوبةٍ بالبُكاءِ.

لَيْلِيَّةٌ 37

صَريرُ الصُّراخِ
على سطحِ الظَّلامِ المَريضِ

طِفلٌ
يُكَبِّرُ

عاهرةٌ
تبكي مِنْ الجُّوعِ

فاسدٌ
يتحدَّثُ عنْ انتصارِ العَبيدِ الشُّجعانِ

لُجةُ القَطرانِ والقارِ
ليستْ لانهائيةً

إنَّها ثقيلةٌ في العُبورِ فقطْ

النَّهارُ أيضًا لَمْ يَدُمْ طويلاً

لأنَّ الشَّمسَ

مَنارةُ ظُلُماتٍ أُخرى:

على سَطحِ مُعتمٍ مريضٍ آخرَ

ذلك الذي يُكَبِّرُ الكسوفَ

هو طفلٌ بلا رأسٍ

وهمساتُنا

ليستِ النَّشيدَ الأخيرَ، أبدًا

رغمَ أنَّها دائمًا كانتْ أدعيةَ صلواتِ ما قبلَ المَوتِ!

هذا الصوت

لَمْ يعُدْ هذا الصَّوتُ
شَدوَ ذلكَ الطَّائرِ النَّاريِّ
وهو ما لَمْ أؤمنْ بهِ منذُ البدايةِ.

أصبحَ الحَديدُ
الآنَ
خطابَ كراهيةٍ
يشحذُ ألمَهُ المُذلَّ
في حلقِكَ

لَمْ يعُدْ صَوتُ صَريرِ البَابِ
نغمةً عَجلى غيرَ مُرَوَّضةٍ
وهو ما لَمْ أؤمن بهِ منذ البدايةِ.

الآنَ

الأسطوانةُ الأولبيةُ

هي مَنْ تُحطِّمُ العَبيدَ

الذينَ في يومٍ ما

كانوا بأعيُنٍ مغمضةٍ

يدفعونَها بقوَّةٍ.

لا تَفْتَرِ كذِبًا

لا تفترِ كذبًا!

إنَّ الشَّمسَ والظَّلامَ يتخاصمانِ،

الشَّمسُ ليستْ حزينةً مِنْ وجودِ الظَّلامِ،

وليستْ في صِراعٍ مَعهُ...

الظَّلامُ لا يتراقصُ على صَوتِ الصِّراعِ،

وعندما تُشرقُ الشَّمسُ فَلا وقتَ لَديْها للتَّأنِّي.

يكفي ألاَّ تساندَهُ،

أو تدعَهُ يركبُكَ!

لَمْ يُعنِّي حُزْني

لَمْ يُعنِّي حُزني:
أجتازُ حدودَ التَّراكُمِ
حدَّ أنَّ أحدًا لمْ يَشعرْ بِحَسْرتي الشَّديدةِ

عيناي بقيتا تحدِّقانِ في الفَراغِ
قالوا
يُفكِّرُ بفُتورٍ في الماضي

توقَّفتُ عَن الكلامِ
قالوا
مِنْ لباقةِ لسانِهِ وصلْنا إلى القَاعِ

لَمْ تسقطْ دمعةٌ من عينيَّ
قالوا
سقوطُهُ ليسَ عبثًا

لَمْ أصرخْ مِنْ تلقاءِ نَفْسي،

قالوا:

يتظاهرُ بالمَحبَّةِ

لكنْ، لو ذهبنا فلنْ يتذكَّرَنا

ثُمَّ

غادرَ المُعزُّونَ المكانَ:

للتَّعبيرِ عن الحُزنِ

حرَّكوا الرؤوسَ

عاجزينَ عن إدراكِ موتٍ كهذا

بدموعٍ مالحةٍ على الوجوهِ

ارتدوا السَّوادَ

طقوسَ عبادةِ المَوتى

حزنوا بلا درايةٍ

بعويلٍ

مزَّقوا ثيابَهم على أجسادِهِم

عندما خلَوتُ إلى نَفْسي

جسَّدتُ صورةَ غيابِهِ الكبيرِ

أمامي

وحاصرتْني غُيومُ شِتاءاتِ كلِّ العُمْرِ

دُفعةً واحدةً

رغمَ أنَّ وفرةَ الدَّمعِ، أيضًا،

لمْ تمحِ مرارةَ ألَمي

لَمْ تُغنِّي!

ثُمَّ بلا مَلامةٍ

وضعتُ مِرآةَ البُهتانِ العَظيم أمَامي:

رأيتُ اِحمرارَ عينيَّ المُخادِعتيْنِ،

ضِيقَ زُجاجةِ خَمرٍ لا تَروي؛

ليتَكَ ـ يا صَديقي ـ لو كنتَ ترَى بأمِّ عينِكَ

لتَتذوَّقَ بِروحِكَ

نِهايَتي

(رغمَ أنَّها أصعبُ مِنْ أنْ يُدفنَ الآخرُ تحتَ التُّرابِ،

وترى شغفَ الخَصمِ المخمورِ الرَّخيصِ)

لقدْ شاهدَ موتَهُ

قبلَ أنْ يبلِّلَ الموتُ ريقَهُ مِنْ كأسِهِ

لكنَّهُ سمعَ صرخةَ الموتِ

(انفجارُ المذلَّةِ الأبديةِ بينَ طيَّاتِ ابتسامةٍ صفراءَ):

«سأتركُكَ في بَرزخِ الاحتضارِ!

لتتذوَّقَ عارَ حياتِكَ،

إنَّه أكثرُ مرارةً مِنْ طعنةِ الخَنجرِ

قطرةً قطرةْ

نقطةً نقطةْ

أنتَ مَنْ وضعتَ هذهِ السُّنةَ:

إنَّ الموتَ

يليقُ بالصَّادقينَ، فقط»

مـعَ «برونيفسكي» الشَّاعرِ البُولنديِّ

حينَ تدقُّ السَّاعةُ المقدَّرةُ

لا تبكِ!

أستحلفُكَ أن لا تبكي!

لأنَّ بكاءَكَ يجعلني أشُكُّ

رقصةُ المِرساةِ في الفَضاءِ المُقدَّرِ، ثمَّ

يأسٌ مُبكٍ كهذا؟

كلاَّ!

مِنْ الحِكمةِ أنْ تختارَ

تحريكَ عقربَ السَّاعةِ بنفسِكَ

الموتُ المقدَّرُ

ليسَ تلكَ اللَّحظةَ الجَّامدةَ

التي تُصدِّقها

خائفًا ومرتجفًا

حدَّثتكَ عَن ذلكَ عدَّةَ مرَّاتٍ مِنْ قبلُ

كنتُ حمَّالَ شَكٍّ

ما كنتَ ستطيقُهُ أو تصدِّقُهُ

مِنْ أين لكَ أنْ تعرفَ

أنَّ بيتَ السَّماءِ

كنزٌ فانٍ

سقفهُ لا يُدركُ

سعادةٌ مؤقَّتةٌ

وملجأٌ بلا اتِّكاءٍ

لن يسعَكَ ذلك!

يسعُ مسافرٌ لليلةٍ واحدةٍ

معرَّضًا للمَطرِ والرِّياحِ المفاجئةِ.

عقربُ اللَّحظةِ المقدَّرةِ

ارمِ بها إلى الجَّحيمِ!

آهٍ، القِ بِها في الجَّحيمِ!

الكرَاهيةُ الآنَ...

«الكراهيةُ»، الآنَ، نعتٌ أبترُ
لأنَّها وحدَها لا تعبِّرُ عن تعطُّشِ الدِّماءِ
ولا تَصلحُ للحماقةِ والنِّزاعِ
ولا تَصلحُ بالجَّشعِ
ولا بالأنانيةِ.

التَّاريخُ
ليس أديبًا
لكنَّهُ يحرِّرُ
قاموسَ اللُّغاتِ

الفَجرُ

نِداءٌ في نِداءٍ
الدِّيكةُ تَصيحُ

إلى أبعدِ حدودِ الظَّنِّ،
لكنْ، في هذهِ المساحةِ بينَ الرِّمالِ والأملاحِ
ليستْ هناك قَريةٌ

إنَّهُ النَّهارُ قادمٌ مَرَّةً أُخرى
يذكِّرُ بالصَّباحِ والتَّرحيبِ والرِّياضِ،
أمَّا الذُّلُّ
في كلِّ فجرٍ
يعيدُ صناعتَهُ مِنْ جَديدٍ
في تجربةِ بُكاءٍ دائمةٍ.

صَحراءُ

إلى زيور بطلة رواية كليدر محمود دولت آبادي

نصفُهُ نارٌ ونصفهُ الآخرُ دمعٌ
امرأةٌ تبكي وتنوحُ
على مَهدٍ فارغٍ.

ويلاه يا وردتي!
في غرفةٍ، حيثُ لَمْ يُعرِّ رجلٌ حسرةَ روحِهِ
على نقشِ نبتةٍ قَديمةٍ،
أبدًا

ويلاه يا وردتي!
في قلعةٍ مدمَّرةٍ
في متاهةِ الطَّريقِ
راقصٌ في شَكلِ السَّرابِ

إلى اللاَّمبالاةِ،

ويلاه يا وردتي! ويلاه يا وردتي!

أينَ كانَ ذلكَ العالَمُ؟

أين كانَ ذلك العالمُ،
الذي تسلَّلَ الآنَ في ذاكرتي؟
ألعابٌ ناريةٌ مِنْ الفَرح والوفْرةِ
ونسجٌ متينٌ لذلك الفَقرِ المُدقعِ

قَصرٌ مزيَّنٌ ومجلَّلٌ
لكنَّهُ كانَ مَلجأً فقط!

أينَ ذهبتْ تلك النِّعمةُ المَجَّانيةُ؟

أينَ ذهبَ ومَتى
ذلك الحدثُ المُفاجِئُ
إنَّ قطعةَ خبزٍ،
ـ لنا، نحنُ العبيدَ العاصينَ ـ

ما كنَّا لنَأكلَها

ومِنْ اللُّؤمِ كلُّ وجبةٍ في آنيتنا

كانتْ تغنينا لأسبوعٍ

وأحيانًا لأشهرٍ

أحيانًا

خُلسةٌ

مِنْ حُدودِ الذِّكرياتِ

هل كانَ وجودُنا يكفينا؟

الدُّخانُ الذي ما كانَ يَعلو موقدَ الكوخِ

لَمْ يكنْ إشارةً على انطفاءِ أواني الطَّبخِ

بلْ كانَ حِيلةً

لإبعادِ الحسَّادِ.

ربَّما كانَ الجسدُ يتغذَّى مِنْ سَعادةِ الرُّوحِ

مثلَ الفراشةِ عندَ نَضارةِ الزَّهرةِ

وكنَّا ـ نحنُ الاثنيْنِ ـ نمدُّ أيدينا في كيسِ «المَلكِ سليمانَ»

ونُقيمُ الولائمَ

في غُرفٍ مُلوَّنةٍ

لجياعٍ نفدَ صبرُهمْ

لا تزالُ السَّماءُ
مثقلةً مِنْ انعكاسِ أهازيجِ تَمجدِينا
(نحنُ غيرَ المدَّعينَ)
هذه الألعابُ النَّاريةُ الكَثيرةُ
مناراتُ شَرفِ مَنْ؟
ولكنْ، يا ربي! قلْ لي أين ذهبَ ذلك القصرُ المُضيءُ
أنا الآنَ سجينُ سِجنٍ بَغيضٍ،
وكلُّ صَباحٍ ومَساءٍ
يُعثَرُ في أنقاضِهِ على وابلٍ مِنْ الكُرهِ والنُّفورِ!

أينَ أنتَ؟
مَنْ أنا؟
وأينَ جغرافيَّتُنا؟

طائرُ «الواق»[1]

ماذا عسايَ أنْ أقولَ،
كمْ أُريدُكِ؟
عيناكِ نُجومٌ
وقلبُكِ الشَّكُّ

كنتُ أعرفُ أنَّ البُحيرةَ العَذبةَ
لا تَروي عَطشي
شَرِبتُ رشْفةً مِنها، وجفَّتْ!

ماذا، كانَ، عساي أنْ أقولَ!
كمْ كنتُ أريدُها؟

(1) طائرُ الواق: يسمى بالفارسية (بوتيهار)، ويذكر في أساطير الأدب الفارسي دلالةً على الطائر الحزين. هو معروف بضيق الأفُق والبُخلِ لأنه عطشان دائمًا، ولكن عندما يصل إلى النَّهر أو البحر، يكون حزينًا جدًّا لأنه يخشى أن تنفدَ مياهُ العالم ويموتَ من العطش، لذلك لن يشربَ الماءَ! [المترجمة]

أُغنيةُ الدَّمعِ والشَّمسِ

ـ أيُّها البحرُ، أيُّها البحرُ!
ماذا حدثَ لكَ
لتبكي؟

ـ رأيتُ نَفسي
مَنفيًّا في الظَّلامِ
بعيدًا عَن شَمسي

ـ يا فانوسَ الفِكرِ
ماذا حدثَ لكَ
لتَثُورَ؟

ـ وجدتُ نَفسي مُحترقًا مِنْ شَمسي!

أكثرُ الكلماتِ التي استُنزِفَتْ هيَ «المَحبَّةُ»

أكثرُ الكلماتِ التي أُستُنزِفَتْ
هي «المَحَبَّةُ»

المنبوذُ يحبُّ الضَّعيفَ

اللَّئيمُ
يحبُّ الخائرَ
والجَّبانُ
يحبُّ القُوَّةَ والانتصارَ

أكثرُ الكلماتِ التي أُستُنزِفَتْ على ألْسِنتِنا
مِنْ أينَ تعلَّمْناها؟

فقطْ، ولَو لِلحْظةٍ

فقط،

ولَو لِلحْظةٍ
أتوقَّفُ عن تكرارِ هذا القَولِ المُتداولِ
بأنَّني «أحِبُّكِ»

كتمثالٍ يترنَّحُ على الرِّمالِ
تسقطينَ على الأرضِ
وقبلَ أنْ تهزمَكِ الضَّربةُ المُؤلمةُ
تلجِئينَ إلى الصَّمتِ

إذَنْ، ماذا سَيتبقَّى منكِ
لو مضيتُ أنا؟
تعويذتُكِ الدَّائمةُ للاستمرارِ

هيَ
تَكرارُ كلمةِ «أحِبُّكِ»!

رغمَ ذلكَ

لَو انفجرتْ عَبرةُ بُكائِي...

لَنْ تَتحرَّكَ قَشَّةٌ عَلى المِياهِ

أعرِفُ ذلكَ!

الرَّجُلُ المَصلُوبُ

عادَ الرَّجُلُ المَصلُوبُ إلى رُشدِهِ
تصاعدَ الألمُ
مِنْ جُروحِ يديْهِ وقدميْهِ إلى قَلبِهِ.

في جَوفِ قَلبِهِ الجَليديِّ
في اصطدامٍ عَظيمٍ
انفجرَ،
ووميضُ بَرقِ حِممِهِ المُلتهبةِ أوقدَ أعماقَهُ البَعيدةَ
عَن إدراكِ حياتِهِ اللاَّمُتناهيةِ...

تأوَّه، مَرَّةً أُخرى:
«أبتاهُ، أيُّها المُحبُّ المُعطي!
عندما اخترتني لهذهِ المُهمَّةِ، هل سَتتركُني وحدي؟
لا أستطيعُ تحمُّلَ هذا الألمِ

حرِّرني، حرِّرني يا أبي!»

ويبدأُ الألمُ العَاري بالعَويلِ،

بسُرعةٍ،

في مَجرَّاتِ جَسَدِهِ

مِنْ أُفُقٍ إلى آخرَ:

«لا تقلْ عبثًا إنَّ الأمرَ بيدي!

فهذا يثبِّتُ سلطتَكَ المقدَّرةَ في الأرضِ أكثرَ

هذا هو الخُلودُ الذي يَجري في جَسدِكَ

ليظلَّ اسمُكَ إلى أبدِ الآبدينَ

سِحرَ النَّسخِ على الفَسخِ نِهايةَ العالَمِ!

ليسَ لكَ طريقٌ آخرُ سِواهُ:

بالألمِ تُخلَّدُ، تحمَّلْ هذه اللَّحظةَ الماضيةَ!»

وفي تلكَ الأثناءِ، في سُوقِ «أورشليمَ»

الْتحقَ بنسْجِ النَّسَّاجينَ الرَّجُلُ الضَّائعِ

كانتْ شفتاهُ الدَّاكنتانِ مُطبَقتيْنِ وعيناهُ الحَزينتانِ فارغتيْنِ مِنْ البَصرِ:

يبدو أنَّهُ ينظرُ في أعماقهِ المُظلمةِ

يبدو وحيدًا

مَع ذاتِهِ

يحدِّقُ في وحدتِهِ

الرَّجُلُ المَصلُوبُ

عادَ إلى رُشدِهِ

جَسدُهُ أثقلُ مِنْ ثِقْلِ الأرضِ

مُعلَّقًا على مساميرِ جروحِ يديهِ الحيَّتَيْنِ:

«أبتاهُ، خفِّفْ عَنِّي، خفِّفْ عنِّي!

دَعني أقطعُ هذا الممرَّ المُوجعَ

ساعدني، ساعدني، ساعدني!»

والخُلُودُ

مستاءٌ باحتقارٍ

في مجرَّاتِ ألمِهِ اللاَّمحدودِ،

بصُراخِ الشَّكوى اتَّجهَ نحوَ الجَّبلِ والمُحيطِ:

« ـ لا تتأوَّهْ بلا طائلٍ!

أدعوكَ وأذوِّبكَ في داخلي حتَّى نصبحَ واحدًا،

تحمَّلْ فوراتِ الألمِ، تُخَلَّدْ!»

ثمَّ وقفَ الرَّجُلُ المَريرُ
بهُدوءٍ أمامَ حانوتِ نسَّاجٍ يَهُوديٍّ
حفنةٌ مِنْ العُملاتِ الفِضِّيةِ في قبضتِهِ
أخذَ حبلاً مِنْ السِّلالِ
حاولَ المقاومةَ
لكنَّه ألْقى بكومةٍ مِنْ الكراهيَّةِ
على الرَّجُلِ اليهوديِّ
خرجَ مِنْ لُججِ الظَّلامِ
الظلُّ المَصلُوبُ:
«سألتحقُ بالخُلُودِ
أنا حاملٌ بالأبديةِ، والأبديةُ حُبلى بي
أنا توأمٌ، ابنٌ وأمٌّ
أنا أبٌ وابنٌ
إنَّني أُذكِّرُ بمجدِ التَّسبيحِ والتَّعظيمِ،
وعندما يُريدونَ لفظَ اسْمي

يجثونَ على الأرضِ:
!El Cristo Rey»
«Viva, Viva el Cristo Rey!

والألمُ
مَدَّ ظلَّهُ في الرُّوحِ
وازدهرَ بابتسامةٍ عَميقةٍ.
الرَّجُلُ المَريرُ الذي كانَ يجلسُ على غُصنِ
شَجرةِ التِّينِ الجَّافَّةِ
هزَّ برأسِهِ، وغمغمَ:
« أجل! هكذا يجبُ العُبورُ مِنْ اللَّحظةِ
مِنْ عَتبةِ الشَّكِّ
للوصُولِ إلى عالمِ الخُلُودِ
إنَّها ولادةٌ مؤلمةٌ، ولكنْ، لا مفرَّ مِنها
حملُ الإيمانِ والواجبُ يكسرانِ الظَّهرَ، كُنْ رجُلاً!»

وضعَ سلسلةَ الاسْتسلامِ حولَ عنقِهِ
وتحرَّرَ في الفضاءِ
مُبتسِمًا

قال الشّبحُ المصلوب همسًا:

«جسدٌ هزيلٌ ودامٍ

في طَريقِ المَلكوتِ الأبديِّ العالي

الآنَ

هآنذا

مَلكُ المُلوكِ!

حُكمُ الفَسخِ الخالدِ على نسخِ هذا العالَم!»

الألمُ والخلودُ

نظرا إلى بعضهما مبتهجيْنِ

وتصافحا،

والشَّبحُ المَصلُوبُ فكَّرَ في أعماقِ قلبِهِ الباردِ:

«لكنْ، في سِرِّي مَنْ أكونُ أنا؟

خلودُ العارِ والانهزامِ!

ضياءٌ مريبٌ، أنا صدى ذلك الرَّجُلِ الإسخريوطيِّ[1] الذي اسْتسلمَ قبلَ السُّقوطِ في فضاءِ اللَّعنةِ الأسودِ

(1) بحسب الأناجيل القانونية، فإن «يهوذا الإسخريوطي» هو أحد تلاميذ المسيح، خانه وسلَّمه لليهود مقابل ثلاثين قطعة فضَّةٍ، ثمَّ ندمَ بعد ذلك وردَّ المالَ لليهود وانتحرَ. ليحلَّ الرسولُ «متياس» بديلاً عنه ويكونَ من جُملة الإثني عشر. [المترجمة]

إنسانٌ أسْمَى مِنْ مخلوقاتِهِ

أعلى مِنْ الآبِ والابنِ وروحِ القُدسِ

قبلَ أنْ يفديَنا جسدُهُ، أنا وأبي الرَّبُّ

بتواضعٍ باعَ جسدَهُ

كيْ تَرْجَحَ كفَّةُ ميزانِ ربُوبيَّتِنا

نُوري الأبديُّ

سوفَ يسيرُ

محنيَ الرَّأسِ

تحتَ ظلالِ شجاعتِهِ!»

بتنهدٍ مَريرٍ وقَصيرٍ

مزَّقَ إكليلَ شَوكِ الشَّبحِ على صدرِهِ

وولدتْ «المَسيحيَّةُ»

مرَّ بزهوٍ مُفعمٍ بالألمِ

عاجزًا وحائرًا

أسدلَ الخُلودُ رأسَهُ

اهتزَّتِ الأرضُ

كسَّرتِ العاصفةُ بتمرُّدٍ أغلالَها

والشَّمسُ مِنْ الخَجلِ

خبَّأتْ وجهَها في تَنورةِ الخُسوفِ المُظلمةُ

تحتَ التُّرابِ المُنطفئ

ركعَ المُعزُّونَ

وفرشَ الخُلودُ عصابةَ رأسِ يهوذا الإسخريوطيُّ السَّوداءَ فوقهمْ!

رُوحٌ مَلأى بالجُّروحِ

روحٌ مَلأى بالجُّروحِ المُلتهبةِ
هكذا أبدُو

لكنْ، ماذا سيكونُ غَدُكَ
لو فجأةً، في هذا اللَّيلِ الغَريب،
افترَشتُ التِّيهَ أيضًا؟
استمرارُ قلَقٍ سَمجٍ، لا علاجَ لهُ
أمْ رنينُ ضَربةِ صوتٍ وحيدٍ، وضائعٍ؟

رغمَ أنَّ الصَّوتَ لهُ صدىً في المياهِ
المياهُ ستعبرُ فوقَ التُّرابِ...
هذا هو الصَّدى الأصيلُ
لِبُشرى الخُلُودِ!

ليلةُ الضِّفدَعِ

يُحرِّكُ النَّسيمُ الأوراقَ عَلى الأرضِ
نَقيقُ ضِفدعٍ وحيدٍ
يصِلُ مِنْ بِركةِ الجِّيرانِ.

يا لها مِنْ لَيلةٍ،
يا لها مِنْ لَيلةٍ!
ودِّعْ الخَجلَ عندَ الشَّمسِ على سِتارةِ البَابِ
فلا تَزالُ مِنْ الظُّلماتِ المكتنِفةِ
ثَمَّ لحظةٌ متبقِّيةٌ،
وحشُ العَربدةِ نائمٌ
أنصتْ الآنَ إلى الصَّمتِ.

آهٍ،
كم هو شَفَّافٌ!

يا لها مِنْ فُرصةٍ!

يا لها مِنْ لَيلةٍ!

تُرجمانُ الفَجيعةِ

خطابٌ سينمائيٌّ حولَ لوحاتِ «علي رضا اسپهبد»
في ثمانينياتِ القرنِ الماضي.

ماذا عساهُ أنْ يقولَ المَشهدُ
عندما يكونُ فارغًا مِنْ الممثِّلِ والتَّمثيلِ؟

هنا، لا مفهومَ للجَّمالِ المطلقِ،
حتَّى على ورقِ الجِّدارِ يجبُ أنْ يكونَ جَميلاً!

في غيابِ الإنسانِ
العالَمُ بِلا هُويةٍ.

في غيابِ التَّاريخِ
الفَنُّ
حركةٌ وقحةٌ، وموجعةٌ.

الفمُ المكبَّلُ
وحشةٌ مخادعةٌ مِنْ الوِشايةِ بالفَضيحةِ.

اليَدُ المُقيَّدةُ
حرمانُ الإنسانِ مِنْ إعجازِهِ.

الدَّمُ المُراقُ
حُرْمةٌ انتُهِكتْ وأُلقيَ بِها في المَزبلةِ
أفرطنا ـ لأجلِ الشَّبَعِ ـ في الطَّعامِ.

الفنُّ شهادةٌ على الحقيقةِ:
ضَوءٌ يترجِمُ الفَجيعةَ
ليسترجِعَ الإنسانُ
احتشامَهُ المُباحَ مُجدَّدًا.

الضَّوءُ
ليلٌ أعمىً
الضَّوءُ

ليلٌ أعمىَ

الضَّوءُ

ليلٌ أعمىَ...

في زُقاقِ المُصَالَحَةِ

يأتي، ويتقدَّمُ
يَبدو أنَّهُ قادمٌ على إيقاعِ طَبلٍ بداخلِهِ
مُحدِّقًا في عينيْكَ

يصلُكَ، غيرَ آبهٍ بكَ،
أنتَ الذي تبدو وكأنَّكَ تسدُّ الطَّريقَ أمامَهُ
ويعبرُ منكَ دون النَّظرِ خلفَهُ
في مَمرِّ المُصَالحةِ الأكيدِ،
دون أنْ يمرَّ، حقًّا، لأنَّ عُبُورَهُ سَيبدو
تكرارًا لا نِهائيًّا.

إنَّهُ واحدٌ، ليسَ إلاَّ
لكنَّهُ كطَابُورٍ لا يَنتهي
ـ انعكاسٌ مُستمرٌّ في المَرايا أمامَكَ ـ

يسلبُ شيئًا منكَ بأقلِّ احتكاكٍ مُمكنٍ،

دونَ أنْ تُدرِكَ ذلكَ،

وجهًا لِوجْهٍ، لكنَّكَ لا تَعرفُهُ!

يَبدو كعابرِ سَبيلٍ، غَريبٍ

إنَّما لَوْ نظرتَ إلى الوراءِ قَليلاً

سَتقولُ في سِرِّكَ، مُندهشًا:

ـ كم يبدو مَألوفًا،

كأنَّهُ الأمسُ!

نَشيدُ القَحْطِ القَديمِ

إلى جَواد مجابي

عامُ احتباسِ المَطرِ
وقطعةُ الخُبزِ اليَابسةُ
بلونِ انتهاكِ الحُرمةِ والنُّفورِ

بطعمِ شَتيمةٍ نابيةٍ
برائحةِ الغِشِّ

تُفضِّلُ ألا تشمَّ ولا تتذوَّقَ
ترى اللُّجوءَ إلى السَّريرِ بجُوعٍ
أعذبَ وأشْهى مِنْ ابتلاعِ السُّوءِ

عامُ احتباسِ المَطرِ

الماءُ

هو اليَأسُ

والشَّرفُ هو العَطشُ

احتفاءٌ شِرِّيرٌ

ومبرِّرٌ للتيمُّمِ

تقولُ، بجدِّيةٍ:

«طُوبى لِمنْ مَاتَ عطشانَ،

فمَنْ بلَّلَ شفتيْهِ أطاعَ الاستسلامَ والذُّلَّ»

لا سبيلَ للعطشانِ سِوى الماءِ

ولا للجَّائعِ سِوى الخُبزِ

لكنِّي مُتخمٌ بالجُّوعِ، ومُرتوٍ بالعَطَشِ

إنْ كانَ هذا هوَ الخُبزُ وهذا هوَ المَاءُ!

أُغنيةٌ حَزينةٌ لثلاثِ ملاحمَ

إلى عِمران صَلاحي

«لا يَخشى المَوتُ التَّفكيرَ في دافعٍ»
قالها مَن كانَ يقِفُ عندَ منحدرٍ على الطَّريقِ.

«ليسَ لدى الحياةِ فرصةٌ
للنَّظرِ إلى قِدَمِها في المِرآةِ
أو أنْ تختارَ بينَ الابتسامةِ والدَّمعِ
واحدةً بعنايةٍ!»

قالَها مَن كانَ يقفُ في التَّقاطعِ الثُّلاثيِّ.

«لا وقتَ للعِشقِ
حتَّى لو أرادَ القولَ:
لماذا يُحبُّكَ!»

وتلكَ أيضًا، واللهِ، قالَها أحدُهم:

شَجرةُ السَّرو تهتزُّ،
لكنَّها تقفُ مَنيعةً
بمنتَصفِ مُفترَقِ الطُّرُقِ
بينما تُحرِّكُها الرِّياحُ مِنْ كلِّ جانبٍ!

لَيْلِيَّةٌ 38

متى وكيفَ،
تحدَّثَ النَّسيمُ
عن تَبختُرِكِ؟

عن آخرِ مِيلادٍ لكِ
كم مِنْ الوقتِ مَضى؟

متى وكيفَ،
قصَّتِ النَّارُ حكايةَ شَغفي المُشتعلِ؟
كمْ مِنْ الوقتِ مَضى،
على هذا البُركانِ القَديمِ؟

مَتى وكيفَ
تحدَّثَ المَاءُ عَن انحناءاتِنا؟

كمْ مِنْ الوقتِ بقيَ لِهياجِ البَحرِ مَرَّةً أُخرى؟

متى وكيفَ،
كانتِ الأرضُ تحتَ أقدامِنا
حَقيقةً لا يمكنُ إنكارُها؟

كمْ مِنْ الوقتِ بقيَ على ولادةِ الأملِ مرَّةً أُخرى؟

أُحبُّكِ دُونَ...

أُحبُّكِ دُونَ... أنْ أُريدَكِ.

إنَّهُ العجزُ

أنْ تلفَّ حولَ نفسِكَ

ترعدُ دونَ أنْ تمطرَ.

إنَّهُ العَجزُ

أنْ تريدَها

دونَ أنْ تغمرَها.

إنَّهُ العجزُ

أنْ ترغبَ فيها،

أنْ يتمنَّاها كلُّ شِريانٍ فيكَ

دونَ رَجاءٍ منكَ حتَّى!

هل تلكَ هي نِهايةُ الحُبِّ؟

هل ذلكَ هو الوعدُ باللِّقاءِ خارجَ الأجْسادِ؟

نشيدُ المغتربين

إلى پرى بوش گنجى

لا نجوى لشيءٍ في جِواري:

لا النَّسيمُ ولا الشَّجرةُ
ولا المياهُ الجَّاريةُ

تَردُّدُ العويلِ والنُّواحِ يَتناثرُ في الفَضاءِ،
أحلَكُ مِنْ اللَّيلِ
على تيَّارِ الرِّيحِ التَّائهِ

في البعيدِ
مَدينتي، هناكَ،
هُجِرتْ فِي مَغيبٍ هَادئٍ
لَمْ يمضِ بِسُهولةٍ.

مَدينةٌ مُظلِمَةٌ

بنافذتينِ طويلتينِ

تنتظرُ إيابي المُوجعَ

خلف الزُّقاقِ الشتوارِي.

نيلسون مَانديلا

أنتَ على الجَّانبِ الآخرِ مِنْ الأرضِ،
في سِجنِكَ السَّاخنِ،
والوجهُ الرَّابطُ بيننا خالٍ مِنْ أيَّةِ مَثلبةٍ زمنيَّةٍ
إنَّهُ أقصرُ مسافةٍ في العالَمِ

مدَّ يدَكَ إليَّ بثقةٍ؛
يا جارَ الألمِ!

رُجولتُكَ، مقاومةُ لهيبِ شمعةٍ مرتجفةٍ،
بمواجهةِ وقاحةِ الرِّيحِ،
أُرْجُوزةُ الوَهنِ نحنُ

ـ مُنشدو مَديحٍ مَنسيٍّ ـ

لستَ وحدَكَ

حينَ تنعمُ بالجلوسِ في عُمقِ الإيثارِ

فكلُّ العشَّاقِ قُرابى

كيلا تشعُرَ بالغُربةِ:

غَنِّ مَعنا واثِقًا؛

يا جارَنا في الألمِ!

مادَّةٌ في مَوقعيْنِ

إلى ليوناردو اليشان

1

آهٍ، قَلبي مُتعفِّنٌ
لكتابةِ سَطرٍ مِن ضيق القلبِ،
كليلةٍ مُقمرةٍ فوقَ قبيلةِ «آرش»
عندما تفلقُ الحِجارةُ رؤوسَهم
تصلُ آخرُ صَرخاتِهم عُمقَ الأُذُنِ.

ليتَ للحنينِ اسمٌ أيضًا
لتنادي به مِنْ الأعماقِ:
اسمٌ أوَّلٌ
لتتغنَّى بهِ بمحبَّةٍ،
كالمَوتِ
الذي هو اسمُ الحياةِ الأوَّلِ

لتتلفَّظَ بهِ لحظةَ وداعهِ

عندما يطلقُ سائقُ القِطارِ

صافرتَهِ الأخيرةَ

والفانوسُ الأخضرُ

يبدأ بالاهتزازِ:

اسمٌ قصيرٌ كالتَّنهُّدِ الذي يتحوَّلُ

ـ في ضَجيجِ الأصواتِ واشتباكِ الفُولاذِ ببَعضهِ ـ

إلى فَمٍ يمضغُ:

ليبدو كلامًا يُنطقُ ولا يُسمعُ

أو كلامًا لَمْ يُقَلْ ويبدو مَسموعًا

سَطرٌ

شَطرٌ

شِعرٌ

أو همسٌ أو صرخةٌ في الحَنجرةِ

لتصلَ إلى أُذُنٍ، أو لا تَصلُ

ويسمعُها أحدٌ، أو لا يَسمعُها

ويدركُها أحدٌ، أو لا يُدركُها

«ما الحاجةُ للصُّراخِ؟»

ويُدركُ أحدٌ، أو لا يُدركُ

هل كانَ هذا مفهومًا أو مُعادلاً؟

كانتْ مُجرَّدُ لفظٍ لكلمةٍ على وشْكِ الحَياةِ أو المَوتِ؟

هل كانتْ أنينَ موتٍ أم ولادةٍ؟

هل كانتْ أمرَ رحيلِ رجُلِ القَبيلةِ،

أم صَرخةَ غدْرٍ؟

سيِّدٌ يباركُ طَريقَ الوادِي

أم خائنٌ يقودُ إلى طَريقِ الضَّياعِ؟

كم سيتبقَّى في الذَّاكرةِ

عندما يتحرَّرُ سَهمُ الصَّرخةِ أخيرًا مِنْ ثباتِهِ؟

حاجةٌ أُشبِعَتْ،

أم رَميةٌ خرجتْ مِنْ مكانِها،

أمْ جُرحٌ آخرُ استهدفَ نفسَهُ؟

وقلْ لي:

هل يُسمعُ؟

وكيفَ يُفسَّرُ؟

2

صرخةٌ كالرَّعدِ
تخرجُ مِنْ الأعماقِ المبَدَّدةِ
صرخةُ مُضطربٍ هزَمَتْهُ نفسُهُ
فوقَ أسطُحٍ دونَ سُقوفٍ!

صرخةٌ
بلا أيِّ مَعنىً واضحٍ، في الظَّن
بلا أيّ معادلٍ، في القامُوسِ.

بصرخةِ «لا»
تدعُ الغريبُ يبدو أكثرَ غُربةً
كقولِ «نعم»، ولكنْ،

ـ تنظرُ بغرورٍ إليه لأنَّ لسانيكما كانا واحدًا ـ

وتتحوَّلُ إلى صدى صُراخٍ مُطلَقٍ، أكثرَ تحرُّرًا منهُ:
كصهيلِ موجعٍ

بلا حدودٍ أعلى مِنْ صَرخةِ مَجنونٍ

تهربُ إلى السَّطحِ،

وتسخَرُ حنينَكَ

المنشغلَ عنهُ بجنونِهِ،

لتثبّتَهُ بالمِسمارِ!

مِنْ أينَ يُشرقُ هَذا التَّوهُجُ؟

مِنْ أينَ يُشرقُ هذا التَّوهُّجُ؟

اِلقي نظرةً!

أيُّ نجمٍ يحترقُ في المَجرَّةِ مُجبِرًا الظَّلامَ على الاعترافِ مِنْ الأعماقِ الخَفيةِ:

انفجارُ الشَّمسِ الأخيرُ

ليظهرَ أعماقَ الغيابِ

في أبعادِ الخَوفِ

ذلكَ ليسَ قمرًا

إنَّهُ نافِذةُ التَّجربةِ

لتتأكَّدي أنَّ لحنَ الصَّمتِ هوَ كلُّ ما ستسمعينَهُ حتَّى أبعدِ مَكانٍ مِن هذهِ السَّفينةِ المحطَّمةِ!

لتتأكَّدي

أنَّنا، نحنُ فقط،

ـ أنا وأنتِ ـ

مُسافريْنِ نراقبُ هذا الفراغَ المُنطَفئَ

والتُّعساءُ الوَاقفونَ في أماكِنهمْ حيارى في نوافِذِ الانجمادِ،

نقفُ دونَ حِراكٍ مُندهشيْنِ

لكنَّنا لا نَخشى ظلامَ العالَمِ المُوحِشِ الباردِ،

كلاَّ،

لا نخشاهُ!

ألتَمِسُكِ في توهُّجِ هذا الضَّوءِ الفَقيرِ

هناكَ، ستجِدِينَني في الظَّلامِ المدَّمَّرِ،

ستجِدِينَني حيثُ أنا!

حَوَّاءُ أُخْرى

أتعرفُ!؟

ـ أسألُ نَفسي ـ

إنَّهُ أنا،

أنا الذي خلقتُكَ

قبلَ أنَّ تجعلَ الوحدةُ القاتلةُ اللهَ رحيمًا،

قبلَ أنْ يرافقَ روحَ الإنسانِ

عظمُهُ المنخُورُ الحادُّ في جَسدِهِ

قبلَ أنْ يلتهمَ التُّفاحَ والقمحَ

قبلَ أنْ يقيِّدَهُ الطَّريقُ

أو يسجنَهُ طاغٍ،

قبلَ أنْ يُكسى غُضرُوفُهُ

أتعرفُ!؟

ـ سألتُ نَفسي ـ

أنا الذي خلقتُكَ ودَفعتُكَ

بأكبرِ قدْرٍ من الغرورِ والتَّواضعِ،

أودَعتُ بطريقِكَ محبَّةً بلا ادِّعاءٍ

أخذكَ

ثُمَّ حرَّركَ

ثُمَّ استعادكَ

ثُمَّ أوقفَكَ على قدميْكَ

ثُمَّ بكلِّ اعْتزازٍ

سَجدَ أمامَ كبريائكَ

أتعرفُ!؟

أعرفُ أنَّني هُوَ...

لَيتني كنتُ ماءً!

إلى «مفتون أميني»، جنونِ الشِّعرِ اللَّطيفِ.

لَيتني كنتُ ماءً
لو كانَ بإمكانكَ أنْ تَكونَ ما تريدُ،
أنْ تكونَ إنسانًا،
واحسرتاهُ!
هل تَرى؟
إنَّها مُعضلةٌ على حُدودِ المُستحيلِ!

لَيتني كُنتُ ماءً
ـ أقولُ في نَفْسي ـ
أو غُصنًا رَقيقًا يلقِّحُ شَجرةً وافِرةً
ـ تَهوي أرضًا بضَربةِ فأسٍ وتأكُلُها النَّارُ ـ

أو تطعِّمُ شجرةَ صنوبرٍ
لتمنحَها الخضارَ الأبديَّ
ـ قبلَ أنْ يلطِّخُوا خَشبَها بالصَّليبِ الدَّامي ـ

أو لارتواءِ شِفاهٍ عَطشى
والشُّعورُ بالرِّضا
(حتَّى لو كانَ جاثيًا على ركبتيْهِ
في ميدانٍ يَغلي مِنْ حرارةِ الشَّمسِ والهُتافِ
قبلَ أنْ يُحزَّ عنقُهِ بالسَّيفِ؟
لا يثيرُ دَهشتَكَ
أنْ تُصبحَ «قابيلَ» لأخيكَ
أو جلاَّدًا للآخرينَ؟
أو تأخُذَ الحَطبَ الجَّافَّ
مِنْ شَجرةٍ مُزدهرةٍ أو جرداءَ؟)

أعرفُ
أعرفُ
أعرفُ

مع ذلكَ لَيتَني كنتُ ماءً
أو كنتُ كما رغبتُ أنْ أكونَ

آهٍ،
ليتني ما زلتُ
جاهلاً
قطرةً نقيّةً مِنْ المَطرِ الخَفيفِ
على سُفُوحِ التِّلالِ
وما كنتُ أصارعُ الأمواجَ التَّائهةَ الخَاويةَ
في هذا المحيطِ اللاَّنهائيِّ!

لا تعدِّي القِطعَ واحدةً تلوَ أُخرى!

«مَن بفَناءِ جسدِهِ يبتعدُ عنكَ؟
الشَّمعةُ، بفَنائها، تمنحُ الكونَ نُورًا»
ـ حفيظ اصفهاني

لا تعدِّي القِطعَ واحدةً تلو أُخرى
سيقعُ في الكأسِ، إذا فعلتِ، ما لَمْ يعدَّ
انصتي إلى لحنِ الصَّمتِ
إنَّهُ يسردُ حكايةً ذاتَ مَغزىً في زمنِ الماضي،
ماضٍ بقوائمَ مَلأى بالحقائقِ
رغمَ أشواكِها الحادَّةِ

لا تفكِّري في الغِيابِ
أدركي هذه النَّظرةَ العاشقةَ التي نَفدَ صَبرُها،
وهاتينِ العينينِ اللتينِ تفكِّرانِ بغَدِكِ
في زمنِ الحاضرِ،

كلاَّ!

لا تنظري إلى غيابي،

لأنَّني لَمْ أصلْ ذُروةَ الحُضورِ بعدُ!

انصتي إلى صَدى صوتٍ

يعرفُ لحنَ وتوقيتَ لفظِ اسمِكِ فقط!

يعرفُ طلاسمَ حُروفِ اسمكِ جميعِها،

ومِنْ أعماقِ الظُّلماتِ

إلى الفأسِ الماسيةِ البرَّاقةِ

لتاجِ الشَّمسِ العالي...

وما زالتْ

تناديكِ

أنتِ

أنتِ

أنتِ.

قُربَ أثرٍ مستمرٌّ

قُربَ أثرٍ مُستمرٌّ بينَ عجلتيْنِ دوَّارتيْنِ في المَرجِ
إلى غيرِ العَودةِ، لمنْ يشيرُ؟
الطَّريقِ الذي مشيتهُ؟
إلى أين؟
نهايتُهُ تُربطُ بأيِّ فَوضى
بغُصنٍ يابسٍ أعوجَ
قُربَ بئرِ عَطشٍ
تَغمرُها النِّفاياتُ
حمارٌ تعلو رأسَهُ سحابةٌ من الذُّبابِ،
وحِملٌ قاصمٌ على ظَهرِهِ؟
أينَ تجدُ حَصيلةَ سَعيكَ
الذي دفعتَ عُمرًا طويلاً لأجلِهِ؟
ماذا جنيتَ مِن كلِّ هذه الطُّرُقِ؟
أنْ تُغنِّي مِنْ أعماقِكَ للصُّمِّ
وأنْ ترشدَ المكفوفينَ للطَّريقِ؛
وأنْ تجلبَ الدُّمى المُلوَّنةَ مِنْ الحُمولةِ المرقَّعةِ؟

عيونُ الجِّدارِ

عيونُ الجِّدارِ عيونُ النَّوافذِ عيونُ البَابِ عيونُ الماءِ عيونُ النَّسيمِ عيونُ الجَّبلِ عيونُ الخَيرِ وعيونُ الشَّرِّ.

عيونُ حَبلِ الثَّيابِ والطَّبخِ
عيونُ البَحرِ وعينا السَّمكةِ
عيونُ الأشْجارِ.

عيونُ الورقةِ والجَّذرِ
عيونُ اليَنبوعِ والقَصبِ
عيونُ الحَجرِ وعيونُ الزُّجاجِ
أعيُنُ الحَسدِ
أعيُنُ القَلقِ
أعيُنُ الدَّمعِ...

تنظرُ إلينا بذُهولِ
ليس لأنَّني أحِبُّكِ فحسبْ
بل لأنَّنا نُحِبُّ العالمَ!

صهيلٌ وضربُ حَوَافرَ...

صَهيلٌ وضربُ حوافرَ.
أربعةُ خيولٍ مَرحةٍ
تَرعى على السَّفحِ:

في أقصى التَّاريخِ
على مَرمى حجرٍ.

خَريفُ «سان خُوسيهْ»

إلى «منيژة قوامي».

(قالت «آيدا» بِحَيْرةٍ:
انظرْ إلى شَجرةِ اللَّيمونِ في هذا الوقتِ مِن السَّنةِ
تفيضُ بالزُّهورِ، أليسَ هذا خريفًا؟)

الحَرُّ والبَردُ في توازنٍ مِثاليٍّ
كلُّ شَيءٍ في صمتٍ مُطلَقٍ
لا صوتَ لحِجارةٍ على الأرضِ
ومؤشرُ الميزانِ
ـ بقلقٍ شَديدٍ ـ
يُساوي بينَ اللَّيلِ والنَّهارِ
أحدهُما يَمضي والآخرُ في الطَّريقِ
والآنَ

الأرضُ الأمُّ

في مَدارِها

بخفَّةٍ

تعبرُ مِنْ بوابةِ الخَريفِ

الصُّبحُ يفتحُ عينيْهِ

عطرُ أزهارِ اللَّيمونِ يتشابكُ بغنَجٍ مَع بيوتِ الجِّيرانِ،

ثمَّ أُدرِكُ أيضًا

أنَّ القمرَ اللَّيلةَ،

يجبُ

أنْ يكونَ بدرًا كاملاً.

بجانبِ العالمِ اللَّطيفِ

أُلقي نظرةً على اليَنبوعِ الفَوَّارِ

أغمضُ عينيَّ

- ومن إثارةِ بُلُوغِ الكمالِ بكسلٍ وبدعوةٍ لا تقاومُ مِنْ الماءِ -

أضعُ إصبعي بحذرٍ

على ظلّ جَسدِها الحَارقِ...

شعورُ المشاركةِ العَميقةِ!

فـــي العَتبـةِ

1985 ـ 1997

الحِكايةُ

دخلَ المُطرِبُ
وطائرُ القُبَّرةِ مغردًا مرحًا على آلتهِ الموسيقيةِ
الضُّيوفُ سُعداءُ
وثَبوا إلى الدَّبكةِ مرحينَ

مِنْ عينيْ مرافقةِ العَروسِ العجوزِ
سالتْ دَمعةُ حُزنٍ
لذِكرى حُرْقَة حُبٍّ مَمنوعٍ
أمسكتْ بذراعِ العَروسِ وأخذتْها مَعها
تفرَّقَ المحتفلونَ
ذهبَ المُطربُ بآلتهِ المَوسيقيةِ
وجُروحٌ بليغةٌ في رأسِهِ
و«الإكراميةُ» في قبَّعتِهِ،
ظلَّتِ القاعةُ بفوضاها فارغةً

والطَّاولاتُ والكراسي رأسًا على عقبٍ

صمتَ الموسيقيُّونَ

وثَمَّ طائرٌ مَيِّتٌ

على البلاطِ الباردِ!

الياسمينُ البرِّيُّ

مع «آيدا» في مديحِ الأمِّ.

أتيتِ مَع باقةٍ مِنْ الياسمينِ البرِّيِّ
تأييدُ حُضورِكِ لا يدعُ الحِملَ
يظلُّ محمولاً على الكتِفيْنِ.

بِلَّورُ رؤوسِ أصابعِ يديْكِ
يبدو كعشَرةٍ من الأهلَّةِ
تقصُّ حكايةَ رجلٍ ما تحتَ أشعَّةِ الشَّمسِ...
حكايةُ رجُلٍ كانَ نقاءَ الوَحْي
وكانَ يُدرِكُ خوفَ غربةِ الغابةِ
حرفًا بِحرفٍ.

تنامينَ
كنَا نأتي ونَرى

ترانيمَ أغنياتِكِ البَريئةِ
قائمةً كآلةٍ مُوسيقى وَسطَ عاصفةٍ مِنْ الآلاتِ

وأنتِ الوحيدةُ
التي ما كنتِ تُنصتينَ
لصَوتِكِ:
كُرةُ صوفٍ متشابِكةٍ
تُفتحُ خُيوطُها
بنغمةٍ مُذهلةٍ
لا تظهرُ إلاَّ في أذهانِ الجَّميعِ

واحسرتاه!
ما كنَّا ننظرُ نحوَكِ،
كُنَّا مَفتونينَ بالحَقيقةِ التي تَلمِّحُ عَن الحَياةِ
وراءَ حضورِكِ البهيِّ.

مَتى زهوتِ هكذا،
يالأهلَّةِ أظافركِ! كانتْ عشرةَ أضعافِ بِلَّورِ الحياةِ،
في أيِّ ساعةِ سَعْدِ زَهوتِ؟

ظلامُ العَمى التَّامُّ

إلى «إيرج كابلي»

ظلامُ العَمى التَّامُّ،
شعورٌ قاتلٌ بالوِحدةِ.

«أيُّ ساعةٍ؟ (يخطرُ ببالِكَ)
أيُّ يومٍ؟
أيُّ شَهرٍ؟
في أيِّ سَنةٍ، مِنْ أيِّ قرنٍ بأيِّ تاريخٍ، على أيِّ كَوكبٍ؟»

سُعالٌ مُفاجئٌ
يمرُّ بضِيقٍ مِنْ جانبكَ

آهٍ، شُعورٌ يمنحُ الحرِّيةَ،
هناك شريكٌ لكَ في المِصباحِ!

حيِّزٌ أسودُ في اللاَّمكانِ

إلى «واحد إسكندري».

حيِّزٌ أسودُ في اللاَّمكانِ أنتَ،
في اللاَّزمانِ، أنتَ.

حاجةٌ في أطرافِ أصابعِكَ
تبحثُ، بلطفٍ، عَن أحدِهم
في زمانٍ ومكانٍ:

«أنا هنا أيضًا!»

همسةٌ تتدحرجُ وتتكرَّرُ
في البَعيدِ، اللاَّمكانِ
أنْ تكتشفَ سحابةً غامضةً تلكَ هي الحِكايةُ
في نقرةٍ عابرةٍ لنَيْزكِ شِهابٍ بَشريٍّ.

التَفّتْ حولَ نفسِها

إلى «زرين تاج» و«نورالدين سالمي».

كالجَّنينِ التَفَّتْ حولَ نَفسِها
كلُّ مَنْ حولكِ يتبرَّأُ منكِ،
في بؤرةٍ مخيفةٍ سوداءَ أشبهَ بالرَّحمِ
في عَتمةِ لُزوجةِ دَمِ الحِقدِ الأحمرِ أو التَّحقيرِ

«تحرَّري وادخلي في معركةِ الجِّدالِ
حتى ولو بهيئةِ جَسدِ جنينٍ غيرِ مكتملٍ!»

ميلادُكِ سعيدٌ يا وحدةَ الإحصاءِ
يا ضحيةَ تَقليلِ وفياتِ أجنَّة الرُّضَّعِ!

الطَّبيعةُ السَّاكنةُ

إلى «ميترا اسپهبد».

رزمةٌ مِنْ الأوراقِ
على الطَّاولةِ
في أوَّلِ وَهْلةٍ للشَّمسِ

كتابٌ غامضٌ
وسيجارةٌ أمستْ رمادًا قُربَ فنجانِ شايٍ فارغٍ

جَدلٌ مَحظورٌ
في الذِّهنِ.

في العَتَبَةِ

يجبُ أنْ تقفَ وتَنزلَ
على عتبةِ بابٍ ليسَ لهُ مطرقةٌ،
وإذا أتيتَ في الوقتِ المُناسبِ
البَوَّابُ في انتظارِكَ
ولو أتيتَ في الوقتِ غيرِ المُناسبِ
لنْ يردَّ أحدٌ على الطَّارِقِ

البابُ خفيضٌ،
لذا كنْ مُتواضعًا
يمكنكَ أنْ تكونَ مِرآةً صادقةً
هناك
حتَّى تجدَ الجَّمالَ
قبل ظُهورهِ
انظرْ في نَفسكَ

رغمَ أنَّ الضَّجيجَ وراءَ البابِ هو وليدُ تَوهُّمِكَ

لا كثرةِ الضُّيوفِ

إذْ لا أحدَ هناكَ بانتظارِكَ

لأنَّ الحِراكَ كثيرٌ.

ليسَ ثَمَّ كائنٌ، لا أرواحٌ ولا أشباحٌ ولا قدِّيسُونَ يحملونَ في أيديهم الكافورَ، ولا عفاريتُ ناريةٌ تحملُ في قبضاتها رؤوسَ الأبقارِ، أو شيطانٌ ممسوسٌ بقبَّعةٍ كالبُوقِ، ولا مزيجٌ مِنْ عدمِ تطبيقِ قانونِ التَّناقضاتِ التَّامَّة...

أنتَ فقط

وجودُكَ هناكَ مطلقٌ،

وجودٌ تامٌّ

لأنَّكَ باقٍ حتَّى بعدَ غيابِكَ

وغيابُكَ حُضُورٌ حاسمٌ للمُعجزةِ

عبورُكَ مِنْ العَتبةِ الحَتميَّةِ هطولُ قطراتٍ في ظَلامٍ لامتناهٍ:

«ياللحَسرةِ!

ليتَ أنْ كانَ هناك

حكمًا حكمًا حكمًا

في العَملِ في العَملِ في العَملِ!»

ربَّما لو كانَ بإمكانكَ السَّماعُ

لسمِعتَ صَدى صوتِ أُغنياتِكَ

في قاعةِ المَجرَّاتِ المنطفئةِ،

وعندما كنتَ تَسمعُ سُقوطَ أطلالِ الحَسرةِ:

«يا ليتَ، يا ليتَ

أنْ كانَ هناك تحكيمًا تحكيمًا تحكيمًا

في العَملِ في العَملِ في العَملِ»

لكنَّ القاضي يجلسُ خلفَ البابِ،

دونَ أنْ يرتدي رداءَ القضاةِ المَشؤُومِ

ذاتُهُ حكمةٌ وإنصافٌ

هيئتُهُ الزَّمنُ،

وذكراكَ إلى أبدِ الآبدينَ سَتبْقى مِن أدوارِ القُضاةِ!

الوداعُ!

الوداعُ! (هكذا سيقولُ بامدادُ الشَّاعر:)

أعبرُ راقصًا مِنْ عتبةِ الإجبارِ

سعيدًا وشاكرًا

جِئتُ مِنْ الخارجِ إلى الباطنِ:

مِنْ المَنظرِ

إلى نظرِ المتفرجين،

ليس بهيئةِ نباتٍ ولا بهيئةِ فراشةٍ

ليس بهيئةِ حَجرٍ ولا بهيئةِ يَنبوعٍ،

ولِدتُ بهيئةِ ـ نحنُ ـ

بهيئةِ الإنسانِ المَجيدِ

حتَّى في ربيعِ النَّباتِ أجلسُ لمشاهدةِ قوسِ قَزحِ الفراشةِ

لأدركَ قوَّةَ الجَّبلِ وأستمعَ إلى عظمةِ البَحرِ؛

لأعرفَ إمكانيتي ولأجعلَ العالَمَ ذا مغزىً

بأفضلِ ما لديَّ مِنْ قوَّةٍ وفُرصٍ

لأنَّ العملَ الذي يخرجُ مِنْ هذه اليَدِ

لا تصنعُهُ قُدرةُ الشَّجرةِ والطَّائرِ والصَّخرةِ والشَّلالِ.

الإنسانُ كانَ وليدًا لتجسيدِ الواجبِ:

واجبُ القُدرةِ على أنْ يُحِبَّ ويُحَبَّ

القُدرةُ على الإنصاتِ

القُدرةُ على الرُّؤيةِ والنُّطقِ

القُدرةُ على أنْ يكونَ تعيسًا وسَعيدًا
القُدرةُ على الضَّحكِ مِنْ أعماقِ القَلبِ،
القُدرةُ على البُكاءِ مِنْ مُهجةِ الرُّوحِ
القُدرةُ على المفاخرةِ في سموِّ التَّواضعِ المَجيدِ
القُدرةُ الجليلةُ على تحمُّلِ ثقْلِ الأمَانةِ
القُدرةُ المحزنةُ على تحمُّلِ الوحدةِ...

الوحدةُ
الوحدةُ
الوحدةُ العاريةُ

أنْ تكونَ إنسانًا
مهمةٌ صَعبةٌ

لَمْ تَكنْ يدايَ المغلولتانِ حُرَّتيْنِ لأحتضنَ
كلَّ منظرٍ أمامي مِنْ الأعماقِ
كلَّ نَغمةٍ ويَنبوعٍ وطائرٍ
كلَّ بَدرٍ كاملٍ وفجرٍ آخرَ

كلَّ قمَّةٍ وكلَّ شَجرةٍ وأيَّ إنسانٍ آخرَ.

قضيتُ مُهلةَ حياتي بيديْنِ مغلولتين وفمٍ مطبَّقٍ
عبرنا مِنها بفمٍ ويدين مغلقتيْنِ
ورأينا مَنظرَ العالَمِ
فقط، مِنْ ثقبٍ ضَيِّقٍ لِسُورِ الشَّرِّ
الآنَ،
على عتبةِ بابٍ ليسَ لهُ مطرقةٌ،
ها هي إشارةُ البوَّابِ المُنتظِرِ!
عبرتُ ممرًّا ضيِّقًا
ودعتُهُ،
نظرتُ إلى الوراءِ:

كانتْ الفرصةُ ضئيلةً والرِّحلةُ شاقَّةً
لكنَّها كانتْ فريدةً ولَمْ ينقصْها شَيءٌ
أُراضِي بِها الرُّوحَ وأعطيها الحقَّ!

(هكذا قالَ بامدادُ المُتعَبُ).

ملخَّصُ الأحوالِ

لَمْ يبقَ شيءٌ
ولا لعنةٌ حتَّى
لتودِّعَني بِها.

بآذانِ أبي المُفاجِئ
أتيتُ إلى العالَمِ
على يديْ القابلةِ البَليدةِ
تلك التي كانتْ قد توضَّأتْ
بالقَدَرِ

استهلكتُ الهواءَ
استهلكتُ المحيطَ
استهلكتُ الكوكبَ
استهلكتُ اللهَ
وغيرَ اللَّعنِ لمْ أتركْ شَيئًا ورائي!

في ذلك اليوم في هذا الوادي

في ذِكرى الحيِّ المخلَّدِ «مرتضى كيوان».

عندما وطأتْ أقدامنا هذا الوادي
دفنَّا مَيِّتًا، هنا، في التُّرابِ

انطفأ مصباحهُ بنفخةٍ
وسَرى الظَّلامُ في روحِهِ
ولكنْ، مشهدُ العالَمِ
بقيَ طافيًا
في يومِ العالَم.

الأمواتُ
في ليلتِهم
لَمْ يتمتعوا بالمُشاهَدةِ

لكنَّ حبلاً سريًّا ربَطهم

بذلكَ المكانِ،

عُدْ للحظةٍ وانظرْ إلى الأمسِ:

كان هذا ما بعدَ الغدِ،

عندما وطأتْ أقدامُ العالمِ المستقبلَ.

ذِكْرى

يغصُّ اللَّيلُ بأصواتِ الجَّداجدِ
حتَّى الفَجرِ،
في الفَجرِ، فجأةً، قشعريرةُ ألمٍ
أصابتْ أرواحَنا
استيقظتِ الغَابةُ مِن النَّومِ
فتحتْ رمُوشَها الوَرقيَّةَ الحائرةَ
وجفنَي موتِها المُضطربيْنِ،
سقطتْ صرخةٌ مُدوِّيةٌ
مِنْ الأزهارِ الحُمرِ على خضارِ الوادي القَلقِ

حتَّى نَلجأَ
إلى صَفارِ كسَلِ الصَّيفِ
عُدنا محطَّمي القَلوبِ
إلى شَقِّ الجَّبلِ.

على أيِّ جُثَّةٍ تَبكي؟

هذه الآلةُ على أيِّ جُثَّةٍ تَبكي؟
على أيِّ مَيِّتٍ مُختَبئٍ
هذهِ الآلةُ الخالدةُ؟

في أيِّ كهْفٍ
في أيِّ تاريخٍ تندبُ هذهِ الأوتارَ،
تلكَ المخالبُ الجَّاهلةُ؟

دَعِ النَّاسَ التُّعساءَ يستيقظونَ،
دعهمْ يستيقظونَ!

البُكاءُ في الحَديقةِ مَريرٌ جِدًّا
البُكاءُ على النَّبعِ الصَّافي
البُكاءُ على لُقاحِ البُرعمِ مَريرٌ جدًا

البُكاءُ على شِراعِ الرِّيحِ العاتيةِ
البُكاءُ على شَجرةِ الحَورِ الخضراءِ العاليةِ مَريرٌ جدًّا
ماذا تفعلُ الرِّيحُ المُعزِّيةُ هنا،
على يَنبوعِ الأسماكِ اللاَّزورديَّةِ؟
ماذا يفعلُ ناعي المقابرِ في المَدينةِ،
تحتَ النَّوافذِ البَريئةِ؟
دعِ النَّاسَ التُّعساءَ يستيقظونَ،
دعهمْ يستيقظونَ!

نحنُ أيْضًا

إلى «محمدجواد گلبن».

نحنُ أيضًا، في يومٍ مِنْ الأيامِ
في لحظةٍ، سَنةٍ، قرنٍ، أَلفيةٍ، قبلَ ذلكَ بِقليلٍ
وقفنا هنا،
على هذا الكوكبِ، على هذه الأرضِ
في مكانٍ ضيِّقٍ ـ يُشبهُ هذا ـ
في حَريرِ الظَّلامِ، في كتَّانِ الشَّمسِ
في الشُّرفةِ المَضَاءةِ بنُورِ القَمرِ
تحتَ زخَّاتِ المَطرِ
في مغفرةِ الطُّوفانِ
في حجرةِ العُرسِ
في سُورِ الحُزنِ

وحيدونَ، مَع أنفسِنا
وحيدونَ، مَع الآخرينَ
متوحِّدونَ في العِشقِ
متوحِّدونَ في التَّرنيمةِ
مُفعمونَ بالحَياةِ
مُفعمونَ بالموتِ

نحنُ، أيضًا، عَبرْنا
مِنْ هنا، حيثُ تقفُ الآنَ، على هذا الكَوكبِ،
على هذه الأرضِ
لبضعِ سِنينَ
بالتَّواضعِ أو بالذُّلِّ
بالضَّحكِ أو بالتَّعاسةِ
بالخِفَّةِ والثِّقْلِ
أحرارًا ومُحاصرينَ
نحنُ، أيضًا، عَبرْنا في يومٍ مِنْ الأيامِ،
أجلْ!
نحنُ أيضًا،
في يومٍ مِنْ الأيامِ...

غرَّدَ الكناريُّ

إلى «هوشنگ گلشيري».

غرَّدَ الكناريُّ وقالَ:
عالمُنا عالمُ الأقفاصِ،
بقضبانٍ ذهبيةٍ، وأوانٍ صِينيةٍ.

السَّمكةُ الحمراءُ،
في «سُفرةِ نوروزَ»[1] عبَّرتْ عَن بِيئتها
بظهورِها في كلِّ رَبيعٍ.

قالَ النَّسْرُ:
كوكبي كوكبٌ فريدٌ،
حيثُ الموتُ فيه يخلقُ طَعامي.

(1) إشارة الى السُّفرة التَّقليدية وتسمَّى «هفت سين» أي «السِّيناتُ السَّبعُ». تحضُرَ لإحياءِ «عيد النوروز»، وهو يومُ رأسِ السَّنتيْنِ الفارسية والكُردية، كما أنَّهُ يومُ الاعتدالِ الرَّبيعيِّ الموافقِ 21 مارس (آذارَ) مِن كلِّ عامٍ. [المترجمة]

قالَ القِرشُ:

الأرضُ وليمةٌ مباركةٌ للمحيطاتِ.

لَمْ يتفوَّهِ الإنسانُ بكلمةٍ

كانَ وحدَهُ مِنْ يَرتدي الثِّيابَ

وكُمُّهُ مُبلَّلٌ بالدُّموعِ!

لَمْ يكُنْ عادِلاً ولا جَميلاً...

العالَمُ
لَمْ يكنْ عادلاً ولا جَميلاً
حتَّى قبلَ أنْ نعتليَ المَسرحَ.

فكَّرنا في العدالةِ المُستحيلةِ
والجَّمالُ
أتى في حَيِّزِ الوجودِ!

وجهُكَ الآخرُ

وجهُكَ الآخرُ

قُبحٌ مُدمِّرٌ

يا وجهَ «جانوسَ»[1] الآخرَ، الواهبَ للحياةِ!

(1) جانوس: إله البوابات والمداخل والمعابر والمخارج بحسب الميثولوجيا الرومانية. له وجهان، واحدٌ ينظر للمستقبل وثانٍ ينظر باتِّجاهِ الماضي. يُعدُّ المُثيرَ والحاسمَ للنِّزاعاتِ والحُروبِ والسَّلامِ. [المترجمة]

أنْ تكونَ طِفلاً

إلى «ايسا» الشاعر.

أنْ تكونَ طِفلاً

آهٍ!

أنْ تكونَ طِفلاً وفي لَحظةٍ مَهيبةٍ تَرمي كُرةَ المصالحةِ

في أرضِ الرَّقيب.

ودورانٌ مذهلٌ لتفاحةٍ حَمراءَ

في المِرآةِ.

أنْ تكونَ طِفلاً، وفي يومِ العُطلةِ المَدرسيَّةِ

تسمعُ حفيفَ أوَّلِ ثلجٍ كَثيفٍ

يتساقطُ على رَجُلِ الثَّلجِ في الحَديقةِ

في هذا اليومِ العاديِّ

عليكَ فقط

أنْ تكونَ

طِفلاً!

أغنـيةٌ

على هذهِ الضِفَّةِ إلى شَواطئ البَحرِ
كانَ يعبرُ ماءٌ لَمْ يعدْ موجودًا:
نَهرٌ تدفَّقَ مَنذُ فَترةٍ طَويلةٍ
ونُسيَ
نهرٌ جفَّ وذهبَ أدراجَ الرِّيحِ

على هذهِ الأمواجِ، وحتَّى نَهرُ السِّندِ،
كانَ يعبرُ قاربٌ لَمْ يعدْ موجودًا:
قاربٌ مَحفورٌ في الذَّاكرةِ
أرتطمَ بصَخرةٍ عملاقةٍ، وتهشَّمَ.

على هذا القاربِ، مِنْ الميناءِ إلى مدينةٍ ساحليةٍ،
كانَ هناك مجدافُ لَمْ يعدْ موجودًا:
كانت ابنةُ صاحبِ القاربِ، المِسكينةُ، تَنتظرُهُ في كلِّ رحلةٍ، وكانتْ تزرعُ أمنيتها في أملٍ زائفٍ كلَّ مرَّةٍ.

في هذا النَّهرِ الجَّافِّ

كانَ هناك أملٌ أضاءَ وانطفأَ:

أملٌ بالسَّعادةِ الدَّائمةِ...

لكنْ، في سَريرهِ لَمْ يكُنْ سِوى حُلمٍ عابرٍ!

رِحلةُ الشُّهودِ

لَمْ تكنْ الأرضُ مَرنةً،
كانتْ كوكبًا قادمًا
كتلةً حَجريةً
متأرجحةً

ولَمْ يكنْ للأرضِ مدارٌ
مصيرُها الأحمرُ
كانَ التهابًا موجِعًا، فقط؛
ما قبلَ الزَّمنِ.

كتلةٌ حَجريَّةٌ
يابسٌ باطنُها
كتلةٌ لَمْ تعرفْ أنَّ لها باطنًا أصلاً
لَمْ تكنْ، بعدُ، هناك جَنةٌ

ولا حيَّةٌ وتفَّاحةٌ،

ولا ورقةُ شَجرةِ التِّينِ

لتغطيةِ العَورةِ!

منذ انشقاقِها

منذ انفجارِ الحِجارةِ

حتَّى وصولها لأرضِنا

صارتْ الأرضُ حراثةً وبذورًا:

كوكبٌ يترنَّحُ بهروبهِ

على مَدارٍ جافٍّ ورَطبٍ

يجهلُ الميلادَ

ولا يعرفُ المَوتَ!

يا لهُ مِنْ تشابهٍ عَجيبٍ!

حضورٌ مريبٌ في الباطنِ

حضورٌ مريبٌ في الخارجِ

حدودٌ مريبةٌ ما بينَ الباطنِ والخارجِ،

كيفَ عرفتَ الحُبَّ؟

أين تلجأ بإدراكَ الواعي
على تلكَ الكُتلةِ الجَّاهلةِ
في تلكَ القَريةِ قَصيرةِ المَدى؟

كنتَ النائمَ اليقظَ على أيِّ سريرِ بِكرٍ؟
كنتَ طفلاً بالغًا لأيِّ أمٍّ
أيُّ أمٍّ عذراءَ؟

كيفَ تعلَّمتْ منكَ الحِجارةُ
أنْ تكونَ تربةَ البُستانِ؟

الأرضُ
كيفَ تعلَّمتْ منكَ
كيف رضيتْ بأنْ تُحرثَ؟

والبذرةُ

مِنْ الأخدودِ

طلبتْ مأمنَ المحَبَّةِ

والعالَمُ مضيافٌ محبٌّ جائعٌ

النَّحلُ والطَّائرُ

كانا رسوليْ بشائرِ الرَّحيقِ والتَّرانيمِ

والجُّذورُ في الظَّلامِ

كانتْ قادمةً للماءِ والشَّمسِ

أنْ تفتحَ العينَ

للحَياةِ

والموتِ

ومرَّةً أُخرى بجُوعٍ واستجداءٍ

تفتحُ عينيْكَ مُقبلاً على الحَياةِ

الموتُ والعودةُ مِنْ جديدٍ ثمَّ الموتُ مجدَّدًا

أين تعلَّمتَ كلَّ هذا؟

أنا، كنتُ تلك الكُتلةَ الضَّائعةَ

في الانفجارِ الأوَّلِ...

تلك الكتلةُ الهامدةُ المتململِةُ مِنْ ذاتِها

كنتُ تلك المستحيلةُ

تلك الخالدةُ!

أيُّ ذِكْرٍ حرَّرَني؟

أيُّ تَعويذةٍ عظيمةٍ

أيُّ لَمسةٍ سِحريةٍ بأطرافِ أصابعكَ حرَّرَتني؟

مِنْ أين أتيتَ بشجرةِ اسفندجان[1]؟

وكيفَ يرحِّبُ بكَ الرَّبيعُ، بإحساسهِ الأخضرِ؟

ونَمِرُ الغابةِ كيفَ يجمِّلُ كبرياءَه في مِرآةِ شُعورِكَ؟

مِنْ أين عرفتَ؟

لا يزالُ هذا السُّؤالُ المُلحُّ حارقًا،

وضوءُ المجرّاتِ

(1) اسفندجان: احتفالٌ إيرانيٌّ قديمٌ، يُقامُ وفقًا للتَّقويمِ الزَّرادشتيِّ في اليومِ الخامسِ من شهر «إسفند»، حيثُ يتمُّ خلاله تكريمُ النِّساءِ وتقديمُ الهَدايا لهنَّ. [المترجمة]

بنفخةٍ واحدةٍ يمكنه
أنْ يُطفِئَ كلَّ هذا الجَّهلِ الحَزين:

الورقةُ الرَّقيقةُ في ذلك البُستانِ
ما زالتْ تجهلُ ما مَعنى الحُبِّ،
كيفَ وضعني أمامَ
كيْنُونتي الرَّقيقةِ؟
(لا يزالُ هذا السُّؤالُ حارقًا)

قَفَصٌ هذا القَفَصُ

قَفصٌ

قَفصٌ هذا القفصُ، قَفصٌ

الطَّائرُ

في نَومِهِ يَنسى،

لكنِّي أراهُ في نَومي،

وأنا في اليَقَظةِ نقشٌ مِنْ الكمالِ في القفصِ

أيُّ واحدٍ منَّا؟

أنتَ الذي سجنكَ يهمسُ لكَ!

أمْ أنا الذي لا أسمعُ صوتَ صُراخي؟

أنتَ الذي سجنكَ يصرخُ بي،

أمْ أنا الذي أصبحتُ همسكَ في هذا الرَّبيعِ

البُستانُ لَمْ يدعْ ليَ أنْ أسْتشعرَ الطَّبيعةَ.

أيُّ واحدٍ منَّا؟

القَفصُ

هذا الهمسُ

هذا الصُّراخُ

هذا الرَّبيعُ

هذا القَفصُ هذا القَفصُ هذا القَفصُ يا للويلِ!

مِنْ شِدَّةِ الغَضبِ

مِنْ شِدَّةِ الغَضبِ
ألقى بسلاحِهِ أرضًا
وصَكَّ أسنانَهِ بقوَّةٍ
أخذَ حصاةً وبشتيمةٍ قَبيحةٍ
رَمى بها مَنْ هُم أمامَهُ

ـ رفاقهُ في الخَندقِ، حَبسوا ضحكاتِهم ـ

قالَ «سهرابُ»:
ـ آهٍ، هل رأيتَ؟
هو في النِّهايةِ
أيضًا!

قُبلةٌ

الشَّفةُ على الشَّفةِ
في هذا الصَّمتِ
في هذا الصَّمتِ المَرْويِّ
الأكثرِ بلاغةً مِنْ أيِّ كرامةٍ بَشريَّةٍ
قُبلتُنا سلسلةٌ لا نهائيةٌ مِنْ المَعاجزِ.

في هذا الاعترافِ الصَّامتِ،
في هذا الذي «يحدثُ»
يمكنُنا أنْ نُودِعَ شَفةً بينَ شَفةٍ
ولا نحتاجُ إلى أنْ نسمعَ ما يقالُ.

ذلكَ الشُّعورُ بالأمانِ الغَريبِ،
في هذا المكانِ القَديمِ الذي لا يزالُ
التحليقُ فيهِ مستمرًّا

منذ البدايةِ:

علاقةُ معجزةٍ

مِنْ اليَقينِ الذي قد عشَّشَ فيهِ

نهايةَ هذا الرَّبيعِ

لغايةِ الظَّنِّ الذي يمرُّ في الذَّاكرةِ

بدايةَ خريفٍ ما.

مُتسوِّلُو الصَّحراءِ

مَرُّوا على جميعِ أنحاءِ هذا السَّهلِ
أنْهوا الطَّريقَ للنهايةِ:
مُتسوِّلُو الصَّحراءِ.

ومَاتوا
في الطَّريقِ
بأقدامٍ مُتقرِّحةٍ
في فاصلةٍ مُتساويةٍ معكَ ـ يا أقربَ مَقهىً للاستراحةِ! ـ
مِنْ لُهاثِ الرِّيحِ المَسمومةِ
حتَّى رياحِ الشِّتاءِ القارسِ:
مُتسوِّلُو الصَّحراءِ.

النَّمِرُ

ذلكَ المُفعَمُ بالحَياةِ حينَ يضمرُ
حذَرَهُ في جُرحِ التُّربةِ
يشبهُ حبسَ الأنفاسِ.

أسودُ وأصفرُ
يُشبهُ الموتَ المُنطفئَ
الموتَ النَّائمَ وقيلولةَ الرُّعبِ
ربلةُ ساقهِ لذّةٌ مَخفيةٌ هائجةٌ
في شُعورهِ بالجُّوعِ
انهيارٌ جَليديٌّ
يَستلقي ويلتفُّ في الأعماقِ.

سكونُهُ
لحظةٌ مرتقبةٌ لهجومِهِ بالمَخالبِ

سَهلٌ مغطًّى بالثَّلجِ
يعِدُ بحضورِهِ المُموَّهِ:
النَّائمونَ الغافلونَ
حَمَّامُ الدَّمِ
في مزبلةِ التاريخِ

أيُّها النَّائمُ بمُداعبةِ يَدٍ شِرِّيرةٍ
أيُّها الغاطسُ في النَّومِ كحِمارِ الوَحشِ
يا سلسلةَ النَّومِ المحطَّمةَ على نَغمةِ أقدامِ العابرِ!

أشكالُ الشِّتاءِ

1

دَنَسٌ طافحٌ ونعيقُ الغِربانِ
يعتلي بياضَ الثَّلجِ

رَمي فضلاتِ المائدةِ في المَزرعةِ
هو الحادثُ الوحيدُ

الرَّجُلُ وراءَ أنوارِ النَّافِذةِ الصَّفراءِ
يحدِّقُ في سُرُوجِ الدَّوابِ المربوطةِ بجوارِ البابِ

العالمُ حزينٌ
يختلي بنفسِهِ
وعلى الجَّانبِ الآخر مِنْ البُستان العاري
لا يذكرُ أحدٌ شيئًا عَن الحادثةِ

2

السَّماءُ تخلو مِنْ الشَّفقِ
تنحدرُ نحوَ الظَّلامِ

دُخانٌ خَفيفٌ
يخرجُ مِنْ البابِ،
وفتحةُ السَّطحِ تفوحُ برائحةِ روثِ الدَّوابِ

قربَ ضوءِ الكوخِ الصَّغيرِ
يقولُ الرَّاوي بتلاتُ الزُّهورِ الصُّفرِ والحُمرِ
أسدلتْ أوراقها
وفي الإسطبلِ المظْلمِ
لا يزالُ البُخارُ يتصاعدُ مِنْ جَسدِ الحصانِ المُتعبِ

شَكلُ المَطرِ

إلى «جمشيد لطفي»، الشكلِ المَنطقيِّ للسَّعادةِ.

عَلِقَ شَيءٌ على ذَيلِ الصَّمتِ الأسْودِ الثَّقيلِ في الجَوِّ
لكي يخنقَ لحظةَ انفجارِ الكبريتِ في علبةِ الأُفُقِ

لِيبدأ عُبورُ رعدِ المَطرِ البَليغِ

بدأتِ الصَّواعقُ
شَظايا بيضاءُ فولاذيَّةٌ
هَوَتْ على سَريرِ التُّرابِ العَطِشِ

التُّرابُ
والرَّاقصونَ على إيقاعِ المَطرِ السَّعيدِ
اغتَسَلوا تحتَ المطرِ

ثُمَّ

العالَمُ كلُّهُ:

الأرضُ والزَّمانُ والسَّماءُ، كلُّها

ثُمَّ

صَمتُ الشَّمسِ المقَدَّسُ ووجهُها المغسولُ،

على سجَّادةِ التُّرابِ،

والتَّأملُ الثَّقيلُ للسَّاطورِ الدَّامي

على أعتابِ مذبحِ الفَلقِ

التَّأملُ الثَّقيلُ للسَّاطورِ الدَّامي

ونزولُ الظلمةِ بهدوءٍ

زحفَ بلونٍ رماديٍّ على التُّرابِ

مثلَما يفعلُ النَّومُ.

المِيلادُ

فجأةً
الحبُّ
كالشَّمسِ
خلعَ قناعَهِ

والسَّقفُ والبَابُ
تجلَّتْ أصواتُهما
تساقطتْ
صاعقةُ البَرقِ
وقامَ
الإنسانُ.

حِكايةُ رجُلٍ بلا شَفتيْنِ[1]

كانَ هناك رجلٌ
يُدعى «حسين قُلي»
عيناهُ سَوداوانِ ووجنتاهُ زَهريَّتانِ
لَمْ يكنْ لديهِ حُزنٌ ولا دَيْنٌ ولا عِلَّةٌ
لكنَّه لمْ يملكْ شفتيْنِ ليضحكَ!

مَنْ رأى ضحكةً بلا شَفتيْنِ؟
مَنْ رأى قمرًا بلا لَيلٍ؟
وما الضِّحكةُ بلا شَفتيْنِ
وما الطَّائرُ بلا جناحيْنِ

(1) كُتبتْ هذه القصيدةُ باللُّغةِ الفارسيَّة العاميَّة/ الدَّارجةِ. [المترجمة]

وفي ليالٍ طِوالٍ بلا قمرٍ
جلسَ «حسين قُلي» تعيسًا على سَريرِهِ
منصتًا إلى نباحِ الكلابِ
حتَّى اجتمعَ النَّاسُ حولهُ
وانهالتْ عليهِ النَّصائحُ مِنْ كلِّ حَدبٍ وصوبٍ:
«حسين قُلي لا تحزنْ
حتّى وإنْ كنتَ بلا شَفتيْنِ
الضَّحكُ لا يجلبُ السَّعادةَ
الضَّحكُ لا يصيرُ ثوبَ زفافٍ
ضِحكةُ الشَّفتيْنِ مُزيَّفةٌ
ضِحكةُ القَلبِ نافعةٌ!»

يا للحسرةِ!
عندما يكونُ القَلبُ نائمًا
يَخلُو مِنْ أيِّ رَغبةٍ
عندما يكونُ القلبُ حَزينًا
يبقى أسيرًا للأحزانِ
الرَّحمةُ تختلفُ عَن الحِكايةِ
وكلُّ ما يقالُ عَبثًا!

«حسين قُلي» بالدُّموعِ والتَّنهدِ
ذهبَ للحديقةِ قُربَ البئرِ
قالَ: «يا عفريتةَ البِئرِ، أنا هلكتُ
فديتُ باطنَكِ النَّقيَّ!
هل ترين حَسرتي؟
أو لا تقرضيني شفتيْكِ؟
امنحيني شفتيكِ لأبتسمَ
وأعيشَ حياةً كريمةً»

عفريتةُ البئرِ قالتْ:
«حسين قُلي،
لا تكنْ سَخيفًا، هل جُننتَ؟
لو أعطيتُكَ شفتيَّ
بماذا تتعهَّدُ لي؟
والنَّاسُ في الصَّباحِ كيفَ سيُعدُّونَ الشَّايَ؟
وكيفَ سيتوضَّؤون؟
وفي الظَّهيرةِ الرَّبيعيةِ
بماذا يغسلون الشُّرفةَ؟

أو في المساءِ، بماذا يملأونَ أواني
الفخَّارِ ليأخذوها إلى القبو!
وحينَ يأتونَ ولا يرونَ شفتيَّ
أين سيضعونَ الدلوَ؟»
رأى «حسين قُلي» أنَّ الحقَّ مَعها
ذهبَ دامعًا مُتنهدًا صَوبَ بركةِ الأسماكِ
قالَ: «يا عفريتَ البِركةِ!
هل تحقِّقُ لي أُمنيتي؟
هل تحقِّقُ لي غايتي؟
وأعِدُكَ وعدَ رجالٍ أنْ أستعيرَ شَفتيكَ لساعةٍ واحدةٍ فقط؟»

حزنَ عفريتُ البِركةِ
وغمرَ الأسى قلبَهُ
قال:
«بُنيَ، ماذا عساي أنْ أقولَ لكَ
دون أنْ أحطِّمَ قلبكَ الرّقيق؟
البِركةُ بلا شَفتيْنِ،
ستتسرَّبُ مياهُها،
وتتدمَّرُ!».

رأى أنَّ الحقَّ مَعه!

ذهب «حسين قُلي» إلى البَاحةِ

نظرَ إلى السَّطحِ وقالَ: «تعالْ

واكسبْ ثوابًا بي: فليحيا بيتُكَ

وتحيا روحُكَ!

بلا أيِّ أعذارٍ أعرْني شفتيْكَ

دَعني أضحكُ بِهما مِنْ الأعماقِ

وأنسى الأحزانَ

وأودِّعُ الأسى لبضعِ ساعاتٍ»

صاحَ السَّطحُ، وبَكى:

«حسين قُلي، فديتُكَ،

لا تحرجْني!

دونَ شفتيَّ أينَ سيكونُ مكانُ الميزابِ؟

وعندَ هطولِ المَطرِ

ستسيلُ المياهُ على الجِّدارِ

ويُدمَّرُ البيتُ!

والنَّاسُ تعرفُ أنَّ البيوتَ أساسُ كلِّ شَيءٍ

صدِّقني، هذه ليستْ مجرَّدُ أعذارٍ!»

رأى أنَّهُ لا يقولُ غيرَ الحقِّ

بَدأ «حسين قُلي» بالبُكاءِ والنُّواحِ
كان يريدُ شفتيْنِ للضَّحكِ
كان يريدُ سعادةً دائمةً!

قامَ وانطلقَ إلى السُّوقِ
اشترى مفرشَ مائدةٍ، ومنديلاً
حبالاً، وسِلالاً، وإناءً فخَّاريًا وإبريقًا
ركضَ في هذا الاتِّجاهِ
ركضَ في ذلك الاتِّجاهِ
أخرجَ ثلاثَ عُمَلٍ مَعدنيةٍ
اشترى تشكيلةَ «مُكسَّراتِ حلاَّلِ المَشاكلِ»[1]
نذرَ لفكِّ مشكلتهِ المستعصيةِ
ثمَّ فتحَ كيسَهُ
قامَ بعدِّ العُمَلِ المعدنيةِ

(1) من الممارساتِ المعروفةِ في إيرانَ والعراقِ وبعضِ دول الخليج. نوعٌ من النُّذورِ طلبًا لحلِّ المشاكلِ المُستعصيةِ، وعندما تُحلُّ المشكلةُ يُوزَّعُ النَّذرُ لوجهِ الله، وعادةً ما يكونُ عبارةً عن خليطٍ من المُكسَّراتِ المالحةِ والحلوى. [المترجمة]

احتارَ ماذا يشتري أيضًا:

اشترى الزِّبيبَ الأخضرَ والأسودَ اللَّذيذَ،

الحلوياتِ، والسَّكاكرَ، والجُّبنَ.

أيَّتُها السَّيداتُ

أيُّها السَّادةُ:

أخذَ طريقَهُ

بحذاءٍ حَديديٍّ وعَصًا

إلى سهلٍ بلا ماءٍ ولا عُشبِ

أينَما نظرَ كانتِ الأراضي شائكةً،

تلالٌ وجبالٌ سُودُ جَرداءُ

كان مثلَ جَملٍ عطشانَ

وراءَ التِّلالِ الجَّافَّةِ

مثلَ عجوزٍ وقتَ الدُّعاءِ

«حسين قُلي لا تحزنْ!»

لَمْ تكنْ لكَ شَفتانِ لتضحكَ، ما الضَّيرُ!

كانتِ السَّعادةُ بقربِكَ

لماذا اخترتْ طريقَ الصَّحراءِ؟

الطَّريقُ طويلٌ،

سوفَ تمشي فيه ليلاً ونهارًا

سبعةُ أيَّامٍ مِنْ الصُّبحِ حتَّى المَغيبِ

انظرْ! السُّهولُ ليسَ فيها طعامٌ

جَرَّتُكَ فارغةٌ مِنْ المياهِ

عيناكَ بُؤرتا سَوادٍ

مِن الجَيِّدِ أنَّ إيمانكَ باللهِ كبيرٌ

لأنَّ النُّسورَ في الهواءِ!

تدحرجَ «حسين قُلي»

بروحٍ مُتعبةٍ، جائعًا وعِطشًا

وصلَ إلى حافةِ البَحرِ

كان مُنهكًا مِنْ كلِّ شَيءٍ

ولَمْ يتبقَّ سِوى هذا البَحرِ

«انظرْ أيُّها البحرُ!

لا ينقصُ شيءٌ مِنْ عِزَّتِكَ

لو أعرْتَني شفتيْكَ الكبيرتيْنِ
ـ ذراعاكَ الطَّويلتانِ أمرٌ جيِّدٌ بالنسبةِ إليَّ ـ

أروي حَسرتي:
أعطني شفتيْكَ
وسأصلِّي لكَ»

« ـ أنتَ لا مبالٍ يا حسين قُلي
يا صغيري الأشقرُ
أين عقلُكَ؟ أين شعورُكَ؟
لُفَّ بساطَكَ واحسبْ الضَّررَ مِنْ هذا العَملِ
ما فائدةُ المَسجدِ بلا منارةٍ
ما فائدةُ البَحرِ بلا شاطئٍ
ثروتي كلّها مِنْ الشَّاطئ
بظلالهِ وزُوَّارهِ وحوريَّاتهِ!»

رجعَ «حسين قُلي» بحسرةٍ في قَلبهِ

ـ قَدمٌ في الوَحلِ وأخْرى في التُّرابِ ـ

إلى بيتهِ خاليَ الوفاضِ

رأى في الزُّقاقِ

الحديقةَ والنَّبعَ والسَّطحَ والبئرَ

يضحكونَ مِنْ الأعماقِ

ويغنُّونَ بسَعادةٍ:

«ضَحِكٌ ضَحِكٌ ضَحِكٌ»

هل توصلتَ إلى ما نقولهُ؟

هل رأيتَ البرَّ والسَّهلَ

الأرضَ والتُّرابَ؟

هل رأيتَ الرُّمَّانَ الضَّاحكَ

هل رأيتَ الفستقَ الضَّاحكَ؟

الضَّحِكُ لا يحتاجُ إلى شَفتيْنِ

الضَّحكُ لا يحتاجُ إلى طبلٍ ومَيدانٍ

الضَّحِكُ يريدُ قلبًا سعيدًا

فارقْ الحُزنَ والأسى

فارقْ الحُزنَ!

حسين قُلي! حسين قُلي! حسين قُلي!

حِكايةُ قلَقِ «ماهانَ»

1972 ـ 1999

طِوالَ النَّهارِ

طِوالَ النَّهارِ
عجائزُ مُتَبَرِّجاتٌ
بهدوءٍ وابتسامةٍ ولُطفٍ مرَرْنَ بجانبِ سَريري.

في مُنتصفِ اللَّيلِ رنينُ مضرابِ آلةٍ صَاخبةٍ
عبرتْ مِنْ خَيالي،
خِلتُ أنَّ العجائزَ يرقصنَ.

في الفَجرِ قالتْ الممرِّضَةُ
مريضُ الغُرفةِ المُجاورةِ، قد ماتَ!

«نَوْرُوزُ» شِتاءً[1]

يأتي «نوروزُ»، في هذا العامِ،
بلا نوارسَ ولا بنفسجَ
بلا حركةِ ورقةِ النَّارنجِ على المياهِ
بلا دورانِ الطَّائرِ الملوَّنِ في المِرآةِ

في هذا العامِ،
يأتي بلا قَمحٍ أخضرَ على المائدةِ،
بلا خطابٍ خافتٍ مِنْ السَّمكةِ في الإناءِ
بلا رقصةٍ عفيفةٍ لشُعلةِ القنديلِ.

في هذا العامِ،
يأتي «نوروزُ»

(1) عيد النوروز: يومُ رأس السَّنتينْ الفارسية والكُردية، كما أنَّهُ يومُ الاعتدالِ الرَّبيعيِّ الموافقِ 21 مارس (آذارَ) مِن كلِّ عامٍ. [المترجمة]

يأتي بلا خَبرٍ.

برفقةِ رجالٍ

يحملونَ على أكتافهمْ أعباءَ أعوامِهم:

حتَّى زهرةُ الشَّقائقِ تذكرُ مرَّةً أُخرى

اسمها المحرَّمَ

ورفُّ الخطيئةِ يُقدِّسُ الكتبَ المحرَّمةَ

مرَّةً أُخرى.

في الطَّريقِ إلى المَجرزةِ

ستضاءُ شُموعُ الذِّكرى

وستُفتحُ البوَّاباتُ المغلقةُ، فجأةً.

أيدي الشَّوقِ

ستمتدُّ مِنْ النَّوافذِ

شِفاهُ النِّسيانِ

ستتفتَّحُ بالضَّحِكِ

والرَّبيعُ
- في ممرٍ مِنْ الصُّراخِ -
سيزدهرُ في المَدينةِ المُتعبةِ.

أجلْ،
في هذا العامِ،
سَيبدأُ «نوروزُ» على هذا النَّحو!

عَرفوا أنَّ الأسْنانَ مِنْ أجلِ...

كانوا يعرفونَ أنَّ الأسنانَ مِنْ أجلِ الابتسامةِ، أيضًا،
لكنَّهم افترسوا فقط.

كم بحرًا مِنْ الدُّموعِ نحتاجُ
لنبكي فيالقَ فيالقَ في عَزاءِ المَوتى.

كم مِنْ الكراهيةِ نَحتاجُ
لنَغسلَ هذا الجَّحيمِ من كلِّ هذا الشَّرِّ؟

مِنِّي لِذاتي

إلى «عباس جعفري».

الآنَ، حينَ أغلقُ فمي على لِساني الجَّافِّ
وبانطفاءٍ أسألُ نفسي:
«هل قلتَ كلَّ ما يجبُ أنْ يقالَ؟»

في ذاتي، لكنْ (ماذا يفعلُ هو؟)
يرى فمًا وشفتيْنِ كالسَّمكةِ
تنهمكُ في عَملها بلا صوتٍ

«عِصمةٌ فاجرةٌ بين الماءِ والبِلَّورةِ
(أسألُ نفسي)
في هذا الحُكمِ المشكوكِ فيه
ألا يؤدِّي إلى ضَلالِ قُضاتِهِ دائمًا؟»

أجل!

إنَّهُ، بلا شَكٍّ، زمنٌ فيه قِصرُ صَوتِ غربالِ الخُبزِ خيانةٌ كُبرى،أيضًا،

إياكَ أنْ تقول مَع نَفسكَ في عُزلتكَ الصَّادقةِ:

« لعنةُ إبليسَ عليكَ، يا بامدادَ المُخادعُ!

ترى أنَّ غمدَ الاسمِ المتكلِّفِ المُخادعِ

أقلُّ فائدةً مِنْ سُيوفِ أطفالِ العَشوائيَّاتِ الخَشبيَّةِ؟»

ربَّما هو يعتقدُ ذلك

(ماذا يفعلُ؟)

وطرحَ حديثًا للتَّباهي

عالقٌ بجَهدٍ مَحفوفٍ بالوسْوسةِ لاختيارِ كلماتٍ فاخرةٍ:

واقعٌ بفضيحةٍ ليحقِّقَ أروعَ بلاغةٍ

في خضمِّ هذه اللَّحظةِ

التي أفارقُ فيها صَخبي

مِنْ خدشِ حَنجرةٍ داميةٍ

أقوى مِنْ أيَّةِ كلمةٍ بليغةٍ

مصقولةٍ وحادَّةٍ
يقولُ، بقلقٍ ومَرارةٍ:
«ماذا عَن الشِّعرِ؟»

جالسٌ، على هذه القمَّةِ،
منطفئٌ،
في وقتٍ متأخِّرٍ جدًّا
الزَّمنُ يمرُّ في صَمتٍ
ظمآنَ لأجلِ أيِّ حَديثٍ
«هل أنتَ مُنطفئٌ الآنَ؟»

أقولُ:
«إلاَّ إذا كنتَ تبحثُ عَن مكانٍ بصيرةٍ ومَعرفةٍ جديدةٍ،
و إلاَّ أيُّ شعرٍ؟»
الزَّمنُ
يمضي مِنْ مُنحدرِ الوادي المُظلمِ، على هيئةِ صَرخةٍ،
على هيئةِ عَويلِ ألمٍ،
أو صرخةِ مُرتجِزِ أبلهَ،

على هيئةِ صرخةِ دَهشةٍ،

أو خوفِ هَزيمةٍ وهميَّةٍ،

على هيئةِ صرخةِ مجانينَ في دارٍ للمجانينِ، تحترقُ،

أو انفجارِ صاعقةٍ تَغلي في ذاتِها

أو في نفسِكَ على هيئةِ صَرخةٍ مُفاجئةٍ،

لتصدِّقَ متأخِّرًا.

حصارُ قلعةٍ في أرضِ السَّحالي والجُّمل

تعثرُ عليها جوفاءَ ومتفسِّخةً،

صرخةُ إفراجٍ

والقفزُ مِنْ العَبثِ،

أو أنْ تكونَ صافرةَ إنذارٍ

لتُوقظَ الحُرَّاسَ الحَمْقى.

أنْ تبحثَ في العَدم عَن الأمانِ

هل هُم متعطِّشونَ للحَديثِ؟

كلاَّ!

لا حديثَ هُنا،

ليسَ عندَ الذي يدُهُ في جُبِّهِ

ليسَ عندَ الذي في ثوبِ العالِمِ يعلِّمُ الحَماقةَ
ولا عندَ الذي يرتدي الخِرقَ ويُباهي بحماقةٍ
ولا الذي مثلكَ
في آخرِ أنفاسِهِ
يشعرُ بِحاجةٍ للبلاغةِ

أقولُ لنَفسي في آخرِ الفُرصةِ:
هل قلتُ كلَّ ما يجبُ أنْ يقالَ؟
ـ لا أعلمُ!
كلُّ ما لديَّ بقايا صوتٍ مَدفونٍ في صُراخي
وهذا أشبهُ بغرقِ فَتيلِ الغُرورِ،
في مخزنِ المِصباحِ المَليءِ بِالزَّيتِ.

صُلْحٌ

إنَّهُ المحيطُ
عميقٌ ولانِهائيٌّ،
ارتفاعٌ ودوامةٌ وأعاصيرُ
دونَ أنْ يَعرفَ.

إنَّهُ الجَّبلُ:
مجدٌ واقفٌ في مكانهِ،
ارتفاعٌ وهبوطٌ وغَطرسةٌ
دونَ أنْ يَعرفَ.

لكنْ، أنا، خلقْتَني إنسانًا:
ذرةً غيرَ مَجيدةٍ
متسوِّلَ الصُّوفِ وجِلدِ الحَيواناتِ،
ليمجِّدَكَ بحقارةٍ

ومِنْ ذُعرِ قهركَ يرتجفُ
غريبًا مَع ذاتهِ يتمسَّكُ بكَ بمخالبِهِ
لكي تكونَ الكُلَّ
خلقْتَني إنسانًا:
خجلاً مِنْ كلِّ زلَّةٍ حَتميَّةٍ بجَسدِهِ
ضائعًا في ميادين جَهنَّمَ،
ساقطًا في بئرِ العَفَنِ:
أو برضىً يسلِّمُ عنقَهُ لعبوديَّتِكَ
يتيهُ في بُستانِ عَدمٍ، بزهورٍ وَرقيةٍ.

خلقْتَني فانيًا،
لذلك لَمْ يكنْ لكَ صديقٌ أبديٌّ يبرمُ ميثاقًا معكَ
لا تتفاخرْ،
لأنَّني أشرفُ مخلوقاتِكَ:
فمَعي
المجدُ غيرُ مُقدَّرٍ للهِ!

« ـ لا تقرأ النُّقوشَ خطأً يا هذا!

لستَ محيطًا بأمواجهِ السُّودِ
لستَ جَبلاً جفَّ وتجلَّدَ
أنتَ إنسانٌ
أثملتْهُ كأسُ الحكمةِ
التي لَمْ تَشربْ منها قطرةً، بعدُ
مفارقُ الألغازِ السُّودِ
الوجودُ
يختبرُ معناهُ معكَ

سوفَ تمرُّ مِنْ الجَّحيمِ والجَّنةِ والفَرشِ والعَرشِ
ومحورُ وجودِكَ
سيعانقُ العالمَ أجمعَ

أنا اسمُكَ
لا تُفسِّرْني عبثًا!»

هزيمُ الرَّعدِ الخامِ والهزيلِ

في تقديم: «ندا ابكاري».

مرَّ هزيمُ الرَّعدِ الخامِ والهَزيلِ
وخمدتِ السُّيولُ الغَزيرةُ
الآنَ، اليَنبوعُ بِهمسٍ:

صافٍ وزُلالٍ
يفورُ، لأنَّ جذورَهُ التي في البَحرِ
عندما رضيتْ بي؛
كانتْ مُجرَّدَ فتاةٍ، شتلةٍ صَغيرةٍ
لا تلامِسُها الشَّمسُ.

سألتُ نَفسي:

«هل أبدُو بِبلاهةِ مَاشطَةٍ

أخدشُ نقاءَ طفولتِها
بتزيينِ فنونِ الخِطاب؟»

سألتُ نَفسي، مجددًا:

«أنْ تكونَ، وتصبح آخرَ
مثلَما أصبحَ هو،
ثمَّ لا تتوقَّفُ عن أنْ تكونَ أكثرَ:
جررتُ قدميَّ وأكملتُ طَريقي مُغنِّيًا
وسأقرُّ بقانوني الذَّهبي
في ميدانِ ثِقتي»

عندما رضيتْ بي؛
كانتْ مُجرَّدَ فتاةٍ، شتلةٍ صَغيرةٍ
لا تلامِسُها الشَّمسُ.
لكنِّي أراها، الآنَ، شجرةً طويلةً، وقويَّةً
ظلُّها ذاهبٌ لغَزوِ أراضٍ مُحترقةٍ...

انظروا إليها!

نساءٌ ورجالٌ يحترقونَ

لا تزالُ هناك نساءٌ ورجالٌ يحترقون
حتَّى الآنَ
لَمْ يغنُّوا أغنياتِهم الموجعةَ.

يعمُّ الصَّمتُ
صمتٌ غيرُ مُحتَملٍ
معبَّأٌ بالانتظارِ
يالهُ مِنْ انتظارٍ مَشحونٍ!

نحنُ، كُنَّا نَصرُخُ

نحنُ، كُنَّا نَصرُخُ:

«ضوءٌ! ضوءٌ!»

لمْ يفهموا.

سوادُ أعيُنِهم

كانَ بياضًا إسفنجيًّا باهتًا

ممزقَ الطَّبقاتِ

يُشبهُ شكلَ أدمغتِهم.

لَمْ يكنْ ذَنبَهم:

كانوا ذواتٍ أُخرى.

The Day After

في اللَّحظةِ الأخيرةِ
أعادَ حكيمُ الحياةِ، المُعَزِّي، عربةَ الحَربِ
صنعَ إكسيرًا من دُخانِ المحرِّكِ
ومِن اشتعالِ البَارودِ؛
مما يجعلُ الأرضَ أكثرَ خُصوبةً
ويمنعُ تلوُّثَ الهواءِ!

النَّشيدُ السَّادسُ

يا للعَجبِ!
لَمْ نكنْ نحنُ
لكنْ حبُّنا
فينا
جعلنا نكونُ!

جَمعَنا الهَوى، الآنَ
كالابتسامِ على الشِّفاهِ والدُّموعِ في الأعيُنِ

الحدثُ الأوَّلُ في اللَّحظةِ الأخيرةِ

لكنَّنا نبكي وننحبُ الآنَ؛
لا الكلامُ يُشيرُ إلى الصِّدقِ
لا الصَّوتُ يُشيرُ إلى السِّرِّ

ألفُ معبدٍ في مَدينةٍ واحدةٍ،

أنصتي:

أين يكونُ معبدُ كلِّ العُمرِ

لكيْ أصلِّي هناكَ،

حيثُ تكونينَ،

وهناك سأرجو السَّماحَ بخَجلِ العاجزِ:

لستُ شَجرةَ المُعجزةِ

أنا شجرةٌ فقط

لَبلابٌ في مُستنقعٍ،

وليسَ لديَّ حيلةٌ سِوى أنْ أكونَ عشَّكِ،

سريرَكِ

وتابوتَكِ

أصبحنا ذكرى، وخاطرةً، الآنَ.

طائرانِ وذِكرى التَّحليقِ في رأسيْنا

حَنجرةٌ صامتةٌ

وأغنيةٌ في الذَّاكرةِ!

السَّاهِرُونَ

كنتُ حائرًا، فيها، طوالَ اللَّيلِ
حائرًا في المدينةِ اليقظةِ
التي كانتْ فوانيسُ عيْنيها تحترقُ
وفكرةٌ في رأسِها تسلبُها النَّومَ

كانَ همسُ أدعيتِها العاريةِ
يُغطِّي السَّماءَ السَّوداء
كتلوُّثِ مستنقعٍ عَفِنٍ

كنتُ حائرًا، فيها، طوالَ اللَّيلِ
أفكرُ في مدينةٍ يَقظةٍ
كانتْ أغنيتُها هَمسُ أدعيتِها العفنةِ، فقطْ.

مدينةٌ بلا نَومٍ

بِفوانيسَ دُخَانيةٍ يَقظةٍ

في ليلةِ القَدْرِ هذه

قلتُ:

«أنمتِ أيَّتُها المدينةُ!

لأجلِ مَنْ كانتْ أدعيتُكِ تتعالى، طوالَ اللَّيلِ؟»

قالوا:

«كنَّا نحيي اللَّيلَ بالصَّلاةِ ليطلعَ النَّهارُ

ألاَ بيُمنِ الأدعيةِ يطلعُ الفجرُ»

قلتُ:

«ها هي أدعيتُكم اُستجيبَ لها، ها هو الفَجرُ!»

تنهَّدوا، ثُمَّ قالوا:

«الآنَ سننامُ نومةً جَماعيَّةً

حاجتُنا الميؤوسةُ

أخرجَتْ لَنا هذا الإعجازَ»

لَيْلِيَّةٌ 39

ـ ماذا تفعلُ يا صَديقي بلا أُمنياتٍ؟

ـ بمَللٍ

مع نَفسي بِمللٍ

أتحدَّثُ مَع المَوتى.

اللَّيلُ خافتٌ، الهَواءُ ساكنٌ

وضَجيجُ آخرِ الطُّيورُ المُهاجرةِ

إنَّها تعبرُ بعدَ فواتِ الأوانِ

هل دموعي التي بلا مُبرِّرٍ مَرارةُ هذا المُستنقعِ؟

ـ لماذا تَبكي، هكذا، بلا دموعٍ؟

ـ ثَمَّ شتاءٌ جافٌّ مُطفأٌ في داخلي،

وكلَّما اتَّكأتُ بُغُربتي على كتفيْكَ

شعرتُ بصخرتيْنِ بهما مِنْ الأُلفةِ شيءٌ،

مِنْ الأُلفةِ حزنٌ!

مِنْ الشَّرقِ إلى شَرقِ الفَرَحِ

مِنْ الشَّرقِ، إلى شَرقِ الفرحِ،
حتَّى أعلى السَّماءِ؛
نَدى التَّعبِ على جَبينِ أمِّي
وناصيةِ شَعرِ الإنسانِ
مِنْذُ أولى لحظاتِ ولادتهِ السَّعيدةِ!

قلقةٌ على تلكَ العينيْنِ

قلقةٌ،

على تلك العينين،

مِنْ بعيدٍ نجمُ سُهيلٍ ينظرُ إلى بُستانِ تفَّاحِ حياتي

حتَّى يخضُورُها الفجُّ

يَحمرُّ،

بثباتٍ وحُبٍّ

أفتحْ البابَ للنُّجومِ

تلكَ هي نُجومي

نُجومي اليَقِظةُ

وبواباتُ الأفقِ

تشرعُ مصاريعَها على هواجسِها

«بامدادُ» لَقبُ الفَجرِ الدَّمويِّ

ثُمَّ فَتحَ الموتُ رباطَ حذائِهِ
أمامَ صِياحِ الدِّيكةِ البِلَّوريِّ فجرًا
لقد سمعتُ صِياحَ الدِّيكةِ
مُنذ لحظةِ ولادَتي.

ثُمَّ فتحَ الموتُ رباطَ حذائِهِ أمامَ الهُدهدِ الأصفرِ
الذَّاهبِ نحوَ الصَّحراءِ،
بحثتُ عَن تاجٍ مُلقىً على الأرضِ
منذُ لحظةِ ولادَتي القَلقةِ.

ثُمَّ فتحَ الموتُ رباطَ حذائِهِ أمامَ طائرِ السُّمَّانِ
الذي كان ذاهبًا صوبَ الجّبلِ بهدوءٍ،
وشربتُ الكأسَ بجَهدٍ وضَحِكٍ،
ببُكاءٍ، منذُ لحظةِ ولادَتي.

ثُمَّ فتحَ الموتُ رباطَ حذائهِ أمامَ شجرةِ الرَّبيعِ
التي كانتْ تَرتدي فستانًا مُتَرَبًا على جسدِها،
انتظرتُ مَجيءَ الخَريفِ المُرِّ؛
منذُ لحظةِ ولادَتي اليائسةِ، أيضًا.

ثُمَّ فتحَ الموتُ رباطَ حذائهِ أمامَ مُرتدي السَّوادِ
على أغصانِ الخَريفِ الذي كانَ يغنِّي الوَداعَ،
أنهيتُ مرارةُ انتظاري الموحش، لحظةً بلحظةٍ،
بلقبِ الفَجرِ الأحمرِ.

مثل بئرِ «شُغادَ»[1]

مثل بئرِ «شُغادَ»

عُنقٌ مُضرَّجَةٌ بخَنجرٍ في ذاكرتي:

مثل فكرةِ سقوطٍ في بئرٍ مُرَّةٍ في الذَّاكرة

الصَّيحةُ

أوصالٌ مقطَّعةٌ مقطَّعةٌ

(1) شُغادُ: شقيق «رُستم» في «شاهنامه ـ فردوسي»، وهو مَن أُلقيَ مع حصانِهِ «رخش» في البئر. وهو أيضا مَن سيُقتلَ ـ في النِّهايةِ ـ بضربةٍ مِن فأسِ «رستمَ». [المترجمة]

كفَوَرَانِ نارٍ ثَملةٍ

إلى ذِكرى «مختاري وپوينده».

كفَوَرانِ نارٍ ثَملةٍ على كُرةِ العَجينِ
كنَّا نَصرخُ قُربَ حَجرِ القَمرِ الكِلسيِّ
كانتْ حَنجرتُنا الدَّاميةُ تطلقُ الشَّتائمَ
على حجابِ العصيانِ
يا مرارةَ الحياةِ التي لا تَنتهي،
يا مرارةً غيرَ مثمرةٍ،
دمُ أسْرِنا المُستمرِّ يجري في ميادينِ الشَّرايينِ
في الميادينِ الحَجريَّةِ القاسيةِ
ـ لا تخدعْنا!
كانتْ حياتُنا نصيبَكَ مِنْ بهجةِ مذابحِ الجَزَّارينَ،
اللَّعنةُ والعارُ عليكَ!

رأيتُ العالَمَ أوَّلَ مرَّةٍ

إلى الدكتور «جهانكَير رأفت».

عندما رأيتُ العالمَ أوَّلَ مَرَّةٍ
مِنْ شدَّةِ الفَرحِ صَرختُ:
«آهٍ، هذا أنا
تلك المُعجزةُ النِّهائيةُ
على كوكبٍ صَغيرٍ مِنْ المياهِ والنَّباتِ»
عِندما عشتُ في العالَمِ
كنتُ متفاجئًا:
مِن أنَّني وارثُ تلكَ الحماقةِ التي لا تصدَّقُ،
مِن أنَّني أسمعُ بأذنيَّ وأرى بِعينيَّ!

ثُمَّ رأيتُ ما يدورُ حَولي
وتكسَّرتْ عَبرةُ البُكاءِ في حَنجرتي:

انظرْ كم هو مروعٌ أنْ يضعَ سيفَهُ على رأسي

ذلك الذي كان إيماني راسخًا بهِ!

الآنَ، بعد أنْ تركتُ المُعجزةَ ورائي

لمْ يبقَ عندي سِوى تَنهيدةِ النَّدمِ:

فأسٌ غارقةٌ بالدَّمِ

على مِنصَّةِ الإيمانِ المُريبِ

ونَهرُ الدَّمِ يتدفَّقُ مِنْ ذُروةِ اليَقينِ.

منذُ أوَّلِ قَيءٍ للرَّضيعِ

مُنذ أوّلِ قيءٍ للرَّضيعِ
(أوَّلُ شَمسٍ بلا خَبرٍ)

والثَّانيةُ
مِنْ جِيفةٍ نَتنةٍ
الشَّمسُ في النَّهارِ التَّالي

الثَّالثةُ
كانتْ تَجهلُ حُزنَ الانتظارِ

الرَّابعةُ
كانتْ حَيرةً بلا جدوىً،
غيرَ مفيدةٍ

الخامسةُ

كانتْ تنهيدةً سَوداءَ

آهٍ، سَوداءَ

ثُمَّ

الشَّمسُ السَّادسةُ

كانتْ مَللاً مُكرَّرًا:

بَنْدولَ قَمرٍ غيرِ مكتملٍ

كوعاءٍ كُسِرَ في السَّماءِ

ثُمَّ

الشَّمسُ السَّابعةُ

غرقتْ في دموعٍ مُضطربةٍ:

دموعٌ مُضطربةٌ،

بدرٌ أسودُ،

ممضوغٌ، مَسكوبٌ، ومودَّعٌ.

لكنَّنا، عبثًا، ما زلنا في الانتظارِ:

ما زلنا ننتظرُ الشَّمسَ الثَّامنةَ

(نتنظرها على بوّابة الطلوع)

إنّ الشمس الأولى، تكرّرت

لتأتي في الشتاء العجوز

لعبٌ في لعبٍ

منذ أوّل فيء للرضيع...

ملتوٍ وبلا نهايةٍ

عمودُ العظامِ مُلتوٍ وبلا نهايةٍ
على مَدى الأزمنةِ الماضيةِ، والآتيةِ
محاجرُ العينيْنِ فارغةٌ
الضُّلوعُ عَاريةٌ،
الفَمُ لا يُفتحُ للصراخِ،
الأسْنانُ تساقطتْ، كلُّها
تخرجُ بنغمةِ أغنيةٍ مِنْ الزَّمنِ المَنسيِّ
في مهبِّ الرِّيحِ القَديمةِ
لَمْ تهبطْ، بعدُ، مِنْ العُصورِ القَديمة.

رِيحُ العُصورِ القَديمة تدخلُ في الجَماجمِ
على الأعمدةِ الحَجريةِ
تدخلُ في رمالِ انتظارٍ بدائيٍّ.

دفاترُ البراءةِ البَيضاءِ
في إناءٍ خَشبي
على الرأسِ
معلَّقةٌ عندَ بوابةِ العُبورِ:
خَيطٌ مِن رِيشةٍ قَذرةٍ
على فتْقِ خَيَّاطٍ جوَّالٍ

لكنْ،
لا يزالُ لخيالِكَ حضورٌ مِثاليٌّ حولَ سَريري
حتَّى قبلَ أنْ أستغرقَ في النَّومِ
قلتُ إنَّها ترجمةٌ للحَياةِ
ويجبُ ألاَّ أخضعَ للقَيلُولةِ؛
ثُمَّ عرفتُ أنَّ الموتَ ليسَ النِّهايةَ.

ملحق الصور

أحمد شاملو في الثامنة عشرة من عمره

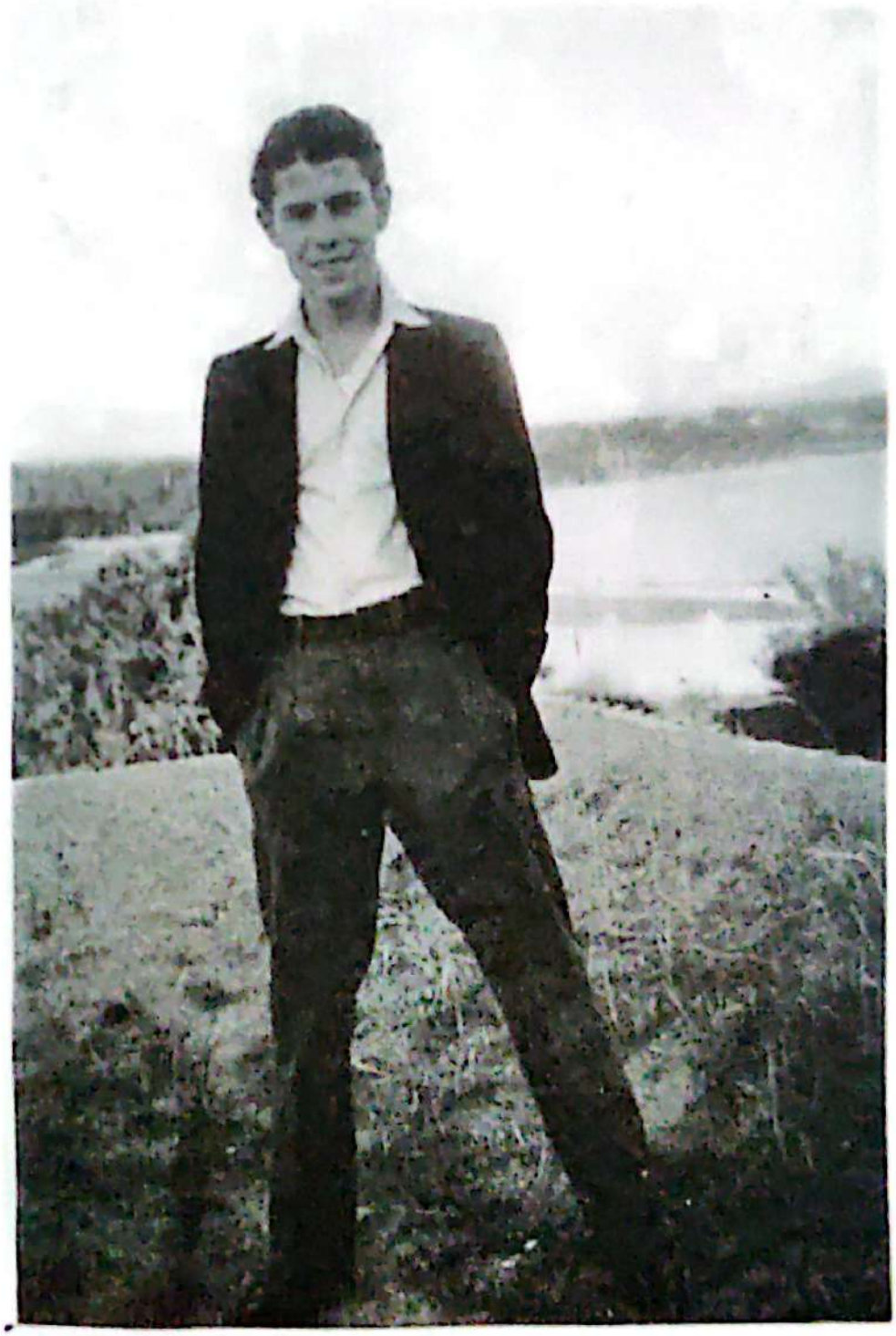

أحمد شاملو في الثالثة والعشرين من عمره

الضابط حيدر شاملو والده ـ شقيقته ـ أحمد شاملو (19 سنة) والدته كوكب عراقي

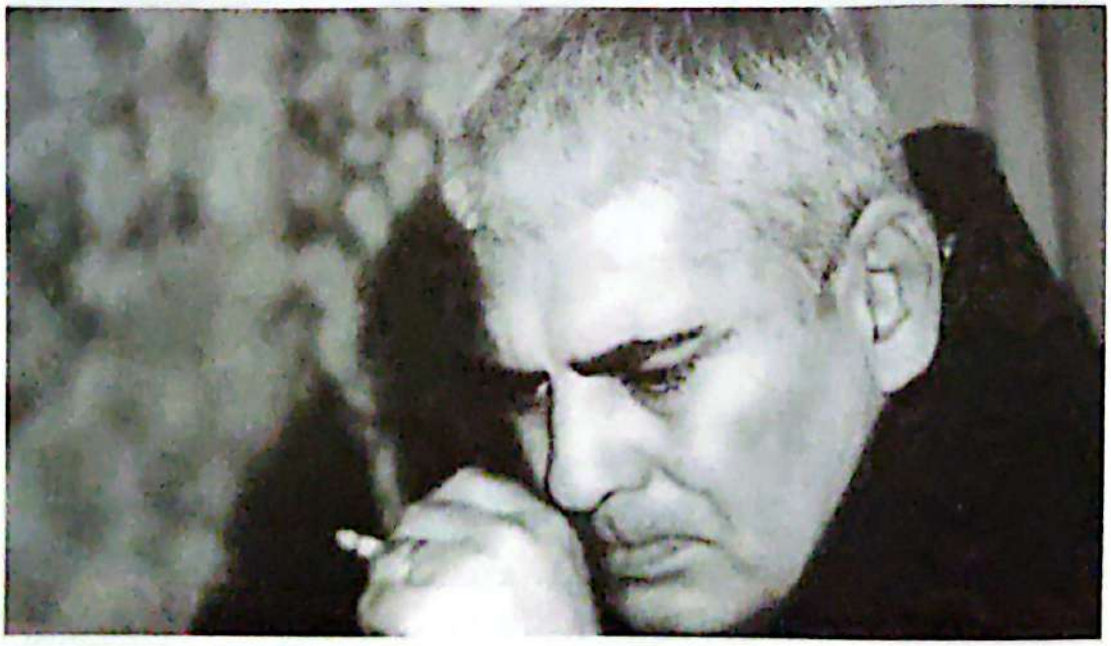

أحمد شاملو ـ سبعينيات القرن الماضي

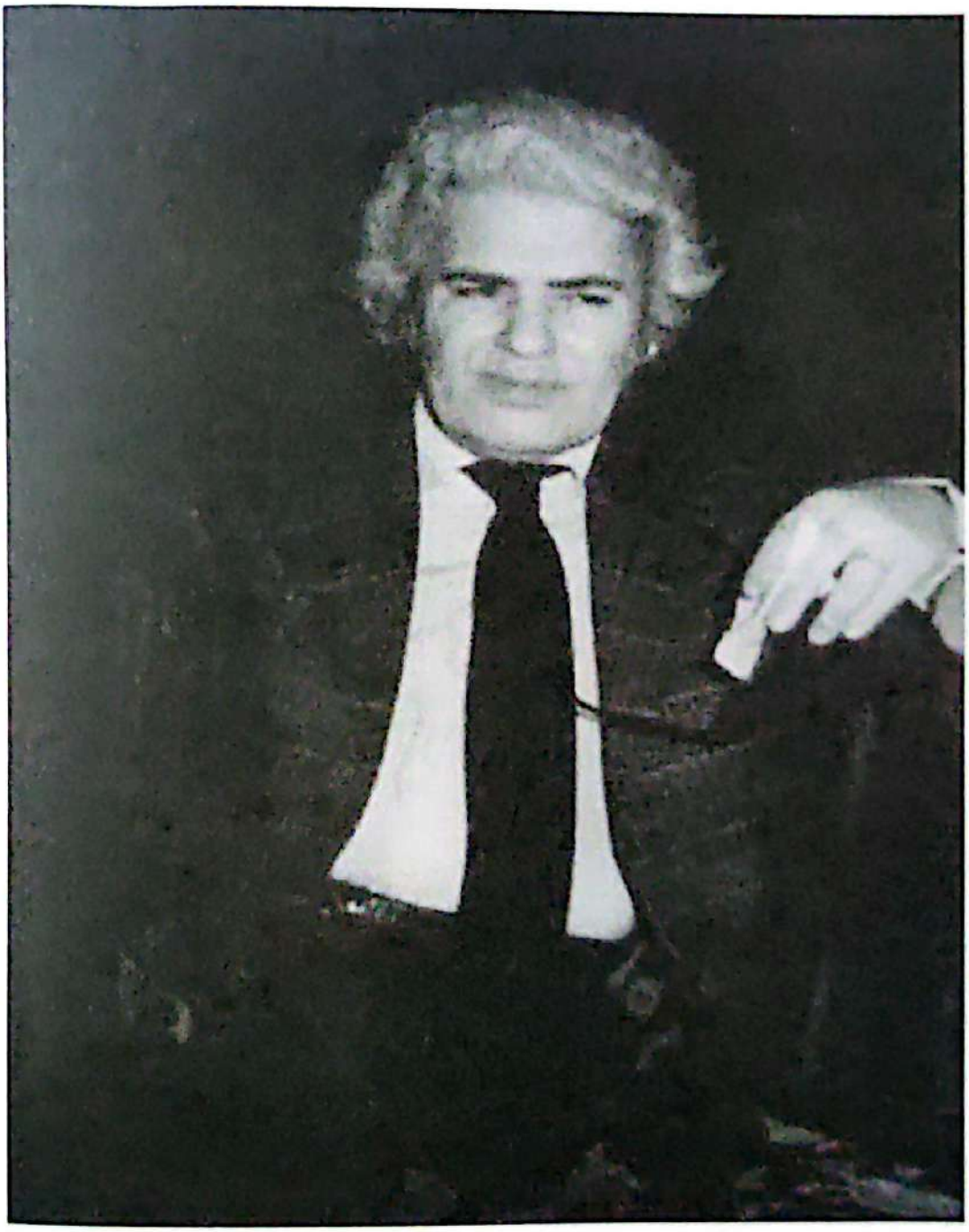

أحمد شاملو - 1975

أحمد شاملو في منزله عام 1972

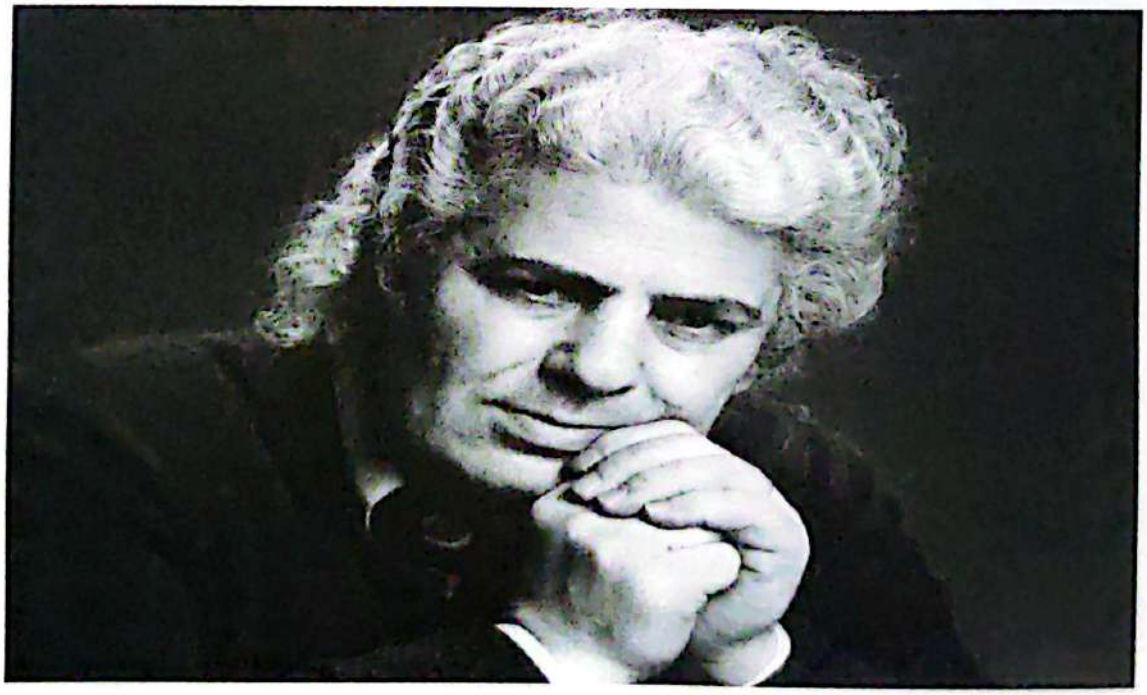

أحمد شاملو- ثمانينيات القرن الماضي

أحمد شاملو- ثمانينيات القرن الماضي

أحمد شاملو - زوجته: آيدا سركيسيان - ولده: سيروس شاملو

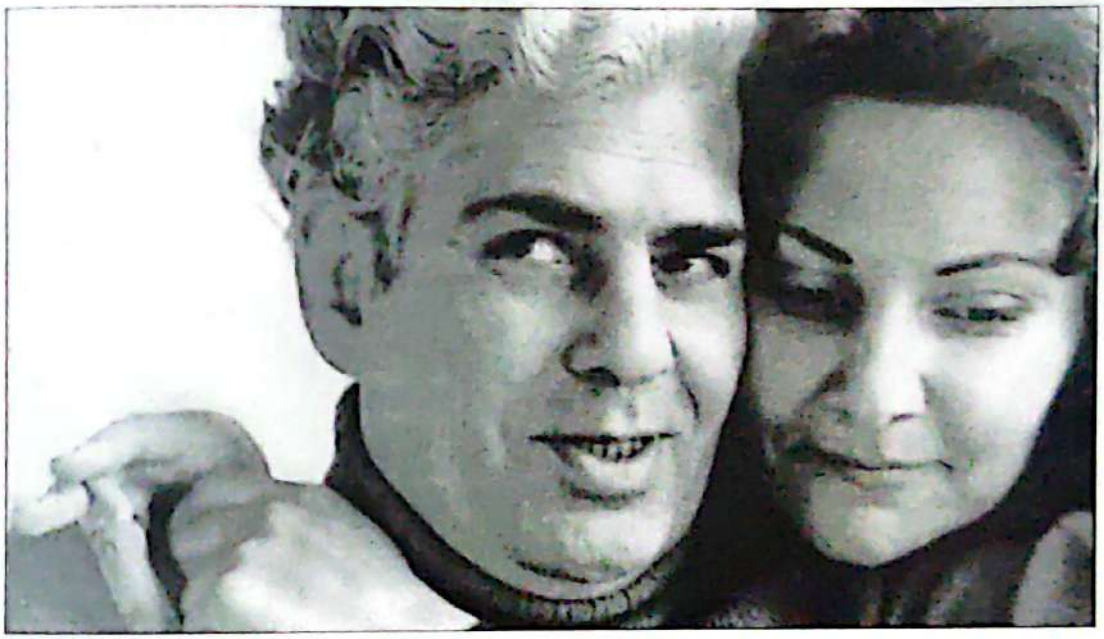

أحمد شاملو مع زوجته آيدا سركيسيان

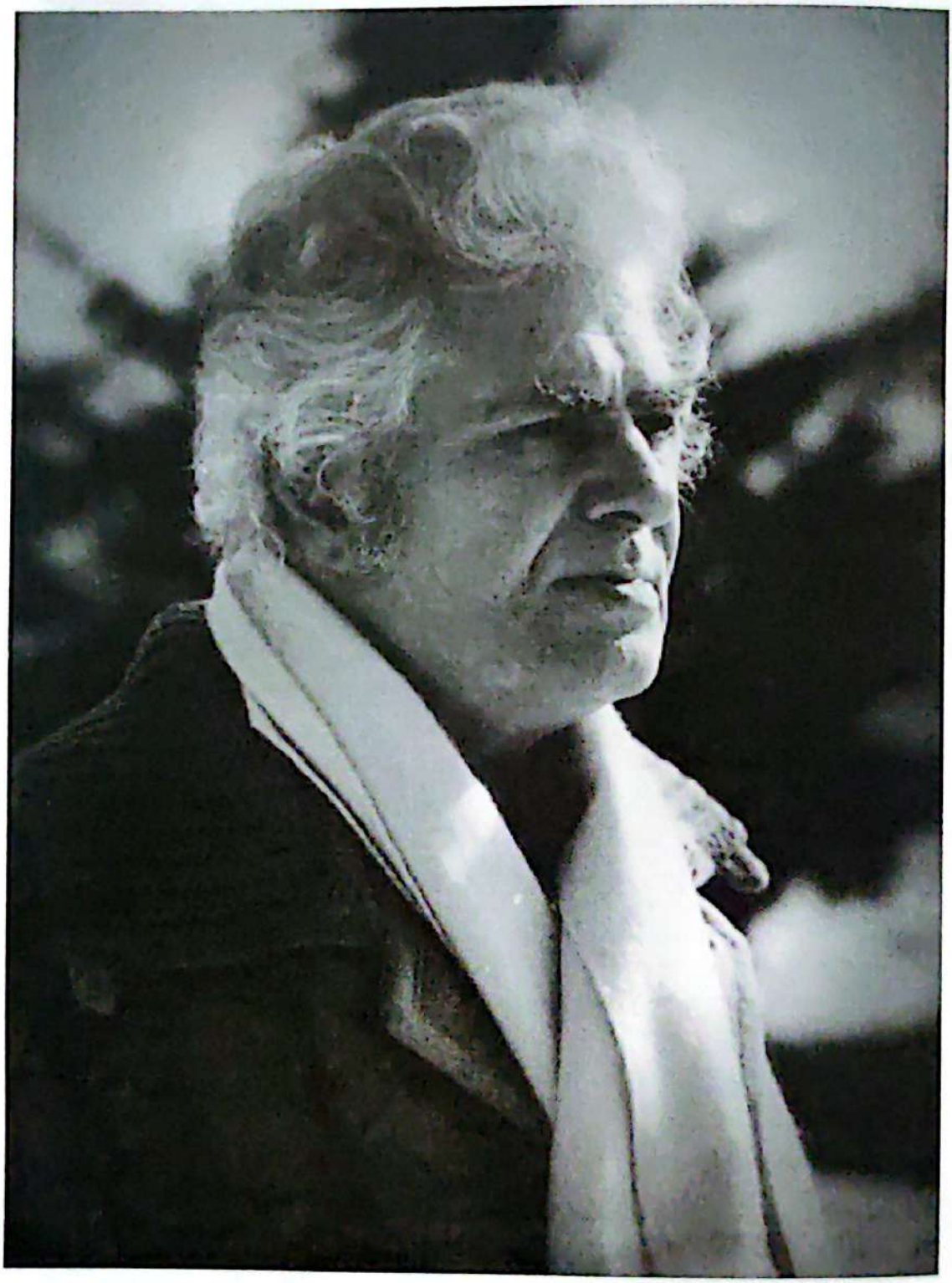

احمد شاملو -تسعينيات القرن الماضي

بطاقة بريدية من أحمد شاملو إلى ولده سيروس شاملو - تسعينيات القرن الماضي

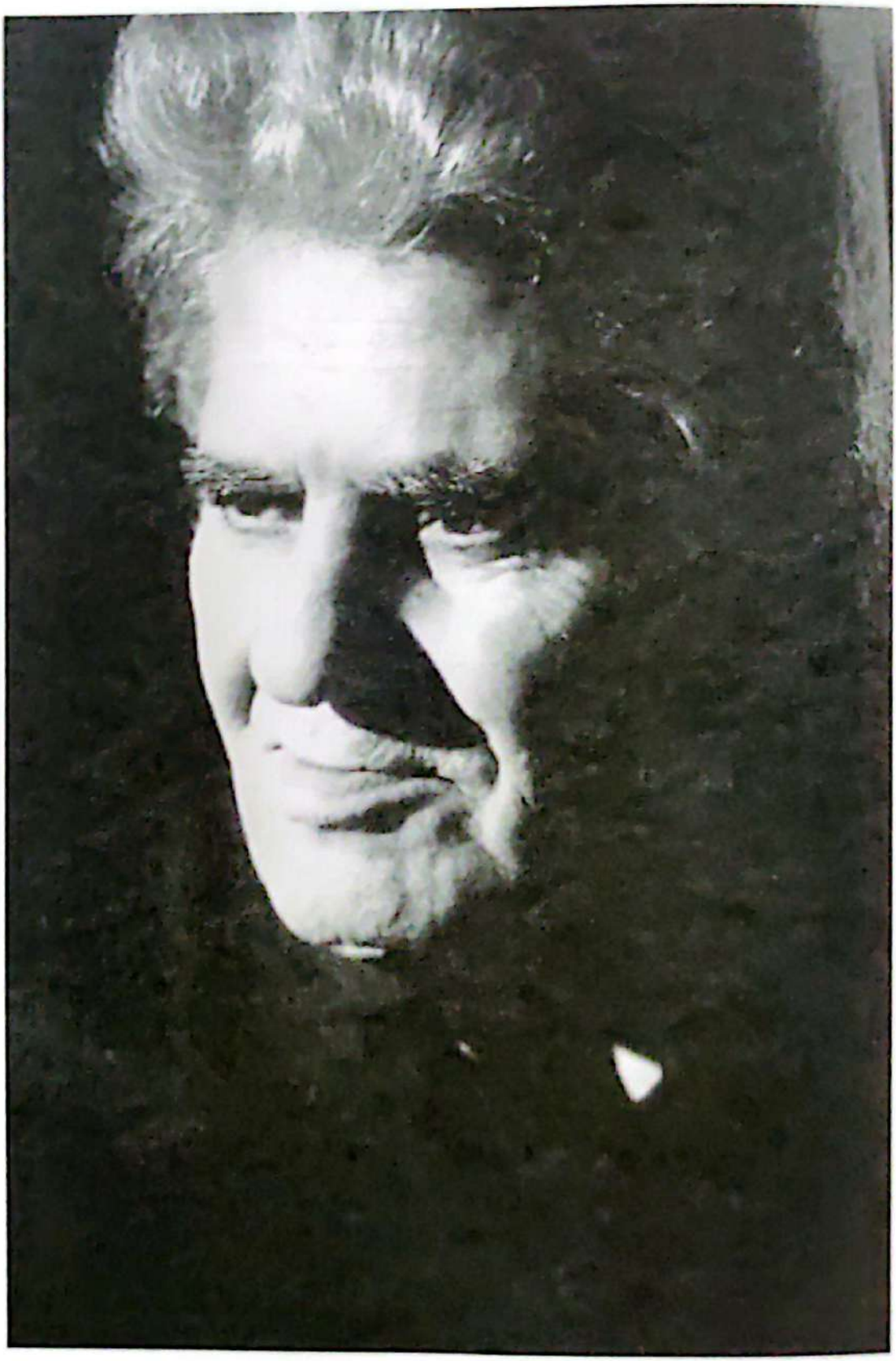

أحمد شاملو في عام 1995

يُعدُّ "أحمد شاملو" شاعرًا، ومترجمًا، وصحفيًا، ومُعجميًّا، وكاتبَ سيناريو، وناشطًا سياسيًا وباحثًا في شُؤون الأدب. بالإضافةِ إلى كونهِ أحدَ أمناء رابطة كُتَّاب إيران.

وبعد تأثير الشاعر نيما يوشيج الذي يعُد رائد الشعر الحديث الفارسي عليه قام بتحديثٍ في الشِعر الفارسي النيمائي/ المعاصرِ، مبتكرًا ما يُعْرَفُ بالشِعر الأبيضِ "سپيد" أو "الشعر الشاملوئي" والذي يعدُّ حاليًا من أهم أشكال الشعر الفارسي المعاصر، المعروف بتقليده الشعر الفرنسي الأبيض أو ما صار يُسمَّى اليوم بقصيدة النثر. وهكذا تخلَّى "شاملو" عن كل نوعٍ من الأوزان الكلاسيكية المعروفة وأصبحَ رائدًا لهذا الأسلوب الجديد.

"شاملو"، الثَّوري المعـارض، اليساريُّ الديمقراطي، والأديبُ الخالد، أهدى قصائده للمناضلين اليساريين الذين سُجنوا أو ماتوا في المعتقلات. واستمرَّ ، بالإضافة إلى الشَّعر، عبرَ أنشطة صحفية وبحثية، بترجمة مؤلفات معروفة إلى اللُّغة الفارسية، وتقديمِ ترجماتِهِ بتسجيلاتٍ صَوتية، ترجمة وأداء "الأغنية الشرقية" وقصائد أخرى لـ " لوركا" أثارت إعجابَ الكثيرينَ. كما قدَّمَ بصوتهِ أناشيدَ شعريةً هادفةً للأطفال باللَّهجةِ العامية الدَّارجةِ مما تركَ لهُ في عالم الأطفال بصمةً سحريةً كانوا يتغنون بها، ويصنعون منها، ومعها ذاكرةً.

مريم العطّار

إخراج وتصميم: mk

ISBN 978-9-9226716-4-2

9 789922 671642

daralrafidain
dar.alrafidain
daralrafidain دار الرافدين
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
Dar ALRafidain دار الرافدين